

رواية

# غُرْبَةُ الدِّيَارِ

"نهاية كل غربة قرار"

يارا شريف رضوان

اسم الرواية: غربة الديار...نهاية كل غربة قرار  
تأليف الكاتبة: يارا شريف رضوان  
تدقيق لغوي وتنسيق داخلي: يارا شريف رضوان  
رقم الإيداع: ٢٠٢١\٢٩٤٤٢  
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٠٦٨-٩-٣


جميع الحقوق محفوظة، وأي إعادة نشر أو اقتباس دون  
موافقة المؤلف يعرض صاحبه للمساءلة القانونية

## قُبلة :

لكل روحٍ هائمة تبحث عن مُستقر  
لقلب كل طفلٍ يبحث بعينه بين الحشود عن أمه ولا يجدها  
لكل نبضة ففقدت قلوب الصغار مُبكرًا.  
يُتمكم ليس جريمة؛ الجريمة الحقيقية أن نُعدّه نحن كذلك.

\_\_\_\_\_ غربة الديار

## إهداء:

إلى من ساقه القدر حتى يكون نصفي الآخر، ما ظننت يومًا أنني  
سأسعد بكوني "نصفًا" إلا حين التقيت بك   
قالوا لي كثيرًا توقفي عن التغزل بزوجك أمام الملأ، وها أنا أذعن  
لرغبتهم وأضع غزلي بك بين صفحات روايتي الثانية؛ لِعلمي أن  
أعينهم \_والتي اعتادت أن تطأ بشرارتها حياة البشر\_ لن تطأ أبدًا  
صفحات كتاب.

حُبي الأبدي لك، ولولدينا الصغيرين \_عبد الله وشريف\_ دُتمتم  
جنتي على الأرض، ودياري التي أدعو الله ألا أغادرها قط.

# الباب الأول:

## داخل الدار

## ☆ تمهيد ☆

جلس على الأرض الباردة يحتضن قدميه، لم يكن يعلم أن لديه هذه القدرة على البكاء، لم يضع في حُسابه يومًا أنه قد يبكي معهما.

هُما!

زادت أصوات انتحابه، لم يكفه البُكاء، ولا وحدته في هذه الغرفة الباردة منذ ما يقارب الثلاث ساعات، يريد أن يصرخ، أن يخرج قلبه من بين أضلعه ويربت عليه، يبثه بعض الأمان الذي افتقده في هذه الساعات القليلة، ويعلم بعقله الصغير أن فقده سيدوم أبدًا.

انهمرت دموعه أكثر على خديه، رفع رأسه للأعلى يُطالع سقف الغرفة البالي ليصيح بعلو صوته الصغير:

\_ أمي، لماذا تتركيني يا أمي؟

أقسم أن أكون ولدًا مُطيِّعًا، أقسم لك يا أمي، لن أطلب بالمزيد من الحلوى، خذي الحلوى كلها وأعيديني إليك.

تشنح صوته الطفولي ذو الثمانية أعوام، كفكف دموعه بظهر كفه، لم يتوقف ألم قلبه، همس هذه المرة بصوت مختنق:

\_ لن شعري بوجودي، صدقيني، لا تحرميني حنانك يا أمي،  
لقد فرحتُ كثيرًا عندما أخبرتني أنني سأحصل على أخٍ في  
القريب، أمن أجل هذا تتخلين عني يا أمي؟

فُتح باب الغرفة مُصدرًا ذاك الصوت المزعج من مفصلاته  
القديمة، دلفت منه تلك المرأة العجوز التي كرهها بمجرد أن رآها،  
سمع أمه تتحدث معها وعلم أنها تنوب عن المدير اليوم، نظرت  
إليه من خلف نظاراتها الضخمة وقالت في حزمٍ شديد:

\_ انهض يا فتى وكف عن البكاء، والدتك رحلت ولن تعود.  
بقي على جلسته يطالعها، لا يُصدق أنها تخلت عنه بهذه  
السهولة، حاول استعادة ذكرياته ليعرف فيما أخطأ مؤخرًا، ما  
الذي فعله خاطئًا لتقرر التخلي عنه وإعادته إلى هُنا بعد ثمان  
سنوات أشبعته فيهم حُبًا وأمنًا، لم يجد في رأسه ذو التفكير الكبير  
رغم صغر سنه سوى مبرر واحد.

لقد قررت تلك "السيدة" الاستغناء عنه، بعدما أنعم عليها القدر  
أخيرًا بجنينٍ نابض بأحشائها، جنينٌ من لحمها ودمها،  
ليس مثله هو!





(1)

### ☆ اللقاء الأول ☆

لو كان الأمر بيدي لما سمحت لأبويني أبدًا أن يرحلا ويتركا خلفهما  
صغيرًا وحده من يدفع ثمن هذا الرحيل.

انتهى من تبديل ثيابه بعقدِ رِبطةٍ عُنقه، وَصَع لِسائته الأخرية  
بِرَش بِضِع قَطراتٍ من العطر على معصميه وارتداء ساعته  
الفخمة، ألقى نظرةً على نفسه بالمرآة، رجلٌ مثله لا يهتم بالتأنق  
ولكنها قُدسية اليوم لديه تُجبره على ذلك، رجلٌ مثله في  
الخامسة والثلاثين من عُمره لا يزال يُعيدُه هذا اليوم إلى ذِكره  
المؤلة، سواء أكانت الأولى أم الثانية، حتى كاد لا يُجزم أنها  
الأخيرة.

التقط مفاتيحَ سيارته من على المنضدة بإهمالٍ وهو ينظر لتلك  
المرأة الستينية القابعة على كُرسِيها الهزاز في الشُرْفَة الواسعة  
المُلحقة بصالة الاستقبال الفخمة، ترتدي نظارة قراءتها الضخمة  
وتمسك بين كفيها المليئتين بالتجاعيد مصحفاً كبيراً تتلو منه ما  
تيسر من الآيات، كما اعتادت أن تبدأ يومها منذُ أمدٍ بعيد.  
\_ صباحكِ مُعطرٌ بالذكر كالعادة، سيدة مريم .

نظرت إليه، ارتسمت ابتسامة عذبة على شفثيها رغم نظرة  
عينيها الحزينة، لاحظت تأنقه كما اعتادت منه في مثل هذا  
اليوم، قالت:

\_ ومُعطرٌ بِرؤية طلتك البهية، عزيزي كامل، هل أنهيت كافة  
الاستعدادات ككل مرة ؟

\_ نعم، بقيت فقط بضع الهدايا سأذهب لشرائها في طريق  
ذهابي للدار .

\_ حفظك الله يا عزيزي، بلغ سلامي لكل الاولاد.  
\_ سأفعل..

قالها وهو يرتدي نظارته الشمسية ويُغادر تاركاً القصر الذي  
يقطنه، وحده هو وتلك المُسنة الضعيفة، وبعض من الخدم  
والحراس.



وقفت ترتدي حجابها الأبيض، يكاد يُخالط بشرتها شديدة  
البياض، وضعت بعض الكحل بعينها خضراوي اللون،  
وأضافت القليل من مُلمع الشفاه لشفتيها، ابتسمت لنفسها  
في المرآة وهي تهندهم ثيابها قائلة:

\_ سأحرص على جعله يوماً مميزاً لكل من أراه اليوم.

تناولت حقيبتها على عجلة وأخرجت هاتفها البسيط ضاربةً  
على عدة أرقام ثم رفعته لأذنها تنتظر الطرف الآخر أن يتلقى  
المكالمة، قالت بانفعالٍ فَرِحَ :

\_ نعم يا سالي خرجت لتوي من المنزل، سأنتظرك عند المحل  
التجاري لا تتأخري .

نزلت سلام العمارة ركضاً؛ فهي تسكنُ في الدور السابع والأخير  
تحديدًا عُرفة صغيرة على سطوح المبني تضمها بداخلها مع  
أغراضها القلائل، تكاد تتعثر في ثوبها الطويل فترفع طرفه بأصابع  
يدها بخفة بينما تتابع قفزها على الدرجات.

قفزت من سيارة الأجرة عندما وصلت إلى وجهتها أخيرًا، محل  
ألعابٍ فخم في المركز التجاري، وقفت أمام الواجهة الضخمة  
تنفض عنها آثار الطريق والزحام، لا يزال وجهها مشعًا ببريق  
خاص يعطيها جمالاً يخطف أنظار محبي الجمال النادر.



\_ لقد تأخرتِ يا سالي، نعم أنا أمام المحل الآن ..ماذا، أدخل ريثما  
تصلين!

قالتها صارخة في هاتفها، وعندما انتبهت أن الناس يطالعونها  
باستغراب أكملت هامسة:

\_ لكنكِ تعلمين أنني لا أملكُ المالَ الكافي وأنني سأقترضُ منك  
ما ينقصني حتى موعد استلام راتي، حسناً... سأدخل وأنتظركِ  
هناك لكن لا تتأخري .

برهبةٍ خبطت للداخل، هي مُعتادة كل عام في هذا اليوم على  
ارتياح محال الألعاب المُختلفة لكن هذه أول مرة تطأ بقدمها هذا  
المحل تحديداً، قبلاً كانت تخاف حتى من المرور من أمام واجهته،  
لكن عملها الجديد الذي وفر لها بعضاً من النقود الكافية نوعاً  
جعلها تتجرأ وتأتي إليه هذه المرة .

ظلت تتجول في المحل الواسع واستغربت أقسامه، هنا كل لعبة  
تتبع قسماً معيناً، الأولاد لهم قسم وكذلك الفتيات وهناك  
أقسامٌ فرعية للألعاب المحشوة وأخرى للمتحركة، الصغيرة  
والكبيرة، الغالية والأقل غلاءً؛ فبرغم كل ذلك، لا يزال كل شيء  
باهظ الثمن بالنسبة لها.

وقفت في النهاية أمام لعبة من نوع "باربي" جذبتها عيناها الخضراوان كعينيها، وسلاسل شعرها الذهبي العقودة في ضفيرتين ضخمتين يتدليان على كتفيها، مدت يدها تتحسس شعرها لتتفاجأ بيد ذكورية تمتد قبل يدها وتسحب الدمية قبيل أن تبلغها!!.

استدارت من وقع المفاجأة عليها، لتجد خلفها رجلاً طويلاً يُطالعها بازدراء من أدناها إلى أعلاها بلامح صلبة، لم تتكلم بل عادت لرف الألعاب لتلتقط دمية باربي أخرى لكنها سمعت صوت رخيم من خلفها يقول:

\_ هذا الرف بأكمله محجوز، يُستحسن أن تذهبي للبحث عن دميةٍ أخرى تلهين بها.

عادت إليه باستدارة غاضبة هذه المرة جعلت مقلتيها الخضراوين تشعان وردّت:

\_ يُمكنك قول ذلك بأسلوبٍ أكثر تهذيبٍ يا سيد، بنسأ لأموالك التي تجعلك تعامل غيرك بمثل هذه المعاملة الفظة!.

بالتأكيد هي لا تعرف مقدار أمواله، هي فقط استنتجتها من هيئته الفخمة للغاية ومظهره النُمق، كذلك عطره الذي اخترق رثتها لينم عن مدى جودته وغلاه.

لم تتلق ردًا منه سوى التواء طرف شفته السفلى بابتسامة سخرية، رفضت هي الخوض في حرب استفزازه؛ فتركت قسم ألعاب الفتيات برُمته وغادرت، تاركةً إياه وهو يهمس بين أسنانه:

\_" نعم، بشئًا لكل أموالِي!!".

طال انتظارها لصديقتها داخل رُدهة المحل التجاري، تحملُ بيدها سلَّة المشتريات وقد أتخمت من الألعاب المُتراصة بداخلها، وقفت تراقب فريق المحل وهم ينقلون أقسام من الألعاب بأكملها للخارج ، لتكتشف أن ذاك الرجل اللفظ هو المُشتري لها، لم تُعر الأمر اهتمامًا لكنها تفاجأت بفرد أمن يتجه نحوها ويقول بلطف:

\_"آسِتي أنتِ تُعرقلين العمل بوقوفكِ هنا هكذا، من فضلكِ قومي بإنهاء إجراءات الدفع وغادري.

تدرج خديها بألوان الخجل منه ومن عدم امتلاكها المال الكافي، نظرت للسلة بحزن لتسمع صوت وصول رسالة عبر هاتفها النقال، التقطته لتقرأ بحزن " سوف أتأخر بالطريق على ما يبدو فقد نفذ وقود سيارتي ".



انعقد حاجباها ثم عادت لأقسام المحل تُعيد بعض الألعاب إلى رفوفها حزينة وهي تحتفظ بالبعض مما تقدر على شرائه في الوقت الحالي، وقفت في النهاية أمام رفوف ألعاب الفتيات حاملة دمية باري من نوع آخر تقدم على إعادتها للرف ثم تراجع عن ذلك من جديد، في النهاية قالت هامسة بصوت مسموع :

\_ شراؤها يعني أسبوع من الذهاب للعمل سيرًا على الأقدام وغداء خالي من البروتين، لكن سلمى تستحق.

ثم دشنتها إلى السلة من جديد حاسمة أمرها، خلفها رجل عاملها بسوء منذ دقائق، وقف يدس كفيه داخل جيوبه وقد استمع لهمساتها مرغمًا، ابتسم نفس ابتسامة السخرية وهو يردد:

\_البأس الشديد لكل أموالى يا فتاة!!.

انتهت من دفع حسابها وخرجت، تفاجأت بشمس أبريلية حارقة لم تمنعها من السير صوب هدفها مُبتسمة، سعيدة بما يحتويه كيسها من ألعاب، خطواتها النشيطة تعرفُ طريقها جيدًا؛ دار أيتام " العائلة".

الجمعة الأولى من شهر أبريل هي عيدٌ لليتيم، وهي اعتادت في كل عام ارتياد دور أيتام مختلفة حتى تخفف عن أطفالها وتغمرهم بالسعادة واللفظ، حاملةً بعض الألعاب والهدايا في كل مرة، كل عام تذهب لدارٍ مُختلف حتى تتأكد من وصول الفرحة لكل الأيتام، وهذا العام اختارت دارًا يُسمى العائلة رغم أنها سمعت أنه دار عالي المستوى ويهتم بأطفاله جيدًا، وقد تأكدت من ذلك عندما قامت بزيارة له منذ أسابيع حتى أنها كونت بعض الصداقات هُنالك، خاصةً مع فتاه جميلة تدعى سلمى، وقد علق بذهنها أمنية الفتاة بالحصول على دمية من نوع باربي لتقرر هي تحقيق تلك الأمنية الغالية لها.



انتهى أخيرًا من مُهمته المحببة إلى قلبه رغم إثارتها لكل ذكريات شجنه، المهمة الوحيدة التي تُعيد إليه جزءًا من الماضي، من كامل القديم؛ فهو كل عام يحمل ما يقدر عليه من ألعاب ويدور بها على كل دور اليتامى الموجودة ببلده، يُكافئ أطفاله الصغار ببعض الألعاب التي قد تنسيهم يتمهم.

وصل إلى آخر دار وهو يحمل لعبةً واحدة فقط، هذا لأنه دار مرفه و يثق تمام الثقة من وصول آلاف الألعاب له اليوم وما

كان ليحضر إليه إلا ليتأكد بنفسه من وصول هذه الدمية الصغيرة للفتاة التي تمنيتها.

تقدّم داخل الدار وكلّ من يمر به يُحييه بحفاوة وهو يرد التحية ببرود، وقف في نهاية الردهة المؤدية للساحة التي يجتمع بها الأطفال يُطالعهم عن بعد، ابتسم بصدق مُنذ بداية يومه، رؤية الأطفال وهم يلعبون بسعادة من المشاهد التي تُثير به فرحةً غريبة، أدار دمية باربي التي يحملها إليه، نظر إلى عينيها الخضراوين، واللتين سُرعان ما ذكرته بعينين خضراوين أُخرتين طالعهما اليوم، لكن شتان بين هذه العيون وتلك؛ فعيني الدُمّية تحملان نظرةً باردة مرسومة بإتقان، أما الأخرى، تلك الأخرى التي اشتعلت بنيران غضبها مثل لهب أثارت به الإعجاب ولو لوهلة بسيطة، ابتسم مرة أخرى وهو يتذكر صوتها الغاضب وكلماتها، ليقترح ذكرها القصيرة صوتٌ يُعزف كلحنٍ يقول :

\_وهذه لسلمى الصغيرة.

نظر مُسرّعًا لمصدر الصوت المألوف، إنها نفس الفتاة التي قابلها في متجر الألعاب، تجلس على أرض الساحة والأطفال يجلسون حولها على شكل حلقات وصوت ضحكاتهم لا يهدأ أبدًا، ومن

أمامها تجلس فتاه صغيرة بالكاد بلغت الستة أعوام تتناول  
منها دمية باربي بمنتهى السعادة وتضمها إلى صدرها في حبور.  
عاود النظر إلى الفتاة، تحديقًا عيناها اللاتي شغلته، ورغم بُعد  
المسافة نسبيًا بينهما إلا أنه لمح بها نظرةً دافئةً للغاية وهي  
تُطالع الصغيرة وكأنها تضمها بنظراتها.



ابتسم بسخرية هذه المرة وهو ينظر للدمية التي بيده، الآن اتضحت الصورة، يبدو أنهما تشاجرا على ذات الدمية من أجل إهدائها إلى نفس البنت.

في موقفٍ مُشابه كان ليستدير ويغادر بعد اطمئنانه أن كل الأطفال نالوا ما أرادوه، إلا أنه وجد قدماه تسوقانه نحو ذاك التجمع الذي يشع بالبهجة، بمجرد أن بلغهم نهض الأطفال جميعهم دفعة واحدة وهم يصيحون:  
\_ " لقد وصل السيد كامل!".

كانت آخر من نهض، بخفةٍ تُناسب جسدها النحيل، لينساب ثوبها الطويل بعفوية مُلامسًا الأرض، انحنت تنفض عنه ذرات الغبار العالقة مُتمهلة كل التمهّل في مُطالعة هذا الذي جاء وقطع خلوتها مع صغارها، ومعطيةً له فُرصة تأملها جيّدًا، إنها رغم طولها المعتدل أقصر منه، قد تصل إلى كتفه أو دونه بقليل، نحيلة الجسد على ما يبدو؛ فتوبها الفضفاض يحول دون معرفة تفاصيله اليافعة، ربما حجابها مع ثوبها هما من أعطياها موقعاً مميزاً في ذاكرته، هذا لأنه لا يُقابل من هم على شاكلتها إلا مرات معدودة عدًا.

استدارت تنظر له أخيرًا، عيناها، عيناها التي أطلتْ بدايةً بنظرة حائرة مُتفحصة ثم سرعان ما تحولت بنظراتها إلى الدهشة والتي انتهت آخر المطاف بنظرة سخرية حين لمحت بيده دمية باري!.

تعلَّقت الصغيرة سلمى بقدميه تحتضنه فانقطع الاتصال البصري فيما بينهما دون أي كلام.  
قالت الصغيرة :

\_ تأخرت كثيرًا يا سيدي، لقد أهدتني الآنسة الدمية التي تمنيتها بالفعل.

نظر لها مُبتسمًا وقال :

\_ لكن لا بأس في حصولك على أخرى أليس كذلك؟  
خاصة وأنني أرى بوضوح الفارق بين الدميتين.

اقتحم صوتها الغاضب أذناه وهي تقول :

\_ قيمة الهدية لم تكن يومًا في ثمنها، بل فيما تحمله من معانٍ، يُرجى إضافة هذه المعلومة لقاموسك.

وقف الأطفال ينظرون إلى بعضهم البعض في توجسٍ وريبة، كبيرهم وصغيرهم، وانتهى بهم المطاف بالنظر إلى وجه كامل، والذي لم يظهر عليه أي تعبير، حتى أنه تأخر بالرد قائلاً:

\_ لم أتوقع رؤيتك مرة أخرى.

\_ أنت لم تتوقعها وأنا لم أتمناها قط.

\_ هل من الممكن أن تخففي من فظاظتك قليلاً، خاصة أمام الأطفال؟

أخذت نفساً عميقاً تُهدئ به انفعالها الغريب، لم تدرِ لِمَ ترد عليه الكلمة بالكلمة هكذا، لم يكن هذا أسلوبها يوماً، ولكن بمجرد رؤيته تذكرت عجزها أمامه في المتجر التجاري، تذكرته غناه الشديد، و فقرها الشديد.

نظرت إليه بعينيها المضيئتين من وسط كحلها الفحمي والذي أكسبها جاذبية مهلكة، قالت بخضوع :

\_ عذراً على تطاولي، أنا أحب تمضية هذا اليوم بسلام، وبصراحة لقد عكرت صفوه عليّ.

كان ليرد إلا أنه سمع صوتاً أنثوياً آخر يأتي من خلفه يقول:

\_ آسفة على تأخري يا غزل.

نظر للفتاه الواقفة أمامه والتي بدورها طالعت الأخرى وهي تتقدم نحوهما، إذاً اسمها غزل، فهو مجرد اسم أم دعوى صريحة بالغزل؟



ريثما كان سرخًا في اسمها الغريب، وجد تلك الفتاة الأخرى قد وصلت، بثياب ضيقة وحجاب قصير ومساحيق زينة متكلفة، لم يرتح لها منذ الوهلة الأولى.

قالت غزل بحزن: لا عليك يا سالي لقد تدبرت أمري.

\_ كنت أتوق للحاق بك في الوقت المناسب ولكن كما ترين. أومأت لها غزل بتفهم، ودت لو تنهي الحوار فهي تشعر بالمراقبة من هذا الكامل الذي يقف يطالعهما بترقب، كامل، أهو اسم أم صفة؟

انحنت تلتقط حقيبتها تنوي الرحيل، إلا أن سالي قالت لكامل بعينين متفحصتين:

\_ لم نتعرف بعد يا سيد.

من نظرة عينيها اكتملت لديه الصورة التي رسمها عنها، تبدو فتاة لعوب ولا يدر كيف يجتمع النقيضين أمامه في هاتين الفتاتين.

ردّ ببرود: لا أرى داعٍ له على أي حال.

شعرت بالحرج لكنها أردفت:

\_ لا بأس ظننتك صديقًا لغزل، وعلى كلٍ اسمي سالي، شررت بلقائك.

قالت عبارتها الأخيرة وهي تمد له يدها لئصافحه، نظر إلى كفها المدود ثم عاود النظر لعينيها وهو يضع كلا كفيه في جيوبه وقال:

—عذراً سيدتي، لا أصافح النساء.

ابتسمت غزل وكادت أن تفلت منها ضحكة على الموقف السخيف الذي رمت صديقتها بنفسها فيه، هذه العادة السيئة التي تمتلكها والتي تدفعها إلى الارتقاء داخل أحضان أي رجل يملك ولو مظهرًا واحدًا من مظاهر الثراء، وبالنسبة للسيد كامل؛ فيبدو عليه من أول نظرة أنه امتلكها جميعها.

تفحصته بنظرة سريعة باستثناء فظاظته السابقة؛ فهو يبدو كبطل هرب من إحدى الروايات، ابتسمت بسخرية لسذاجة سالي ولاعتقادها الواهن أنه يمثل هذا الأسلوب وتلك الثياب تستطيع أن توقع أغنى الرجال في برائنها، حتى ولو تمكنت من ذلك في أول الأمر فهو سرعان ما يتركها ويرحل عند أول محطة من الحقيقة، إنها يتيمة!

ونفس مقدار إقبال سالي على الرجال، هو نفسه مقدار إحجام غزل عنهم؛ فهي تستلم للواقع وللحقائق البديهية، لم تسعى في أكبر مخيلاتها لرسم صورة وردية لحياتها المستقبلية، تخشى أن

تُمني نفسها بأشياء لن تبلغها قط، تعلم أنه من الصعب بل من المستحيل أن تجد المواصفات التي تحتاجها في رجل يقبل بأن يتزوج خريجة دار أيتام.

ومن أجل هذا، تعودت أن تعيش حياتها دون أن تحلم بشيء؛ فهي تعي أن الأحلام شيء نفيس وليس مقدر لكل شخص في هذه الحياة أن يحلم وهي راضية تمام الرضا بقدرها.

سارت بجوار صديقتها مغادرتان لمبنى الدار، ومن خلفهما ذاك الرجل المدعو كامل يتأمل إحداهما بنظرة غامضة.

\_متى ستتوقفين عن تملق الرجال؟

\_عندما تبدأي أنتِ بذلك.

تنهدت غزل وتابعت سيرها وهي تشعر في قرارة نفسها أن خطواتها قد وقعت أسيرة عينان تتبرصان بها من الخلف.



\_ماذا، استغنيتم عن خدماتي؟

دوى صوت صياح غزل بمكتب إدارة رياض الأطفال التي التزمت بالعمل بها منذ أشهر، كان عليها الاعتراف بأنها تنفست الصعداء عندما قبلوا بها رغم أنها روضة خاصة تهتم بنسب العاملين بها

أكثر من أي شيء آخر، كانوا قد تغاضوا عن حقيقة نشأتها في دور أيتام ولكن يبدو أنهم عادوا ليلتفتوا لها من جديد.  
\_ آنسة غزل، الآباء يتساءلون باستمرار عنك، أبناؤهم دائمي التحدث ولا يخلو حديث من ذكر اسمك.

\_ أهذا سبب كافٍ برأيك؟

\_ أنت تعلمين جيداً مقصدي فلا تضعيني ونفسي في موضع حرج، أرجوك.

رفعت أنفها تحاول تجميع كرامتها المهدورة ظلمًا، قالت بحدة :  
\_ سيدتي، لم يكن هذا موضع حرج لي في يوم من الأيام، نعم أنا تربيت في دار للأيتام وهذا شيء لا يخجلني ولا يعيبني، ليس ذني أن القدر قد اختار والداي ليلتحقا بالرفيق الأعلى، لقد كافحت في هذه الحياة طويلاً قبل التحاق بالدار وبعد تخرجي منها، كافحت حتى تمكنت من الوقوف أمامكِ ثابتة يوم مقابلة العمل، واسمحي لي بأن أضيف لقائمة كفاحاتي كفاح جديد الآن، بأن أخبركِ أن حكمكِ أنت وأولياء الأمور عليّ ظالم، ولكني لن أعترض عليه.

قاطعتها المديرة قائلة :

\_ صدقيني يا غزل الأمر ليس له علاقة بي أو بانطباعي عنك،  
لكنك تعلمين أنها روضة خاصة وهم يهددونني بسحب أبنائهم  
منها إذا لم..

ابتسمت بتهكم وأكملت نيابة عنها:

\_ ترحل المعلمة خريجة دار الأيتام، حسناً ليكن لهم ما أرادوا.  
\_ أنا أعلم أنك تستحقين الوظيفة بل وتستحقين أفضل منها،  
وهذا ما آمل أن تجديه في مكان آخر.  
نهضت غزل عن كرسيها والتقطت حقيبة يدها الصغيرة وهي  
ترد : أقدر مشاعرك سيدتي، عن إذنك.

☆☆☆

(2)

☆ كل الأمور الجميلة تحدث صدفةً، لا أحد يضع العطر  
ويتزين ثم يسير في الشارع باحثاً حتى يلتقي بحب حياته ☆ .

"لماذا تُهدينا الحياة الفرص التي طالما حلمنا بها، ثم تُسرّع خطاها في سحبها منا من جديد بعد أن نبيّنا جبلاً من الأمل عليها، لقد انهار جبلي الأخير لتوه، ولا أظني قادرة على إعادة بناءه من جديد."

دونت هذه الكلمات القلائل في مذكراتها وهي تجلس على المائدة الصغيرة الموضوعة في غرفتها حيث تقيم، تنهدت وهي تحصي آخر ما لديها من مالٍ تسلمته من قسم الحسابات، عليها أن تُسرّع في البحث عن وظيفةٍ أُخرى قبل أن تتراكم عليها الديون مُجددًا.

مرّ عليها أسبوعان وهي مستمرةٌ في البحث عن وظيفةٍ مُلائمة، شعرت لوهلة أنه لا فائدة من شهادتها الجامعية ذات تقدير امتياز مع مرتبة الشرف، لا فائدة من ترتيبها الأول على دفعتها، لا فائدة من كل شهاداتها التكميلية واللغات الأجنبية التي حرصت على تعلمها عقب تخرجها مباشرة؛ طالما أنها لن تتخلص من ذلك الوصم الذي لا ترى به أي عيب ولا تدر أصلًا لِمَا يهتم الناس به ولِمَا يصرون على تذكرتها بالجزء الأصعب من ماضيها، دار الأيتام.

انتفضت مساءً على رنين هاتفها، لم تكن قد خلدت للنوم بعد لكنها كانت مُنهمكة مع دفتر مُذكراتها، التقطته و ضغطت زر الإجابة وهي ترجع خصلات شعرها الطويل خلف أذنها قائلة :  
\_ السلام عليكم .

\_ وعليكم السلام، هذه غزل تتكلم؟

أتاها صوت أنثوي من الطرف الآخر لترد بارتياح :

\_ نعم هذه أنا سيدتي .

\_ جيد ، لقد تقدمتِ لشغل الوظيفة التي أعلن عنها الدار منذ

ثلاثة أيام أليس كذلك؟

شعرت غزل ببلاهة الموقف، هذا لأنها -بالفعل- قد تقدمت لشغل وظيفة مُعلمة في خمسٍ دور أيتام مُختلفة لذا هي لا تدرِ هذه المُكاملة من أيهم.

حاولتِ تدارك الموقف قائلة :

\_ نعم نعم لقد فعلت، كان ذلك ترشيحًا من إحدى صديقاتي.

\_ يبدو أنه عليّ إخباركِ أنه كان ترشيحًا موفقًا فقد قبل السيد

صاحب الدار بتوظيفك وذلك لتقديراتك الباهرة، لكن يتحتم

عليك الحضور غدًا لإجراء مُقابلة روتينية معه يتوقف عليها

قبولك نهائيًا من عدمه.



\_ حسناً لقد فهمت، عذراً هلا وصفت لي عنوان الدار تحديداً.  
\_ تقع دار العائلة في...  
لم تستمع غزل لباقي الكلمات التي نطقت بها المرأة على الطرف الآخر من المكالمة، ليس بسبب علمها بمكان الدار وحسب وعدم حاجتها لعنوانه؛ بل ولعدم تصديقها أنها قد قبلت للعمل بها، لقد سبق وقدمت أوراقها به كنوع من السخرية وإرضاءً لغورها وحسب، لأنها تدرك منذ البداية أنه دار على مستوى عالٍ من الخدمات ومن الطبيعي أن يكون لديه بعض المقومات الإضافية المطلوبة في عامله، لكن يبدو أنها امتلكت بعضاً من هذه المقومات على أية حال.



انتهت صباحاً من هندمة ثيابها أمام المرأة، اختارت أن ترتدي ثوباً رسمياً بعض الشيء، أنهت لف حجابها و وضعت كحلها الأسود وبعض الحمرة على شفثتها ثم انطلقت.  
طيلة الطريق وهي تستعيد ذكراها القريبة جداً في تلك الدار، ولا تدرك كيف أو حتى لِمَا، لكنها وجدت صورة السيد كامل شاخصة في ذهنها؛ فنفضت الصورة عن مخيلتها سريعاً وابتسمت

بتهكم؛ فمن المستحيل أن تلتقيه مجددًا على أية حال، أليس كذلك؟

\_ السيد كامل؟

قالتها غزل غير قادرة على مُدارة دهشتها من رؤيته، كانت قد سمحت لها مساعدة المدير بالدخول إليه للتو، دخلت وأغلقت الباب خلفها لكن بمجرد أن استدارت وطالعت كُرسي المدير تفاجأت به، يجلس مُسنِدًا كِلا مرفقيه على مكتبه وعيونه تتربص بكل تحركاتها.

\_ أرايتِ شبْحًا؟

حاولت تمالك نفسها والتي لا تدري لم شعرت بالسعادة لدى رؤيته، وقالت :

\_ عفْوَا، لكني لم أتوقع أن...

\_ أن تجدي الرجل الذي أهنته سابقًا بيده قبولك في وظيفتك الجديدة من عَدَمه.

نظرت إليه بحدة، ليس هذا ما فكرت به إطلاقًا، لقد نسيت حتى أنها جاءت لتستلم وظيفة جديدة، كل ما شغلها هو كيف استطاع الحصول على كرسي المدير في سنه الصغير ذاك إلا إذا كان هو صاحب الدار.

قالت بحدة :

\_ وتعتقد أنني قد أتملكك صحيح؟

رفع كلا حاجبيه وهو ينظر لها كأنه يقول هيت لك، إلا أنها وعلى غير المتوقع اتجهت إلى مكتبه بخطوات ثابتة وانتشلت ملفها من بين يديه وهي تكمل بثبات:

\_ لنعتبر أن هذا الملف لم يزر هذه الدار قط!.

واستدارت تاركَةً وراءها حاجباه اللذان انعقدا اندهاشًا منها ومن فعلتها، رآها تُمسك مقبض الباب وتهم بفتحه ليجد نفسه يناديها فجأةً: \_ انتظري.

تركت المقبض، استدارت برأسها فقط إليه وطالعه بنظرة جانبية وردت : ماذا؟

نهض من خلف مكتبه وسار بخطوات ثابتة تجاهها، بدورها استدارت بكل جسدها تُطالعه بثبات، إن وقوفها بجسدها الضئيل بجوار هذه الكتلة البشرية الضخمة شيءٌ يبعث بالخوف بداخلها، لظالما خافت الرجال ذوي البنية القوية والطول الفارع، ابتلعت ريقها لتجده ينظر في عينيها مباشرة ويسحب الملف من يدها وهو يقول :

\_ أتمنى ألا تتكرر هذه الحركة منك مُستقبلاً.

بدأت حدة نظراتها تهدأ، وتحل محلها نظرات مُستغربة وهو يُراقبُ هذا التحول الحادث أمامه، شعر أنه في حُضرة قطة برية ذات مخالب وأنياب مُستعدة لأن تنهش بهما كُل من يُفكر أن يتجرأ على كرامتها.

\_ هل أفهم من ذلك أني..

\_ نعم؛ لقد تم تثبيتك في الوظيفة.

ابتسمت، هكذا بكل بساطة، ابتسمت.. كأن المُشادة الكلامية التي حدثت بينهما منذ قليل لم تحدث قط.

كادت هي على وشك الحديث، تود أن تعرف هل تمكن من كشف سرها الصغير؟

هل تراه علم بطبيعة ماضيها؟

هل علم أنها نشأت في دار للأيتام؟

لا تظنه فَعَل، مثله مثل باقي مُدراء الوظائف التي شغلها قبلاً؛

فهي تنجح دائماً في إخفاء هذه الحقيقة بالذات، وهم \_أيضاً\_

ينجحون دائماً في اكتشافها بعد أشهر قليلة من تسلمها للعمل.

تشعر أنها هذه المرة مُهتمة بالفعل بإخفاء سرها عنه حتى

النهاية، لا تُريد أن تتعري حقيقة مهمة كهذه أمامه هو بالذات،

ربما لتعجرفه الشديد الفضل في هذه الرغبة، ربما رغبتها في أن

تتمكن من رفع عينها بعينه دون أن تشعر بالدونية وبالهوة الكبيرة التي تفصل بينهما.

لم تجد شيئاً لتقوله تتبين به إن كان كشفها أم لا، لذا طرحت السؤال التقليدي في مثل هذا الموقف :

\_ متى أتسلم الوظيفة رسمياً؟

تحركت من أمامها وعاد وجلس خلف مكتبه وأشار إليها بالجلوس على الكرسي المقابل له؛ ففعلت، نظر إليها بعملية وتجاهل لمة عينها و رد:

\_ ستأخذك مساعدتي في جولة لتعرفك فيها طبيعة العمل بالتحديد، أما عن العمل ستبدأين به من صباح الغد بإذن الله. أومأت له برأسها بتفهم وشعرت أن المقابلة قد انتهت عند هذا الحد فنهضت وهي تقول:

\_ أتمنى أن تكون بداية جديدة فيما بيننا سيدي المدير.

ابتسم بتهكم ليرد: أرجو ذلك؛ فالأخرى لم ترق لي إطلاقاً.

بمجرد أن غادرت تهتد وهو يتذكر الرهان الذي عقده بينه وبين نفسه؛ ففي أثناء تفقده للملفات المتقدمين لشاغلي الوظيفة لفت انتباهه اسم مميز لم يسمع به سوى مرة واحدة في حياته؛ "غزل"، وقف كثيراً عند اسمها و الذي سرعان ما ذكره بصاحبة

عيني القطة التي التقى بها في متجر الألعاب ثم في دار الايتام،  
سرعان ما أعطى الإشارة لمساعدته بقبولها لشغل وظيفته  
الشاغرة، عاقداً رهاناً بينه وبين نفسه أن غزل خريجة كلية  
التربية لرياض الأطفال والحاصلة على تقدير امتياز، هي ذاتها  
تلك القطة الشرسة التي استطاعت أن تحفر اسمها داخل  
ذاكرته، وها هو اليوم قد كسب الرهان.

نهضت مساعدة السيد كامل عن كرسيها فور خروج غزل من  
مكتبه، قالت ببشاشة:

\_ أظن أنها كانت مقابلة ناجحة.

أومأت لها برأسها لتُكمل المساعدة: إذا اتبعيني.

سارت بجوارها تتفقد الدار لتردف الفتاة:

\_ في البداية دعينا نتعرف، اسمي فاتن وقد عملت هنا منذ مدة

طويلة، أظن أنني أكبر منكِ فعمري مثل عُمر السيد كامل تمامًا

أي خمس وثلاثين عامًا.

أومأت غزل برأسها لترد :

\_ نعم، لا أزال في الخامسة والعشرين.

ضحكت فاتن قائلة :

\_ يا إلهي الفرق عشر سنوات، أتمنى ألا ترينني عجوزًا الآن.

بادلتها غزل الضحك مُجاملة، لايزال عقلها مشغولاً بالسيد  
كامل، ويبدو أن لسانها قد أخذ الإذن منه ليسأل قائلاً:  
\_ عفوًا يا فاتن، كيف استطاع السيد كامل في سنه هذا أن  
يصبح مديرًا للدار؟

نظرت إليها فاتن مسرعة لتُجيب باستهجان :  
\_ بربك يا فتاة ألا تعرفين حقاً، وكيف لا يُصبح مُديرًا للدار وهو  
صاحبها؟

اتسعت عينا غزل بصدمة لكنها سرعان ما تداركت موقفها أمام  
فاتن وعادت لتقول :  
\_ هذا شيءٌ غير متوقع بالنسبة لي.

\_ نعم، لكنه ليس دائم الحضور إلى هنا؛ فهو مسؤول عن باقي  
أعمال والده الغائب.

أومأت بتفهم وهي تشعر باستمرارية توسع الهوة الفاصلة  
بينهما، ولا زالت لا تدرك ما الفارق الذي تُشكله هذه الهوة لها؟  
أخذتها فاتن في جولة طويلة في الدار وقامت بإفهامها معظم  
المسائل التي ستتولاها، سيكون تعاملها مع الأطفال الذين  
يتراوح أعمارهم فيما بين حديثي الولادة و الصفوف الثلاث  
الأولى من حلقة التعليم الابتدائي، ستحصل على أجر مُضاعف

وذلك يرجع لاعتنائها بحديثي الولادة ذوي المهام الصعبة  
وسيساعدها في ذلك فتاةٌ أخرى.

دخلتا القسم الخاص بحديثي الولادة، نظرت غزل في أرجاء  
القسم الواسع حيث الأطفال ينامون في سرائرهم المريحة  
والقليل يبكي، شعرت بقبضة قوية تعصر صدرها لرؤيتهم هكذا  
رغم العناية الفائقة التي يتلقونها، ولكنها مهما بلغت لن  
تستطيع أن تعوضهم حنان الأم، تعرفُ هذا لأنها جربته!.

اقتربت من فتاة تقف تُهدد طفلاً صغيراً حتى يتمكن من النوم،  
وضعته في فراشه بهدوء ودثرتُه جيداً والتفتت تنظر إليهما  
باسمة، تكلمت فاتن أولاً إذ قالت بصوت خفيض وهي تنظر  
لغزل:

\_ هذه صفاء، الفتاة التي ستساعدك في قسم حديثي الولادة.

نظرت لصفاء وقالت :

\_ وهذه غزل المعلمة الجديدة التي تم تعيينها، أرجو أن تهتما  
جيداً بالأطفال.

أومأت الفتاتان في حين مدت صفاء يدها أمام غزل وقالت  
بهمس: \_ سعدت بالتعرف عليكِ.

صافحتها غزل وابتسمت ترد: وأنا أيضاً.



وقفت غزل خارج قسم الأطفال برفقة صفاء\_ والتي تصغرها  
بعام\_ تتعلم منها بعض الأمور المتعلقة بهم، شعرت لوهلة أنها  
ستصير أمًا للمرة الأولى ولكن ليس لطفلٍ واحد، بل لخمسٍ  
وثلاثين طفل قابلين للزيادة في أي وقت وهو شيءٌ لا ترغب به،  
ليس خوفًا من تفاقم العمل ولكنها لا تُحب فكرة أن يُحرم  
طفلٌ جديد من أمه مهما كان سبب هذا الجِرمَان، وقابلين  
كذلك للنقصان عن طريق نظام الكفالة الذي يضمه الدار.  
صفاء:

\_ستجدين العمل مُتعبًا في البداية وستحتاجين وقتًا لتعتادي  
عليه، لكن بمجرد أن تفعلي سُحلقين في السماء السابعة مع  
كل ضحكة ترينها منهم، إنهم كنزي الجميل والذي أستقبل كل  
يوم جديد على أمل رؤيتهم.  
\_تبدین شديدة التعلق بهم.  
نظرت لها وابتسمت لتقول: وكأن الله يعوضهم بنا وبحبنا عن  
أمهاتهم.

أومأت غزل وهي تُبادلها الابتسام، نعم كانت سعيدة بالطبع  
لتسلمها للعمل، ولعرفتها بالراتب الضخم الذي يُعادل ضعف  
ما كانت تتقاضاه، لكنها لا تستطيع نُكران تلك القبضة الموجهة

التي تعتصر قلبها كلما زادت جولاتها بالمكان؛ هذا لأنه وبكل بساطة تذكرها بذاتها القديمة، تُذكرها بحقيقة روحها اليتيمة، حتى توشك على الاختناق.



خرجت من الدار بعد أن تعرفت على كل ما ينبغي عليها فعله هناك، ارتاحت كثيرًا لفاتن وصفاء وشعرت أنه من الممكن أن تكون صداقة معهما، قاطع تفكيرها رؤيتها لسيارة فارهة سوداء تخرج من بوابة الدار الأخرى، استطاعت بلمحة واحدة أن ترى من بداخلها... السيد كامل يجلس خلف مقوده ويرتدي نظارة سوداء تخفي نظرات عينيه عنها، تلك النظرات التي استقرت عليها في البرهة القصيرة التي استغرقها ليستدير بسيارته ويغادر. رؤيتها له في نهاية يومها الحافل جعلتها تغير وجهتها في ركوب المواصلات العامة؛ فبدلاً من التوجه للمكان حيث تُقيم، استقلت سيارة أجرة تتجه لمكانٍ آخر بعيداً كل البعد عنها لا تزوره بانتظام ولا حتى في فترات مُتقاربة، مكانٌ كان ينبغي له أن يكون حصنها الآمن في الحياة ليتحول بعد ذلك مع بلوغها واستمرارية جسدها الغض بالنمو إلى أكثر مكان يُهدد أمانها.

فتحت سيدة خمسينية الباب بعد أن دق بدقات تحفظها عن ظهر قلب، سرعان ما تشابك الجسدان في عناقٍ طويل وصادق ينم عن الشوق الكبير، جلست غزل في صالة البيت تنتظر قدوم تلك السيدة من المطبخ بعد أن أصرت على إعداد وجبةٍ طعامٍ لها، لاتزال تراها نحيفة وبحاجةٍ إلي تغذية بعد مرور كل تلك السنوات على مغادرتها لهذا المنزل.

تلقائيًا ذهبت عيناها نحو باب عُرفَةٍ مُغلقٍ، ابتلعت ريقها بضعف وهي تتذكر تلك الليالي الوردية التي قضتها خلف ذاك الباب، لتستحيل ورديتها إلي ظلامٍ دامسٍ مع مرور الوقت ومع التفاف جسدها الغض بملامحه الأنثوية، تلك الملامح التي جذبت عيني الذئب الذي ظل يترصص بها طويلًا.

أيقظتها السيدة من غمرة ذكرياتها بخروجها من المطبخ حاملةً صينية طعام يبدو شهوي، وضعتها على السفرة وهي تقول: أتمنى أن يُعجبك طعامي يا ابنتي.

\_ لظالما كان يعجبني، سيدة هناء.

نظرت إليها السيدة بحزن وهي ترد: أرجوكي غزل، لا تعاقبيني بذنبه، لا تحرميني من سماع لقب أمي منك.

\_ لكنك تعلمين لم لا أناديك به، لا أريد أن أُعلق قلبي بشيءٍ لا أستطيع البقاء معه.

دمعت عينا السيدة هناء وهي تقول: ولكنه يُهَوِّن علي ابتعادكٍ عن أحضاني، إن هُجرانك لي لأهون علي من هُجرانكٍ لحق أمومتي عليكِ، أنتِ لا تعلمين معنى أن تنشأ طفلتك بين أحضانك منذ صغرها ثم ولأسباب قهرية تضطرين أن تلقينها بعيدًا عنكٍ بطول ذراعك، لا تدركين مدى صعوبة ذلك يا ابنتي. ارتمت غزل بين أحضانها لا إراديًا عقب تلك الكلمات، كأنها تُذَكِّرها وتذكر نفسها أن هذه الأحضان لا تزال ملكها، ولا تزال حصنًا لها حتى ولو انهار أحد جوانبه ذات يوم.

انتهت من تناول طعامها والذي كان شهيقًا كما اعتادته من بين يدي السيدة هناء لمدة خمسة عشر عامًا، جلست معها تروي لها مُلخص آخر الأحداث التي جرت معها في حياتها، عن العمل الجديد الذي التزمت به، وعن المُرتب الذي تستبشر به خيرًا، وعنه!...ذاك الشخص الذي رماها القدر بين يديه بطريقةٍ غريبة ومُبهمّة.

قالت هناء: كوني على حذر يا ابنتي، هؤلاء الأغنياء ينظرون إلى من هم مثلنا نظرةً دونية، كأننا وجدنا في هذا العالم من أجلهم

هم، من أجل أن يُظهروا جانبهم الحيواني معنا دون أن يتضرر مجتمعهم المثالي المزعوم.

نظرت إليها غزل لتقول بثبات: أليس كما فعل هو معي؟ علمت هناك أنها تُشير إلي زوجها حسام، ذاك الرجل الثري الذي تزوجها سرًا وجاء ليُلقي بها في هذا الحي البسيط في بيتِ كتبه باسمها، يزورها بين الحين والآخر يجلبُ لها الأموال والمؤن الضرورية، وبالطبع يُلبي رغباته معها، لا تدري ما الأساس الذي استندت إليه علاقتهما معًا حتى هذه اللحظة؛ فمن المُستحيل أن يكون حُبًا، لا يوجد أي شيء يجعلها تظن ذاك الظن ولو للحظة تباهي؛ فزواجه السري منها ما كان إلا ليحفظ مكانته الاجتماعية التي حتمت عليه وقتها الزواج من ابنة أحد الأغنياء على شاكلته، ولكنها لم تفِ بالغرض على ما يبدو لذا راح يُليبي رغباته خارج إطار الصورة التي تجمعها بها، والتقى بها ذات ليلة في أحد الفنادق حيث كانت تعمل نادلة، وقتها حاول أن يستدرجها بأمواله لتسير معه في طريق غير شرعي لكنها رفضت وأصرت على الزواج الرسمي، وكان لها ما أرادت. قطع تفكيرها صوت غزل وهي تقول: أتعلمين أنني صرت أكره الرجال بسببه.

يا إلهي، ألن يخلو حديثنا منه ومن ذكره، دعك من كل هذه  
الأمور ودعيني أستمتع بالوقت الذي نقضيه سويًا فنادرًا ما  
يتكرر.



(3)

☆ نحن عبارة عن آبار أسرار تسير على قدمين  
☆ إياك أن ترفع غطاء بئري؛ فتسقط به غريق. ☆

استطاع كامل أن يلتقط بأذنيه أصوات الجلبة التي تدور في صالة استقبال الضيوف فور دلولفه للمنزل، على الفور ميز الصوت الأنثوي الحاد الذي هدأ فور دخوله للحظة واحدة ثم سرعان ما علت وتيرته من جديد حتى أنها قالت:

\_ وها قد وصل عظيم الشأن، السلطان العظيم، كامل باشا. دخل الصالة بخطواتٍ ثابتة ووجه مُتجهم ينم عن غضبٍ كبير يفور بداخله، بأعماق قلبه، وجدها تقف في المنتصف وعلى الأريكة أمامها تجلس السيدة مريم مطأطأة الرأس. تخطى الفتاه الواقفة بتجاهل وجلس على رُكبتيه قبالة السيدة ليتمكن من رؤية وجهها المنكّس، قال بصوتٍ خفيض: هل تبكين؟

حرّكت رأسها ذهابًا وعودة أن لا، لكنه تمكن جيدًا من رؤية رموشها المبتلة والتي كانت كفيلة بجعله ينتفض واقفًا في مكانه ويستدير للفتاة بكل طاقة غضبه ويقول: سأحاسب الحرس جيدًا على سماحهم لك بالمرور إلى هنا، وسأحاسبك حسابًا مريزًا على ما سببتيه لها.

احتضنت خصرها الرفيع بكلا كفيها وهي تقول باستهزاء:



\_ لكم هو مضحكٌ أن يمنع الغريبُ أصحابَ الدار من الدلوف إليه.

ابتلع غصة تلاعبت في حلقة كادت أن تخنقه، كاد أن يرد لكنه سمع السيدة مريم تهب في مكانها من خلفه وتصيح بالفتاة:  
\_ الزمي حدودك يا صبا، كامل هو المالك الوحيد لهذا الدار وكل الديار.

دوّت ضحكة صبا الخليعة في المكان، وضعت كفها على فمها وهي تقول بغیظ:

\_ بالفعل، لقد كان هناك عدة ديارٍ له، أتودين أن أذكركِ بذلك؟  
\_ يكفي.

صاحت السيدة مريم مهددة مع نظرة غضب.

\_ ماذا يا زوجة عمي، أتخافين على مشاعر هذا اللقيط؟!!!



ارتشفت غزل الشاي وهي تنظر للسيدة هناء بينما كانت مُنهمكة في حديثها، قالت بعد أن فرغت هي:

\_ يستوقفني خلو حديثك من ذكره كلما زُرتكِ.

\_ تقصدين حُسام؟

أومأت غزل برأسها أن نعم، ردت هناء:

\_ انقطعت أخباره عني منذ أمِدٍ طويل، وأنا اعتدتُ الغياب.

\_ غائبٌ منذ شهرٍ؟

\_ منذ عامين.

\_ ربما يكون.....

سكنت لتكمل بنبرة ذات معنى: ربما أصابه مكروه .

نظرت إليها على الفور لترد: لقد غاب عني بعد رحيلك عام كامل  
كنوع من العقاب، وأخر مرة رأيته بها كان غاضبًا أيضًا بسبب  
علمه بمجيئك للزيارة في غيابه، أعتقد أنه يُعاقبني .

ارتشفت الشاي تُبلل به حلقها الذي جف من مُجرد الفكرة، أنه  
ربما يكون قد مات دون أن تدري عنه شيئًا.

نظرت إليها غزل ولامست خوفها وجزعها، وتمنت بداخلها أن  
يكون تكهنها عنه حقيقة! .



كادت السيدة مريم أن ترد، حتى أن جسدها الوهن قد سبقها  
وارتعش من عِظم رفضه للحوار الدائر بحضرتها، اندفعت تنوي  
أن تتخطى كامل الواقف أمامها كالسد، تُريد أن تقص عُنق تلك  
الفتاة ابنة شقيق زوجها والتي تجرأت على فتح جراح ابنها العزيز

وليد روحها وقلبها، إلا أنها تفاجأت بكامل يوقف اندفاعها  
الصغير رافعًا ذراعه أمامها برفق؛ فتوقفت.

التمعت عينا كامل عندما طالع صبا ليقول بغضبٍ مكتوم :  
\_ أصبتِ الحقيقة يا صبا، ونعم أسمعُ لكِ بتعداد الديار التي  
سكنتُها؛ لكني لا أرى داعٍ لذلك، طالما أن كل الحضور هُنا  
يُفطنون أمرَها.

اختفت ابتسامتها عندما وجدته يُكمل بثبات:  
\_ وبالنسبة للأموال التي جئتِ للمُطالبة بها؛ فأنتِ أدري الناس  
بأننا لم نجزم بأمر وفاة عمكِ بعد، والذي يبدو أنكِ تتمنينها من  
كُل قلبك، ولكن سفره وانقطاع أخباره لا يعني وفاته، وحتى  
ذلك الوقت ليس لديكِ عندي قرشًا واحدًا.

تجهم وجهها وأوشكت على الحديث إلا أنه استدار وغادر المكان  
وهو يقول: أنتِ بالتأكيد تعرفين مكان الباب.

بمجرد أن وجد نفسه وحيدًا في عُرفته سمح لسيل ذكرياته  
بمُهاجمته، تلك الذكريات التي لا تفارقه لليلةٍ واحدة، ويبدو أنها  
ستكون أكثر ضراوة الليلة.



دخلت غزل الدار وهي تلتفتُ حولها، هُنَاكَ بعض الأطفال الذين يلهون داخل الفناء وأصوات ضحكاتهم كانت طربًا لأذنيها، ابتسمت باسترخاء وشعرت بالشكر الشديد تجاه السيد كامل الذي يوفر لهم مثل هذه الحياه الهانئة.

دلفت للمبنى المُخصص للمدرسة داخل الدار والذي كان كبيرًا جدًا ومُزود بكافة احتياجات الطلاب، وقفت أمام الصف الثالث تُعرفهم بنفسها ثم بدأت في شرحها، تعجبت من أدب الأطفال وإصغائهم التام لها، حسنا يبدو أنها لن تواجه أي تحديات في هذا المكان المريح على أية حال.

للمت أغراضها وخرجت فور أن دق الجرس، تفاجأت بذلك الجدار البشري الذي ارتطمت به فور خروجها من باب الفصل، تراجعت للوراء بخجل ورفعت بصرها حتى تعتذر لتجده السيد كامل.

\_ عذرا سيدي لقد كنت على عجلةٍ من أمري .  
عدل من وضع هندامه وهو يرد: لا عليكِ، جئتُ لكي أطمأن كيف يسير العمل.

ابتسمت وتهللت أساريرها لترد: لقد كان وقتا رائعا والأولاد غاية في اللطف و..

قاطعها وهو يقول ببرود : عفوًا، أنا لا أطمأن عليكِ بل على الأطفال، حصتك القادمة في الصف الأول أليس كذلك؟، هيا اتبعيني.

قال كلماته تلك وتحرك من أمامها يسير للحجرة المخصصة لطلبة الصف الأول، لقد أجزمت بينها وبين ذاتها في تلك اللحظة أنه حاز على نصف نصيب البشر من قلة الذوق.

دخلت الصف خلفه، وتفاجأت به يسير في الرواق الفاصل بين صفوف الطلاب ليستقر بجسده الضخم على كرسي في آخر الصف، بربك هل تنوي حقًا حضور الشرح؟

وجوده هكذا، يجلس أمامها لا يفصل بينهما سوى بضع أمتار قليلة، نظرات عينيه الحادة مثبتة عليها وعلى كافة تحركاتها؛ أجمها.

بمنتهى البساطة شعرت نفسها مُكبَّلة، اعتادت الشرح للصغار لكنها لم تعتد أبدًا جلوس لجنة تحكيم تنتظر زلاتها، خاصة إن كانت تمتلك تاريخًا سيئًا مع تلك اللجنة.

كادت أن تتكلم وتُعرف نفسها، لكنها تفاجأت بتلك الصغيرة سلمى تنهض من مقعدها الأمامي وتركض نحوها وترتمي عنوة في أحضانها، بالطبع لم تَظُل سوى أقدامها لذا انحنت غزل إليها

تُبادلها العناق، شعرت بالفعل أنها بحاجة لجرعة الحب هذه  
تمهيدًا للحرب التي تنتظرها مع كامل.

\_ لا أصدق عيناى، الأنسة غزل اللطيفة هُنا مرةً أُخرى.

\_ سأكون معلمتك من اليوم وصاعدًا، والآن هيا عودي لمقعدك  
ودعينا نبدأ الشرح .

تمكنت من استعادة رباطة جأشها، وروحها الحرة التي لا تظهر  
إلا داخل حجرة الصف

تفاجأ كامل بمن يراها أمامه، شعر أنها تبدلت تمامًا لشخصٍ  
آخر حالما بدأت الشرح، شخص أكثر لطف ولين، رآها توزع  
البسمات والضحكات على الأطفال جميعًا، حرصت طيلة  
الحصّة على التعرف عليهم بقدر تعرفهم هُم على المادة العلمية،  
وكانت المفاجأة أنها تمكنت من حفظ أسمائهم جميعًا بمجرد  
انتهاء الحصّة الأولى لها معهم. لا يستطيع نكران أنه أُعجب بها  
وبطريقة شرحها وتعاملها مع الأولاد.

\_ انتظر.

سمعها تُناديه من خلفه بمجرد خروجه من حجرة الصف،  
استدار لها ليجدها تطالعه بعينيها الشرستين بنظرة تحدي  
مُعتادة.

\_ ماذا ؟

\_ لقد سمحت لنفسك باقتحام حجرة الصف على معلمة مُستجدة، لذا فمن حقي على الأقل أن أعرف ما هو تقييمك لي بدلاً من أن ترحل هكذا بمنتهى السهولة.

\_ عذراً؟!، هل نسيت أنك تتحدثين لمدير الدار؟

\_ مدير الدار ومالكه، نعم أعلم ذلك، ولكن هذا لا يُعطيك الحق فيما فعلته.

حك جبهته بإصبعه وهو ينظرُ جانباً حتى أنه عض على شفته السفلى، استطاعت استنتاج أنه يُحاول كبح غضبه وربما استغرابه، نظر إليها على الفور، عيناها المشعتان تحاربان الكلام داخل جوفه لكنه استطاع التغلب على سحرهما ليقول بثبات:  
\_ استمعي إلي أيتها الفتاة، إذا أردتِ حقاً الاستمرار في هذه الوظيفة إياك والاعتراض على أي شيء أفعله، إياك!!.

ثم استدار وتركها خلفه تُهرتل بوضع كلماتٍ غاضبة، كل ما استطاعت أذنه التقاطه هو صياحها قائلة:

\_ أهذا تهديد؟!... هيببي أنا أكلّمك هنا، أيها السيد المغروور.  
ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفته وهو يرحل، لا يُصدق أنه وظف تلك الداهية عنده.

وقفت هي تراقب رحيله ولم تستطع أن تكبح ابتسامة دافئة تسللت لشفتيها وهي تتذكر هيئته وهو يُراقب تحركاتها، تكاد تُجزم أنها لمحت نظرة انبهار داخل مقلتيه وهو شيء أحبته بشدة.



" ستنامين الآن، ثم تتفاجئين باستيقاظك على واقع الحياة بعد عشرين عامًا، ستجدين أمامك تحديات كثيرة وستكونين حينها قد تخطيت تحديات أكثر، مثل تخصص المدرسة الثانوية و العراك الدائم بين قسميه العلمي والأدبي، ثم أمامك صراع من نوع آخر وهو بأي كلية تلتحقين ، وهناك سوق العمل الذي سأترك لك حق التعرف عليه بنفسك ، لذا وفري كل هذا البكاء الآن ستحتاجين إليه ذات يوم ولن تجديه يا صغيرة "

وقفتُ في قسم الأطفال الرضع في اليوم التالي، تحمل طفلة صغيرة تبكي وهي تهدهدها قائلة تلك الكلمات بعد أن أرضعتها الحليب وبدلت حفاضتها ، التفتت إليها صفاء وقالت هامسة :

\_ هيي أخفضي صوتك، ليس من أجل أن تخلد غفران للنوم توقظين البقية .



\_ حسناً حسناً، الحق عليّ أني أسليها.  
\_ حقاً تفعلين، لو أني مكانها لتمنيت الموت يا ذات الكلمات  
المتفائلة.

ارتسم الرعب داخل مقلتي غزل وقالت خائفة: لا تذكر الموت  
وسط أطفال رُضع كل ما يمتلكونه هو الحياة!!.

و دون إرادة منها ضمت الصغيرة إلى صدرها لا تدري هل تُطمئنها  
وتبثها الأمان أم تُطمئن نفسها بها.

وفي تلك اللحظة تحديداً كان كامل يقف عند باب القسم المُغلق  
بإهمال سمح له أن يراها على وقفاتها تلك، ولا يدري ما تفسير  
الشعور الذي بثته مُشاهدتها مع تلك الصغيرة داخل قلبه، لكنه  
تذكر الهدف الذي جاء لأجله.

ترك مشاعره عند الباب ثم طرق بضع طرقات خفيفة ودلف  
بجسده للداخل.

طالعته غزل بنظرة مُحذرة فور دخوله ألجمت لسانه، حتى أنها  
قامت ببعض الحركات مُحركة مقلتيها صوب سرائر الأطفال  
فيما معناه أنهم نائمون، تلتها نظرة غاضبة مُتقدمة فهِم أنها  
تهديدٌ صريحٌ حال تحدّثه بصوتٍ عالٍ!!.

كتم ضحكاته داخل جوفه إثر شعوره أنه هو من يعمل لديها وليس العكس، أشار لها برأسه أنه ينتظرها في الخارج ثم خرج صامتاً مثلما دخل.

وقفت أمامه خارج قسم الرضع حديثي الولادة، مرت بضع اللحظات قبل أن يتكلم وقد كانت كافية ليلحظ بعض العبرات العالقة داخل مُقلتيها، يبدو أنها كبحتها بمهارة، لكنها لن تضاهي مهارته في كشف الدموع الحبيسة، تجاهلها مُرغماً وقال :

\_ هناك أسرة داخل مكثي تريد أن تتكفل بطفل.

تهللت أساريرها ولعت عيناها لعة مُحبة وقالت:

\_ حقاً؟!، إنه شيءٌ رائع.

حافظ على هدوئه و رد :

\_ إنه شيءٌ شائعُ الحدوثِ هُنا، على كلِّ جئتِ لأخبركِ بتجهيز

الفتيات فهم يرغبون بأنثى، وأن تكون صغيرة على الأقل لم تُكمل

عامها الأول بعد.

\_ لكنهم خلدوا للنوم لتوهم!.

\_ وماذا في ذلك؟ سيعودون سريعاً على أية حال.

\_ ألا تعلم؟ خروجهم من جو الغرفة للبهو ثم إلى مكتبك قد يعرضهم لنزلة برد في مثل عمرهم الصغير، من الأفضل أن تأتي الأسرة إلى هنا.

حك جبهته وقال من بين أسنانه: حسناً حسناً. استدار وتركها مغادراً واستطاعت سماعه وهو يقول ساخراً: نزلة برد في أبريل، بالطبع كيف لم تخطر ببالي؟!.

وقفت الأم الحاضنة بين سرائر الأطفال الذين يغطون في نوم عميق، بجوارها زوجها الذي يبدو سعيداً بمقدار سعادتها، ينقلان أبصارهما بين الفتيات وهما يبحثان عن تلك الخطفة التي سمعا بها عند حدوث الكفالة، وبالفعل استقر نظر الأم على الصغيرة التي أخذتها غزل للنوم لتوها وقالت: هذه هي صغيرتي.

قالت غزل من خلفها بدون وعي : غفران؟

استدارت لها الأم في نفس اللحظة التي طالعها بها كامل بريية،

قالت الأم : هل هي مُسماه ؟

أسرعت تتدارك تسرعها وقالت:

\_ لا لا ، أنا فقط أحب إطلاق الأسماء على الصغار هنا، أشعر

بأن ذلك يمنحهم المزيد من آدميتهم المسلوبة.

ابتسمت الأم وتناولت الصغيرة من داخل سريرها وضمتها بحب، تملمت الفتاة في نومها وتلاعبت شفتاها فابتسمت المرأة دامعة العينين وقالت: عُفران، سأسميها عُفران .

وقفت غزل تُشاهد رحيل الصغيرة عُفران مع عائلتها الجديدة بعد أن انتهوا من كافة إجراءات الكفالة، جاء كامل من خلفها وهو يقول:

\_ هل ستمضين اليوم واقفة هنا؟ هناك فصول بانتظارك.

استدارت برأسها إليه ليلمح عبراتها من جديد، لم يستطع تجاهلها هذه المرة ليقول : أُمجددًا؟

أسرعت تمسح دموعها لترد:

\_ إنها دموع السعادة، أنا سعيدة لقدرة عُفران الذي ابتسم لها أخيرًا اليوم.

تأخر في رده لتنظر إلى وجهه، بدا عليه الشرود حتى أنه قال بغموض: ليتته كذلك؛ فالأمور ليست دائمًا كما تبدو.

وقبل أن تستوضح مقصده جاءتها فاتن تحمل جدول حصصها بعد التعديل وكانت هذه فرصة سانحة لكامل أن يهرب من أمامها سريعًا بعدما لمح طيف سؤال عابر داخل مقلتيها.

\_ هل تعلمين أن هذه أول مرة أرى فيها كامل يومان متتابعان داخل الدار؟

قالتها فاتن لتجذب انتباه غزل فتنظر إليها مُستفهمة بنظراتها، لتكمل فاتن: كان مشغول جدًّا في الأونة الأخيرة منذ رحيل والده فهو يقسم أيامه بين عمله هنا و أعمال والده المُتراكمة. أومأت لها بتفهم و ردت قائلة: يبدو أنك تهتمين لأمره، بطريقة أو بأخرى.

ضحكت فاتن بصفاء و ردت: وكيف لا أهتم به ؟ برأيك رجلٌ مثله ألا يستحق الاهتمام؟

لا تدرِ لم لكنها شعرت ببعض الضيق إثر كلمات فاتن الموجزة، لم تعقب بل تناولت منها جدول الحصص واتجهت إلى مبنى المدرسة وسؤال فاتن يتردد كل حين داخل أذنيها، رجلٌ مثله بالتأكيد يستحق الاهتمام ولكنها تشعر أنه يُخفي أمرًا ما ، ولعله يكون السبب الأكبر في تجهمه الشديد معظم الوقت.



(4)

☆ القلبُ أبرعُ من يقوم بدور الفتى المتمرد، تقول له إلهذا  
الشخص؛ فيرد عليك بخفقةٍ تجاهه تُقسم ألا تكون لغيره  
☆

" الحياة تُحاول أن تلعب لُعبتها معي مُجددًا، تظني حمقاء لم أتعلم الدرس بعد، تظني قد أتعلق بأحدهم من جديد حتى تُمارس هي هوايتها المُفضلة في سحبه من بين يدي، هذه المرة سأقطعُ عليها مُتعتها، لا مزيد من الألاعيب على حسابِ قلبي " جلستُ على فراشها في المساء تُدونُ هذه الكلمات في دفتر مُذكراتها، مرَّ على التحاقها بالعمل ستة أشهرٍ كاملة، تقوم به بمُنتهى التفاني والإخلاص، عملها مستمرٌ حتى خلال العُطلة، تُجيد توزيع وقتها بين الأطفال الرُضع وأطفال المرحلة الأساسية، تشغل وقتها طيلة تواجدها بالدار عليها تشغُل عنه، لكنها عبثًا تُحاول!.

صارت نفسها عصية عليها، تشعر بهذا جيدًا، تشعرُ به يتسرَّب تدريجيًا إلى خلايا روحها، تُحاول التنصل منه، الهرب من غموضه الذي يُجبرها على التفكير فيه دومًا، لتجد نفسها في النهاية قد غرقت به أكثر.



انتهت من شرح حصتها للصف الثالث، لقد بدأ عامٌ دراسيٌ جديد وطلاب هذا الصف هم ذاتهم طلاب الصف الثاني للعام المنصرم، اللهم إلا طالبين أو ربما ثلاث حديثي الالتحاق بالدار،

تشعر أنها صارت فردًا متأصلاً في هذه الدار، عليها الاعتراف أنه أكثر مكان مريح التحقت للعمل به على مدار سنين حياتها، استطاعت في هذه الفترة البسيطة أن تقوي صداقتها بصفاء زميلتها في رعاية الرضع، وحتى فاتن رغم تحفظها الشديد على كلامها المُستمر عن كامل ومع كامل.

وجدت نفسها تقفُ أمام مكتبه دون شعور، هذه عادةٌ قبيحة اكتسبتها مؤخراً، ولا يوجد لديها أي حجة مقنعة تُقدمها لفاتن هذه المرة.

وجدتها تنظر إليها بدهاء وتقول:

\_ امممم، أخبريني عن عذركِ هذه المرة يا بنت.

تهددت غزل باستسلام لترد: أقسمُ لكِ أنني كنتُ سرحة.

\_ عذراً أقبحُ من ذنب، كيف لنا أن نثق بمُدربة كلما سرح بها

خيالها وجدناها تقفُ أمام مكتب مديرها؟

أسرعت غزل تضع كفها على فم فاتن وهي تتلفت حولها قائلة:

\_ يا إلهي أخفضي صوتك القبيح هذا.

قالت فاتن من تحت يديها اللتان تحاول اسكاتها:

\_ أنا صوتي قبيح؟!... حسناً سيثي هذا الصوت القبيح بكِ

عاجلاً أم آجلاً.



تسمرتا مكانهما عندما انفتح باب مكتب كامل، سرعان ما اعتدلتا في وقفتهما عندما شعرتا بسحابة الحزن التي تحوم بالداخل.

\_ ماذا تفعلان؟

قالها كامل وهو يُمسكُ بمقبضِ الباب، وجهه حزينٌ للغاية، تكاد تُجزم أنها أشد المرات التي رأت بها الحزن يحتضن ملامحه، حزن شديد لدرجة أنها تريد احتضانه من قساوة ملامحه.  
\_ لا شيء يا كامل، ماذا لديك بالداخل.

قالتها فاتن بأريحية تحسدها عليها غزل في حضرته المهيبه.  
على الفور وجه نظره للداخل وقال بصوتٍ خفيض:

\_ أحتاج إليك يا فاتن وبشدة، الموقف هنا شديد التأزم.

ثم عاود النظر إلي عينيها وقال بصوت مُهتز: أرجوكِ.

انسحبت فاتن من أمام غزل دون كلام، دلفت لمكتب كامل الذي سُرعان ما دلف وراءها وأغلق الباب، وقفت هي خارجًا تزدرد ريقها بصعوبة، مشاعرٌ عدة اختلجت بصدرها في تلك اللحظة، الحزن البالغ عليه ثم الغيرة الكبيرة من لجوئه لفاتن دون غيرها، دونها هي، ليس هذا الموقف الأول الذي يستعصي

عليه ويركض فيه طالبًا المساعدة منها، باتت تشعر بقوة العلاقة التي تربطهما معًا، لكنها لا تزال عاجزة عن تحديد نوعها. انفتح الباب أخيرًا وكانت هي تجلس خلف مكتب فاتن، لم تستطع المغادرة دون الاطمئنان عليه ولحظها كان هو من يقف عند الباب لحظة انفتاحه.

\_ ألا تزالين هنا؟

\_ أنهيتُ دوامي، وبصراحة لم أستطع أن ...

ارتبكت في الكلام لكنها أكملت: أردتُ الاطمئنان على ما يحدث بالداخل فقد وصلني من هيئتك شعورًا مقيتًا.

أومأ لها بتفهم وأفسح المجال عبر الباب وقال : يُمكنكِ الدخول. وكأنها كانت تنتظر إذنه إذ أسرعَت تعبر المدخل أمامه في حين وقفت فاتن حتى تخرج لتباشر أعمالها.

وجدت طفلاً صغيراً يجلس على الأريكة الموضوعة بزواية المكتب، يضمُ ركبتيه إلى صدره ويبكي بكاءً صامتاً، هيأته مزقت قلبها على الفور إذ يبدو أنه يبكي منذُ مدة طويلة، ربما منذ أن استدعى كامل فاتن!.

تقدمت منها فاتن وقالت لها: يمكنكِ المحاولة معه، للأسف لم أفلح.

تركتهَا وغادرت دون شرح، أسرع عقلها يحلل الموقف ليبرر أنه ربما طفلٌ جديد للدار، مات والداه مثلاً، بسرعة نظرت لكامل تستوضح منه ليقترّب هو منها، وقفاً في الزاوية الأخرى للمكتب ليهمس كامل بصوت خفيض : قد ألجأ لعرضه على طبيب نفسي.

فزعت ملامحها لتقول: ما الذي حدث له؟

ابتلع غصة مريرة ليرد: لقد تخلّا عنه كفيلاه.

ارتسمت الدهشة على ملامحها قائلة: ماذا!؟

إنه لديهم منذ سنين، وباختصار شديد رُزقتُ الزوجة بمولودٍ بعد تأخر حمل دام لثمانية سنين؛ فقررت التخلص منه بإعادته للدار مُجددًا.

وضعت غزل كفها على فمها ودمعت عينها، ما هذه القسوة التي سكنت قلوب البشر؟

لم ترد على كامل بل تركته وسارت مُقتربة من الطفل، جلست بجواره على الأريكة ونظرت للفراغ الشاخص أمامها، كادت أن تتكلم لكنها لاحظت وقوف كامل، نظرت إليه وقالت: أيمكنني أن أحدثه على انفراد من فضلك؟.

أوماً لها وغادر، هو في حالةٍ لا تسمح له بالجدال مع أي مخلوق، تنهدت فور انغلاق الباب وسألت الطفل: ما اسمك أيها الغالي؟ لم يردّ، فتحت ملفه لتلمح اسمه، مالك، تنهدت وعادت تقول: سأخبرك شيئاً يا مالك لكن شرط أن تعديني أنه سيكون سرّاً بيننا. نظرت إليه فقام بهز رأسه دليل الموافقة، عادت لتكمل قائلة: أنا أيضاً خريجة دار أيتام، وأنا أيضاً عُدت إلى الدار بعد أن تم التكفل بي!.

مرّت ساعة وكامل يقف خارج مكتبه دون أن تخرج غزل أو الطفل، شعر بالقلق الذي دفعه لفتح الباب بهدوء، لم يشعر به ولا بدخوله لكنه تصلب في مكانه لما رآه؛ فقد وجد غزل تجلس على الأريكة مُتكاةً بظهرها للحائط وذاك الصبي يستند بنصف جسده العلوي على حجرها وهي تُمسد رأسه بيدها وهي تقول بهدوء:

\_ هناك بعض التجارب التي لا بد أن نمر بها حتى يكتمل تكويننا الشخصي، دورنا ليس في الوقوف والبكاء على كل تجربة، بل في تخطيها وألا نسمح لها قط بهزيمتنا أو كسرنا، أنت لا تزال صغير، وأعلم أنها كانت تجربة قاسية بل ربما تكون أقسى تجارب حياتك، ولكن ماذا بعد الألم والبكاء، هل ستسمح لروحك

بالانكسار والتوقف عند هذه النقطة؟ الخيار يرجع لك والقرار بيدك الآن.

تأثر كامل بكلماتها الصادقة، شعر لوهلة أنها موجهة إليه هو، من تلك الملاك الذي كلما هرب منها لاحقته في كل مكان، تحرك للداخل لتنتبه إلى وجوده أخيرًا وتنظر إليه وعلى مٌحيائها أجمل ابتسامة قد يراها المرء طيلة حياته، حتى مع دموعها التي رسمت مساراتها بدقة على خديها و وضعت بعض الحمرة داخل عينيها.

جلس بجوارها على الأريكة ليهتز قلبها دون إرادة منها، لكنها لا تزال تهاب اقترابه مثلما تهاب اقتراب أي رجل، لعنت حسام في تلك اللحظة ولعنت كل من هم على شاكلته، وجدت كامل يضع يده على رأس الصبي بجوار يدها؛ فرفعت بصرها تلقائيًا ليستقر على عينيه والتي شاهدت بداخلها نظرة قلما ما تراها بهما، نظرة هادئة تمامًا لا يُنغصها شيء، تلمع عيناه بصفاءٍ دون أن يمرَّ بهما أي سحابة حزن أو غضب، ويا إلهي كم أحببت هذه النظرة!.

و يبدو أنه أراد تعذيب قلبها أكثر إذ ابتسم بصفاءٍ شديد حتى أن أسنانه اللؤلؤية قد برزت، شعرت بحمرة الخجل تتسرب إلى

خديها؛ فأخفضت بصرها و أرادت أن تجد مهرباً من هذه اللحظة الغريبة، قالت بهدوء: لقد ..لقد تحدثت أنا و مالك باستفاضة، وهو الآن يتقبل وجوده بيننا في الدار من جديد. رفع الصغير رأسه مسرعاً ليضيف: لكن لا تتركيني. ابتسمت لتكمل: لن أتركك، سأكون معلمتك في الصف وستتحدث كلما سمح لنا الوقت بذلك، اتفقنا؟ أوماً لها بابتسامة ضعيفة، دخلت فاتن من جديد واصطحبته معها لتنتهي إجراءات عودته للدار. وقفت غزل بالنهاية عند القسم الذي يحوي أسرة الأطفال، أشارت لمالك بيدها من عند الباب ليبادلها الإشارة وسرعان ما ينظر لطفل جاءه ليتعرف عليه وينشغل معه بالحديث. بجوارها وقف كامل يراقب الموقف بصمت ليجدها تقول: \_الأطفال مساكين ، هم لا يحتاجون للكلام المنطقي بقدر ما يحتاجون للإحساس بالمشاركة والأمان، بالطبع لن ينسى حزنه بسهولة وربما لن ينساه أبداً، لكن المطلوب ليس نسيانه بل تخطيه. أوماً لها بتفهم، ما بالها اليوم تصب المسكنات على جراحه صباً؟!.

عاود النظر للأطفال في أسرته من جديد فظنت أنه لن يعقب،  
إلا أنها تفاجأت به يقول:

\_مالك في سن الثامنة نعم لكنه لا يصح أبدًا أن يستلقي داخل  
أحضانك.

قال جملته وغادر، تاركًا إياها تُطالع جسده الهارب من أمامها  
بفمٍ مفتوح من هول ذهوله وربما فرحته، أرضت قلبها أنه ربما  
يغار، حتى لو من طفل صغير فقد والداه لتوه وضمته حتى تبثه  
الأمان لكنه يغار!!.

عندما نزلت للساحة رآته يقف مع فاتن ويحدثها بعملية  
شديدة، اقتربت بحذر لتسمعه يقول: الأمور على ما يرام وسأثق  
بك حتى عودتي، إلي اللقاء.

أنهى جملته وتوجه بجسده صوب بوابة الخروج، لكن شيئًا ما  
جعله يستدير مجددًا ويستقر ببصره على غزل الواقفة على  
مقربة، نظر إليها بضع لحظات ثم سرعان ما عاود الاتجاه نحو  
طريقه وغادر.

\_ ماذا هناك يا فاتن؟

\_ سيترك لي الإدارة بُرهة من الوقت فليده سفيرة عمل.

انقبض قلبها داخل صدرها لتسأل: هل المدة طويلة؟

ضحكت فاتن و ردت عليها: لفترة تكفينا لتنفس الصعداء بعيداً  
عن هذا المدير المعقد.

قالت جملتها وغادرتها، وقفت حزينة على رحيله، مُحترارة في  
تفسير تلك النظرة التي اكتنفها بها قبل مغادرته.



" الشهر الثاني على رحيله، أتراه يعود لو علم أنني أشتاقه  
بطريقة أو بأخرى؟! مشاعري غريبة جداً منذ التقيت بذاك  
الرجل، غريبةٌ حتى عليّ، هذه ليست أنا التي اعتدتها والمشكلة  
أنني أخاف اعتياد ذاتي الجديدة، ذاتي التي تبحث عن كامل في  
كل خطواتها"

دوّنت كلماتها السابقة في مذكراتها ليلاً وهي تجلس وحيدة  
غرفتها كما اعتادت، رن هاتفها باتصال من صديقتها سالي  
قطعت به عليها حبلَ أفكارها؛ فتركت القلم وتناولت هاتفها  
لترد قائلة: مرحباً بالخائنة.

ضحكت سالي لترد: توقعت هذا الاستقبال منك، وهكذا  
تستقبلين غائبك؟

لعل طيف غائبتها الآخر بسرعة أمام عينيها، ردت مسرعة كأنها  
تطرده: بالطبع لا، أحمد الله على سلامتكم، كيف كانت رحلتك؟



\_ لا مجال للحديث عبر الهاتف، سأمر عليك غدًا وتحدث.  
\_ نسيت إخبارك أنني التزمت بعملٍ منذ شهر، دوامي ينتهي  
عند الساعة الثانية ظهرًا .

\_ مبارك يا حلوتي، إذًا سأكون في منزلك عند الرابعة فلا تتأخري.  
أنهت المكالمة وتنهدت، جاءت عودة سالي من سفرها المفاجئ في  
وقتها تمامًا؛ فهي بحاجة إلى صحبة بعيدًا عن الدار تُلهيها عنه،  
نعم توطدت علاقتها بصفاء وفاتن ولكنهما جزء لا يتجزأ من  
حياة كامل ومهما يكن لا تستطيع البوح بكل مكنوناتها أمام  
أيهما.



\_ تقولين عند الرجل الذي لا يوافق النساء؟  
قالتها سالي في اليوم التالي، وهي تجلس على الأريكة الوحيدة  
في غرفة غزل حاملةً كوب شاي بين كفيها، وفي مقابلها جلست  
غزل على الفراش ترد قائلة: هو نفسه.

\_ كيف استطعتِ فعل ذلك أيتها اللئيمة؟  
\_ هناك أمور كثيرة تحدث تكون بطلتها الصدفة، هذه إحداها.  
\_ حسنًا، يبدو أن الحظ قرر أن يبتسم لكِ أخيرًا.

\_ نعم الحمد لله؛ فراتي الجديد يوفر كل احتياجاتي على غير العادة.

\_ أيتها الحمقاء لا أقصد راتبك المغربي، بل السيد الوسيم.  
تجهمت ملامح غزل وتذكرت موقف سالي من كامل؛ فقد حاولت التملق له قبلاً لكنه صدها، قالت : ما به السيد كامل، هو مدير الدار لا أكثر ولا أقل.

قالتها وقد قررت ألا تبوح بمشاعرها أمامها، سالي ورغم أنها صديقتها الوحيدة منذ الطفولة إلا أن اتجاهاتها الفكرية قلما تتوافق مع اتجاهاتها هي، مهما تحدثت أمامها سيتمحور الكلام داخل عقلها حول أموال كامل و وسامة كامل و منصب كامل لذا فضلت العدول عن الحديث برمته.

قالت تريد إدارة دفة الكلام: دعك مني الآن وأخبريني عن سر هذه الغيبة الطويلة ؟

احتل الحبور وجه سالي فجأة وهي تقول : تعلمين أنني سافرت للخارج لقضاء العطلة ، وفي أثناء ذلك تزوجت.

علقت قطرات الشاي في حلق غزل حتى أنها سعلت عدة ثواني لتقول بصوت مختنق: تزوجتي !!؟

\_ على مهلك، أعلم أنه خبرٌ صادم.

\_ كيف ومتى ولماذا؟! من هو ذاك الذي دفعك للزواج خارج البلاد دون رفيق؟

تنهدت سالي و ردت: أنت حتى لم تباركيني.

\_ ليس قبل أن أعرف تفاصيل هذا الزواج المفاجئ وأضمن أنه يستحق المباركة.

ارتشفت سالي آخر قطرات الشاي بكوبها ثم وضعت الكوب من يدها و ردت: حسناً ، اسمه وحيد ، رجلٌ التقيت به عدة مرات في المقهى المُطل على البحر حيث كنت أجلس كل يوم، توطدت علاقتي به سريعاً ثم طلبني للزواج و وافقت .

\_ بهذه السرعة والسهولة؟

\_ هناك أمور كثيرة تحدث تكون بطلتها الصدفة، هذه إحداها؛ أنت قلتها منذ قليل.

\_سالي، أهو زواج شرعي على سنة الله ورسوله؟

ظهر التوتر على ملامحها سريعاً لكنها ردت: بالطبع يا غزل أنا لست سيئة إلى ذلك الحد.

شعرت بأنها تكذب، لكنها لم ترد ملاحظة كذبتها وذلك لإدراكها أنها لن تستطيع أن تُغير من الأمر شيئاً؛ فقالت: وأين هو ذاك الوحيد؟

\_ عاد من السفر معي، لديه أعمال هنا وفي ذاك البلد لذا هو  
دائم الترحال والسفر أرايت، لقد نلت ما أتمنى تمامًا.  
\_ مبارك عليكِ يا سالي، أتمنى أن تدوم سعادتك .



(5)

☆ البُعد أقوى اختبار لمكانة الناس بقلوبنا، بعضهم  
يُسقطهم من أغصان الذاكرة، وقليلون هم من يتشبثون  
بها ويتغلغلون حتى الجذور. ☆

"مر شهرٌ آخر، حسناً عليّ الاعتراف بأن ابتعاد كامل لكل هذا الوقت مكّني من التركيز على عملي أكثر، بتُّ متعلقةً بكل بنات وأولاد الدار، حتى الكبار منهم الذين هم في الصفوف العليا، كوّنت العديد من الصداقات معهم وبتُّ خزينة سرهم الأمانة، هذا شيء رائع وغريب جدًّا عليّ وأتمنى أن يدوم أبدًا؛ فوجودي مع هؤلاء الصغار يخلق بداخلي شعورًا طيبًا أشعر به يحتضن قلبي، بت أشعر أنني لست وحيدة، أخيرًا وصلتُ لمتعة هذا الشعور، أخيرًا صار هناك ما يشغلي فعليًا وليس مُجرد واجب عليّ القيام به، بالنسبة للرُّضع فهُم يجعلونني أشعر بشعورٍ واحدٍ لا غير؛ إنني أريد أن أكون أمًّا، يا إلهي لا أُصدق أنني أقول هذا بهذه البساطة، أنا بالفعل صرت أمًّا لثلاثين رضيعًا \_ لقد تم التكفل بثلاثة رُضع منذ رحيل كامل \_ ولكنهم يتسربون من بين يدي طفلًا تلو الآخر، نعم أنا أحب ذلك وأحب أن ينتمي كلُّ منهم لعائلة وأهل، لكنني أريد طفلي الخاص الذي لا يُغادرنِي قط، صفاء تتهمني بأنني مُرهفة الحس كلما رأت تعاملِي معهم، هي لا تدرِ بعد بطبيعة نشأتي لذا أنا أعذرهما، أنا نشأت في أحضان أسرة تشبه أسرتهن وتلقيت رعاية تشبه رعايتهن، أليس من الطبيعي إذًا أن أشعر بهذا الرباط بيني وبينهم؟"

دلقت غزل إلى الدار ومرت على فاتن مُباشرة؛ فهذه الأيام هي أيام اختبارات الفصل الدراسي الأول ومهامها فيها بسيطة وتكاد تقتصر على العناية بالرُّضْع وحسب، وجدتها تجلس خلف مكتب كامل كما اعتادتها منذ أشهر، لكن هذه المرة كان لديها ضيف.

فتاةً جميلةً تجلسُ قبالتها بمنتهى الوقار، ترتدي بنطالاً أسودَ اللون وسترةً تحمل نقوشات جلد الفهد، شعرها حرٌّ طليق ومصفف بعناية و وجهها مرسومٌ بإتقان بأدوات تجميلية أبرزت جماله. أَلقت التحية ودخلت لتشير لها فاتن بالجلوس وشرعت في تعريفهما ببعض قائلة: \_تفضلي يا غزل ضيفتنا ليست غريبة، إنها غُلا إحدى بنات عمومة السيد كامل، وهذه غزل يا غُلا مُعلمة للمرحلة الأساسية لدينا.

تبادلت الفتاتان التحية بتحفظ شديد، كان شعور غزل أمام شعلة الأنوثة المتوهجة أمامها هو نفس شعورها أمام ابن عمها كامل، الدونية الشديدة، رغم رضاها الكامل عن نفسها وحياتها والكيان الذي تمكنت من بنائه لذاتها وحدها إلا أنها تجد في قرارة نفسها شعورًا قبيحًا عند مخالطة طبقة الأغنياء وبهذا القرب الشديد.

تحدثت علا قائلة: سررت بالتعرف إليك غزل.

\_ وأنا أيضاً أنستي .

توجهت علا بالحديث إلى فاتن قائلة: لدي علمٌ بقدوم كامل إلي

الدار اليوم لذا فكرت في إلقاء التحية عليه، هل سيتأخر؟

بمجرد ذكرها لاسمه انتبهت كل خلاياها لها، شعرت بقشعريرة

دافئة تسري بقلبها وتنتقل مع دمائها إلي باقي جسدها، هل

ستراه اليوم حقاً؟ انتبهت إلى فاتن التي ردت قائلة: خبر قدومه

ليس مؤكداً بعد، لكنه قد يتأخر قليلاً.

\_ حسناً، سأنتظر بالقدر الذي يسمح به جدول أعمالي.

\_ على الرحب والسعة.

استأذنت منهما غزل وخرجت من المكتب متوجهة فوراً إلى

مرحاض العلمات، طالعت وجهها بالمرآة ولم تشعر بالرضا الكافي،

أخرجت قلم كحل أخضر اللون و وضعت منه داخل جفنيها،

كما أضافت حمرةً خفيفةً لخديها وشفتيها أكسبت وجهها

بعض النضارة، عدلت من وضع حجابها وجعلته أكثر ترتيباً

وراجعت هيئتها، إن كان سيأتي اليوم فلتستقبله بحال جيد على

الأقل.



صعدت إلى قسم رعاية الرُّضّع وحديثي الولادة حيث وجدت صفاء هناك كالعادة، أَلقت التحية وسرعان ما اندمجت معها في تلبية حاجيات الأطفال.



أنهت غزل عملها وخرجت من القسم، ذهبت إلى مبنى المدرسة لتتسلم أوراق الإجابة وشرعت بتصحيحها في الحُجرة المخصصة لذلك، لم تنتبه للوقت الذي سرقها وهي منهمكة بين أوراق الإجابة، كانت فخورة بأداء طلابها لذا أرادت إنهاء كل الأوراق دفعة واحدة من فرط سعادتها بهم، تكاد تكون نست أمر علا ولم تهتم هل رحلت أم لا.

عادت للساحة من جديد وهي تركض حاملاً بعض الأوراق بيدها، دقت باب المكتب ودخلت سعيدة وهي تقول: انظري إلى هذا يا فاتن.

انقطع صوتها في آخر كلمة عندما نظرت إلى كُرسي المدير؛ فهناك جلس الرجل الوحيد الذي حُلِق ليجلس خلف هذا المكتب، يُطالع أوراقاً وُضعت أمامه، والغرفة خالية تماماً، إلا منهما!  
تسارعت المشاعر على وجهيهما سريعاً، شعرت بالحرّج من الطريقة التي اقتحمت بها مكتبه، ثم سرعان ما أدركت حقيقة

الموقف، ها هو ذا يجلس أمامها حاضرًا أخيرًا بعد أن ملت غيابه.

من جانبه وقف ودار خلف مكتبه دون كلام، فضّل الصمتَ عليه يتمكن في هذه الثواني القليلة التي تفصله عن الوقوف أمامها من كبح مشاعره الغريبة التي تراوده كلما وقف أمامها.

نظر لعينيها الساحرتين مباشرةً وارتسم طيف ابتسامة على طرف شفثيه وهو يقول: أعتقدُ أنها الطريقة المثلى لدخول غزل. احمرت وجنتاها خجلًا فاق الحُمرة التي وضعتها عليهما قبلاً، قالت: \_عذرًا ظننتك فاتن.

رفع حاجبه الأيمن مستهجنًا العبارة لتقول مسرعة: أقصد، ظننت أن فاتن هي من بالمكتب.

تناول منها الأوراق التي جاءت من أجل أن تُريها فاتن وطالعتها، استغلت هي هذه الفرصة في إشباع عينيها منه، عيناها اللواتي اشتاقتا بصدق احتضان صورته داخل مقلتيهما.

قال: يا إلهي هل أنهيت تصحيح كافة أوراق مادتك في يوم واحد؟

\_برأيك أليست النتيجة مُشجعة؟

نظر لها، إلى عينيها مرة أخرى، وكأنه يقتنص الفرص و الأعذار  
لينال شرف استقبال بريقيهما الساحر، قال بصدق:  
\_ لم أتوقع منك نتيجة أقل من هذه، ومنذ اليوم الأول.

اعتلاها الفخر والفرحة بكلامه، تابع هو تفحص الأوراق  
ليستغرب ورقة مدسوسة وسط أوراق المادة الامتحانية لأحد  
الطلاب، ورقة لا تنتمي لورق الإجابة بل لدفتر رسم وعليها رسمٌ  
طفولي شديد الخربشة لفتاة صغيرة تمسك بيد فتاة كبيرة،  
أعلى الفتاة الصغيرة قد كتب " سلمى " وأعلى الفتاة الكبيرة قد  
كتب بخط واضح " ماما غزل".

اتسعت ابتسامته هذه المرة ليقول: حتى سلمى تُحبك مذ رأتكِ.  
خُطفت أنفاسها، أليس معنى جملته أنه هناك شخص آخر  
أحبها مذ رآها، شخصٌ مثله هو مثلاً؟!

أومأت تحاول إسكات قلبها المضطرب، تناولت منه الأوراق  
وطالعته بحرص، تبًا لفارق الطول وهيئته التي تبعث القلق  
بداخلها، تُحاول التغلب على هذا الخوف وتغالبه، لكنها لا  
تستطيع التخلص منه أبدًا؛ فكلما وقفت أمام رجل ببنية  
جسدية قوية وذو طول مهيب على الفور تذكرت حُسام، ذاك  
الحقير الذي ....

أوقفت سيل أفكارها عند هذه النقطة التي أرعبتها وذكرتها أنها تقف مع كامل على انفراد، نظرت إليه وقالت بتوتر: نحمد الله على عودتك سالماً، والآن عن إذنك عليّ الرحيل.

استدارت تقصد الباب لتسمعه يقول من خلفها: انتظري.

نظرت له، وجدته يطالعها بنظرة غريبة ثم قال:

\_ من الجيد أنك غيرتِ كحل عينيكِ.

اتسعت عيناها بصدمة، هذا آخر ما توقعت سماعه منه، بل

وآخر ما توقعت أن يُلاحظه، زاد من صدمتها عندما أُرِدِف يقول

بغموض: \_ \_ فذلك الكحل الأسود كان أكثر هلاكاً.

توترت، قالت ويدها تفتح الباب: عن إذنك!!

اختفت من أمامه فجأة ليتنهد بعمق، حمد ربه أنها غادرت عند

تلك النقطة، ربما لو بقيت لكان أبدى باقي ملاحظاته على حمرة

خديها وشففتيها.

ابتسم عند التفكير بالأمر، لم يتصور أن يشهد اليوم الذي ينقلب

فيه كيانه على يد فتاة، والمشكلة أنها أبسط فتاة التقى بها في

حياته.

عاد وجلس إلى مكتبه، عليه الاعتراف أن فترة ابتعاده كان من

الممكن أن تكون أقصر بكثير من ثلاثة أشهر، بل كان من الممكن

اختزالها في شهر واحد، لكنه كان يخشى العودة بمقدار رغبته بها، تنهد ليوقف تفكيره وعاد يقلب بين الأوراق التي تركتها له علا ابنة عمه سالم، التوى طرف شفته بسخرية، لا يُحب أن يكذب على نفسه كذبة كبيرة مثل هذه خاصة وأن جميع العائلة تعرف حقيقته، لكن هنا في الدار يجد نفسه مرغمًا على ارتداء زي لا يناسبه و نسب ليس نسبه فقط كي لا تنهار الصورة الاجتماعية الكبيرة لوالده، ها هو يعود للكذب من جديد، حسناً كي لا تنهار الصورة الاجتماعية للرجل الذي تكفل به.

الأوراق التي بين يديه تثبت أن باقي العائلة يجهزون لحجر أملاك شقيقهم الغائب لحين ثبوت وفاته من عدمه، لا يعلم لم تشي علا لديه بأخبار مُهمة مثل هذه، لكنه على الأقل سيتمكن بفضلها من أن يتخذ إجراءاته استعدادًا للمواجهة.



بمجرد أن دلفت لغرفتها ركضت نحو المرأة تُطالع وجهها، تحديداً عيناها اللواتي تكحلتا بلونٍ جديد استطاع أن يكشف لها عن ملاحظة رجلٍ يشغلها، ابتسمت بدفء وهي تتذكره وتتذكر كلماته، استندت إلى الفراش وحدثت نفسها قائلة: وماذا بعد يا غزل، أنتِ تسيرين بقلبك إلى التهلكة، لقد تمكنت طيلة عمرك

من عيش حياتك بمُنتهى الواقعية التي تُناسبُ ظروفك؛ فَلِمَ  
الآن فقط صرتي تركضين خلفَ سراب؟  
عليكِ التوقف قبل أن تُقحمي نفسكِ في منطقة محظورة قد  
يُكلفكِ خروجك منها حياة قلبك!.



انتهت الاختبارات أخيرًا وحلت العطلة، نعم لاتزال تعمل ولكن  
بنصف طاقتها أثناء العام الدراسي، كانت تقضي مُعظم وقتها  
بين الرُّضع الذين يكبرون أمام عينيها، رغبتها في أن تصير أمًا تكبر  
يوماً بعد يوم من شدة تعلقها بهم وبحركاتهم التي تُحرك قلبها.  
\_هيا يا بيان هيا تستطيعين فعلها، أجل أجل بِرؤية يا صغيرتي.  
وقفت تُتابع تحركات الصغيرة بيان والتي بدأت لتوها في تعلم  
الحبو، تُشجعها وكأن الصغيرة تفهم كلماتها ولكنها كانت  
تستجيب لها بضحكاتها الصغيرة، استطاعت الاستناد على  
ركبتيها وكفيها الصغيرين أخيرًا، تراجعت غزل للوراء قليلًا  
لُتُعطيها مساحة كافية للحبو وبالفعل تمكنت الفتاة من الحبو  
لبضع لحظات ثم انهارت قواها الصغيرة فسقطت.  
حملتها غزل سعيدة وراحت تدور بها وتدور من فرط سعادتها،  
كانت تقف على مدخل الباب وهي تدور حاملةً إياها ولم تشعر

بنفسها إلا وهي تصطمم بكتلة بشرية ضخمة كادت أن توقعها هي والصغيرة لولا أنه تلقفها جيداً حتى صارت وكأنها داخل أحضانه.

نظرت إليه والصغيرة تفصل بين التقاء جسديهما لكنها كانت تشعر بيداه جيداً تُكبلان ذراعيها، شعرت بالخجل والذي سرعان ما تسرب إلى وجنتيها ليكسوهما باللون الأحمر، تركها وتراجع للوراء وهو يشعر بالاضطراب هو الآخر؛ فهو لم يسبق له أن مس امرأة، أو صار قريباً من إحداهن إلى هذا الحد. قال:

\_ آسفٌ لدخولي هكذا فجأة، كان ينبغي عليّ الاستئذان.  
ردت بخفوت: لا عليك سيد كامل، أنا أيضاً مُخطئة.  
\_ تبدين سعيدة.

ردت فَرِحَة وكأنها نست ما حدث منذ قليل:  
\_ بل أنا شديدة السعادة، صغيرتي بيان تمكنت من الحبو منذ لحظات.

انفجرت شفاته عن ابتسامة عذبة، ابتسامة نادرة صارت لا تحتل وجهه إلا في حضرتها، حك جبهته وهو طبع جميل تُحبه منه وقال: \_ أكل هذه السعادة لأن الفتاة حبت؟  
\_ بيان، اسمها بيان.

\_ ما سر إصرارك الرهيب على تسمية الرُّضْع؟  
\_ إنه أقل شيء إنساني يستحقونه سيدي، تخيل أن يبلغ  
الرضيع من هؤلاء عامه الثاني دون أن يحصل على اسم لمجرد  
أنه لم يتم التكفل به.

\_ نحن نقوم بتسميتهم في الأوراق عند تلقيهم على أية حال.  
\_ مجرد أسماء على الأوراق ولا تقومون باستخدامها إلا عندما  
يلتحق الطفل بالمدرسة، على اعتبار أنه صار أمرٌ واقع ولا بد من  
وجود اسم له كنوع من الرموز المُدرّجة في خانات أوراقهم  
المدرسية.

حك جبهته مجددًا، هو لن يستطيع مجابتهها، كما أنه يجزم  
بينه وبين نفسه بصدق كل كلمة تنطق بها، نظر لها وقال:  
\_ لن أريح نزالًا كلاميًا أمامك، أقسم بشرفي على هذا، لذا هلا  
شرفتي بمكتبي عند انتهائك من عمك هنا، لدي ما أخبرك به.  
تركها ورحل، ابتلعت ريقها عقب تذكر آخر مواقفها معه بمكتبه،  
تلقائيًا رفعت يدها تلامس أطراف عينيها المُزدانة بكحلها  
الأخضر.

كل ذلك وصفاء تقف تُراقب الحديث وهي تقوم بتبديل  
الحفاضات للأطفال وبمجرد أن غادر كامل قالت: احم احم.



وكان غزل انتبهت لتوها لوجود صفاء منذ البداية، استدارت  
تنظر لها، ابتسمت صفاء بشقاوة وقالت: ماذا؟  
\_ ماذا ماذا؟

وضعت صفاء كفيها على خصرها وقالت: حقًا، ما باله يتردد  
علينا كثيرًا هكذا.

\_ لا أدري، أليست هذه طبيعة عمله؟

\_ طبيعة عمله؟! لقد عملتُ هنا قبلكِ عشرات الفتيات ولم  
يُشرفنا بطلته البهية سوى مرة أو مرتان وذلك عندما تأتي أسرة  
تُطالب بطفلٍ للكفالة غير ذلك كنتُ لا أراه إلا في الأعياد.

دق قلب غزل، وحاول عقلها التدخل سريعًا لإقناع نفسها أنها  
خارج الموضوع، وأن قدومه المُتكرر لقسم الرُّضّع لا علاقة له بها،  
أنه ربما قرر تعديل سياساته الإدارية وتصادف ذلك مع فترة  
توظيفها، قدّم العقل كلّ مُستنداته التحليلية سريعًا للقلب،  
والذي بدوره رمى بها كلها بطول ذراعه وراح يتمسك بظنه  
الأول!.

طرقت الباب ودخلت ليأتيها عطرٌ رجالي قوي بمجرد أن فعلت،  
تفاجأت برجلٍ يجلس قبالة السيد كامل ذو مظهر مهندم  
وابتسامة عريضة، ألقت التحية وطلب منها كامل الجلوس

فجلست على الأريكة مُفضلة الابتعاد عن المثلث الذي كان ليتشكل بجلوسها قبالة ذاك الغريب.

تحدث كامل: أعرفكما ببعضكما، هذا الأستاذ حسان مُعلمٌ حديث التوظيف، هذه غزل يا حسان معلمة مجتهدة لدينا.

نظر لغزل وأكمل: الأستاذ حسان سيقاسمك الفصول التي تعملين بها ابتداءً من الفصل الدراسي الثاني.

لم يكد يكمل كلامه لتقاطعه مسرعة تقول : يا إلهي هل قصرت في شيء؟

\_ بل على العكس أثبتت اجتهادك لذا سأمسكك مهام أكبر، ستتولين التدريس لطلاب الصف السادس.

على الفور تهللت أساريرها وظهرت معالم الراحة على وجهها القلق منذ دخولها، قالت : لكني لم أتعامل مع طلبة بسنهم من قبل.

\_ ستعلمينهم اللغة العربية وقد لاحظت تفوقك فيها، معلم الصف السادس بلغ سن التقاعد وليس متاح غيره أمامي الآن سواي .

أومأت له بتفهم، نعم تخشى تلك المسؤولية لكن كلماته أنستها كل شيء سوى مديحه لها ولجهدوها.

انتهى اجتماعها قصير الأجل مع الرجلين، نهض حسان من مكانه ومد يده لها بالمصافحة وهو يقول:  
\_ سعدتُ بمعرفتك.

نظرت ليده الممدودة ثم طالعتَه وقالت بهدوء:  
\_ وأنا أيضًا ولكن عذرًا، لا أصافح الرجال.  
أخفض يده خجلًا في حين جلس كامل خلف مكتبه منتشيًا مما يراه، أكملت كلامها فورًا:

\_ كما أرجو ألا تفعل أنت ذلك أمام الطلاب هُنا فقد بذلت جهداً كبيراً في تعليمهم بعض الثوابت.  
أوماً لها بتفهم ثم ابتسم، منذ مدة طويلة وهو لم يلتقِ بمثل هذه العينة و يبدو أنها بطريقة أو بأخرى قد أعجبتَه.



(٦)

☆ هنا يدي ممدودة لك، تنتظر أن تشاركها الدرب الطويل،  
فقط تعلم كيف تضع بها قلبك وتسترح .☆

" فصلٌ دراسيٌّ جديد، الأيام تمر بي سريعًا في هذه الدار، لم أعد أخشاها أو أشعر بالاختناق منها مثلما كنت في البداية، لم تعد تعيد لي ذكريات الماضي، بثُّ أشعر أنها ديارِي وأخيرًا اقتنعت بسمو المهنة التي أمتننها بها، يبدو أن عقلي ينضج " مرحى " ... السيد كامل يتجنبني كثيرًا، وأنا اتجنبه أكثر وهذا أفضل لكلانا؛ فكلما رأيت أحد أقاربه صدفة شعرتُ بِصَفعةٍ قوية من الواقع تُعيد قلبي لمحلّه مُبعدةً إياه عن أراضيه، هو بالنسبة لي برٌّ لن ترسو به سفينتي أبدًا، وأنا بالنسبة له نيران تهدد غاباته الخضراء، أليس الابتعاد أفضل؟

المعلم الجديد حسان ذو شخصية طيبة و ودود للغاية، يحب الأطفال ويجيد معاملتهم، بثُّ لا أخاف أن ينخفض مستواهم الدراسي، بعيدًا عن العمل أشعر أنه يُحاول التقرب لي وهذا أكثر الأشياء سوءاً في هذا العالم، وذاك لأنني ألاحظ إعجاب صفاء به، وحتى إن لم تكن فمن الصعب أن ألاحظ غير ذاك المتجهم عبوس الوجه الذي أوقف حملات تفتيشه المفاجئة لفصولي و لقسم رعاية الرضع، ها نحن ذا نعود إلى ذكره من جديد، على ما يبدو أنه سيغدو مُعضلتي الوحيدة التي لا حل لها "

\_ الأيامُ بارعةٌ في مداواة جراحنا يا صغيري.

\_ لا تقولي صغير، عمري ثمان سنوات يا غزل.  
ضحكت غزل وقالت: حسناً أيها الرجل الناضج مالك، ماذا  
لديك؟

\_ لا شيء فقط اشتقت إلى أختي؛ فجئت لأطمئن عليها.  
قالها وهو يجلس معها في الغرفة المخصصة للمعلمين، كانت  
مشغولة في تحضير بعض الدروس للصف السادس الابتدائي، لا  
تزال تهاب مادتهم وتهاب مسؤوليتها لكنها رغم ذلك تعشقها،  
صار الصغير مالك شديد التعلق بها وكثيراً ما يأتي إليها بعد  
الدرسة يدردشان سوية، كادت ترد عليه لكنها سمعت ضجة  
بالخارج قادمة من الساحة.

\_ عد أنت الآن إلى غرفتك ونكمل حديثنا فيما بعد.  
قالتها وهي تهب من مكانها وتخرج مسرعة، الصوت قادم من  
غرفة كامل لا يمكن أن تخطيء، رغم ابتعادها عنه عمداً إلا أنها  
قلقت وأرادت الاطمئنان.

\_ فائن ما الأمر بالداخل؟  
نظرت إليها فائن ، صوت الصريخ بات واضحاً، إنه صوت فتاة  
تهرتل بعدة كلمات كادت أن تفقها لكن فائن قطعت تركيزها

قائلة: \_ السيد كامل لديه ضيفة، إنها صبا ابنة عمه سليم ويبدو أنها مشاكل عائلية عالقة.

أومأت غزل وكادت أن تغادر لكنها وجدت الباب يُفتح فجأةً وتخرجُ منه فتاة في قِمة تبرزها، ورغم الثراء الواضح عليها إلا أن ملامحها قد غرقت في موجة غضبٍ عاتية، خرجت مُندفعة حتى أنها دفعت غزل عن طريقها وهي تقول صارخة:

\_ ابتعدي عن وجهي أيتها المشردة!.

ارتطمت قدم غزل بمكتب فاتن بقوة لكنها لم تتألم، كان كل الألم ينبع من قلبها الذي خفق إثر إهانتها الصريحة، حتى أنها شعرت بوخز الدموع في عينيها لكنها أفاقت على صوت مُحبب يقول بقوة من خلفها:

\_ هل أنت بخير؟!!

استدارت تنظر له، وجهه غريب، نظراته وتعبيراته غريبة، لا تدري أهو غاضب أم حزين، كيف يسألها سؤال كهذا وهو أولى بأن تطرحه عليه؟

\_ لا بأس سيدي، أنا المخطئة.

ضرب الحائط بكفه بقوة، إنه في قمة غضبه بالفعل، شعورٌ غريب  
اعتمل بصدرها حينها، أتهرب منه من شدة خوفها أم تضمه  
من شدة حزنها عليه؟

نظر لفاتن وقال:

\_ أريد فنجاناً من القهوة سريعاً يا فاتن، يكاد رأسي ينفجر.  
أومأت له وغادرت وبقي هو واقفاً قبالة غزل، عيناه مثبتتان  
على عينيها، شعر بالارتياح يتسرب إليه تدريجياً، وكأنه قد تعاطى  
دواءً مُخدراً ينحدرُ في عروقه ويُخالط دماؤه..

كيف يُمكن لأنثى أن تحتوي رجلاً مثله وتجمع عنه أحزانه  
وتُلقيها عن ذاكرته بنظرة واحدة؟

نظراته شجعته على الحديث، على الأقل هما منفردان وإن  
صدها فلن تشعر بالخجل، ستقدر أي رد فعل يصدر منه طالما  
أن أحداً غيرها لن يراه، خصوصاً فاتن.

قالت: أنت تشعر بالأم.

تنهد يقول: كثيبيبيزاً من الأم.

\_ لم لا تجرب أن تبوح به؟

\_ لمن؟

لعت عيناها و ردت: لمن يهمه أن يسمعك.



اشتعل الحزن داخل مقلتيه أكثر وأكثر، رد بضعف:  
\_وماذا لو كان من يهमे أن يسمعي هو آخر شخصٍ مسموحٍ  
له بسماع ما لدي؟

ابتلعت ريقها وشعرت بقليلٍ من الإحراج، ربما لأنها كانت تقصد  
نفسها، تقصد أنها تُريد سماعه، تريده أن يُفرغ جعبته بين يديها  
وبعدها تُقسم أنها قادرةٌ على جعله سعيد، سعيدٌ بما يكفي  
لترى لمة عينيه المُطفأتين على الدوام.

جاءت فاتن بالقهوة ليتناولها منها بينما تُطالعه غزل بنظرات  
مبهمة، إنه مُحاطٌ بسلكٍ شائكٍ لن تستطيع تجاوزه أبدًا وصولًا  
إلى ذاته، وعقلها يُخبرها أنه لا يجب عليها \_ حتى \_ المُحاولة.  
ارتشف قهوته بينما سألته فاتن قائلة: ماذا تريد تلك البنت  
منك؟

\_ الأمور تزداد تعقيدًا يا فاتن، تعالي سأخبرك بكل شيءٍ قبل أن  
ينفجر عقلي.

سمح لها بدخول مكتبه، شعرت غزل بدلوٍ من المياه الباردة  
ينسكب فوقها، استدار لها فعلمت أنه سيصرفها بذوقٍ لتسرع  
تقول قبله:

\_ لقد تأخرت كثيرًا وعطلتك عن عملك، عن إذنك.

أسرعت في خطواتها حتى كادت أن تتعثر، عيناه تُتابعناها وقلبه يخفقُ بألم، هي أكثر امرأة في هذا العالم يريد أن يرتمي بأحضانها ويبيكي ماضيه الأسود كله، لكنه لا يستطيع، يخاف البوح بما لديه فتبتعد عنه، ويخاف أن يقترب دون أن يبوح.

ساعدها هطول المطر على البكاء دون أن يُلاحظها أحدُ المارة، لا تعلم علامَ تبكي بالتحديد لكنها تألت لمجرد لجوئه المُستمر لفاتن، قوة العلاقة التي تربطهما سويًا تُثيرُ مشاعرَ الغيرة داخل خلجاتها، وما يُغذي تلك المشاعر السيئة بداخلها تهميشه المُستمر لها، نعم تُدرك أنها مجرد دخيلة في حياته، موظفة على قائمة موظفيه، ولكن أليس من المُفترض أنها بذلك تساويها، أليس من المُفترض أن تكون على نفس الدرجة عنده؟!

شعرت بالحزن الذي دفعها لتغيير وجهتها والاتجاه إلى المكان الوحيد الذي تستطيع دفن آلامها به؛ منزل السيدة هناء.



عاد كامل لمكتبه ليجد فاتن تقف في شبابه وتنظر خارجًا، قالت بمجرد دخوله: لقد أحزنتها.

\_تعلمين أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يعلم.

نظرت إليه وأكملت: إنها تهتمُّ لأمرك!.

ابتلع غصة تلاعبت داخل حلقه و رد:  
\_ أي شخص بمكانها سيهتم؛ البريق -دومًا- يجذب الفراشات.  
\_ إذا أطفئ ذاك البريق أمامها.  
تنهد وجلس خلف مكتبه قائلاً:  
\_ لا أستطيع، إنه سرٌ عظيم ولا أستطيع البوح به أمام أحد.  
جلست قبالته ونظرت إليه وسألت:  
\_ لا تستطيع، أم أنك لا تريد إطفائه فتحلق الفراشة مُبتعدة؟  
ابتسم بتهكم، هي دائماً تفهمه وتفهم خباياه، قال ناظرًا  
لعينيها:  
\_ الفراشة... خُلقت لتُحلق!، على كلٍ ليس هذا موضوعنا؛ تلك  
العائلة لا تنوي تربي لحالي.  
\_ عليك تأمين أموالك جيدًا، أنت لم تُكرّس عُمرِكَ كله في سبيل  
نجاح أعمال والدك ليأتوا هم من بعد غيابه ويطالبونك بها.  
\_ وما العمل برأيك؟  
\_ السيدة مريم هي الحل؛ ألا تمتلك توكيلًا عامًا من زوجها، إذا  
فلتقن ملكيتك لمشاريعه بعقود بيعٍ وشراءٍ لحين ثبوت وفاته  
من عدمها، ولا أعتقد أنك ستقبل بأكل ميراثهم حال ثبوت  
وفاته.

\_ أقسمُ لكِ أني لا أريدُ منهمِ فِلسًا واحدًا، كما أن الدار ملكي و وحدها تكفييني، لكن كل ما في الأمر أني أخشى عودته حيًا، عندها ماذا أقولُ له، وجدتكِ غائبًا فوزعت أملكك في غيابك، لا يجب أبدًا أن أنسى فضل ذاك الرجل عليّ.

\_ إذا ليكن ما أخبرتك به.

\_ وذلك أيضًا أمرٌ لا أستطيعه، هل أذهب للسيدة فجأة وأخبرها: هيا سلمي أملكك لرجلٍ غريبٍ عنكِ وإلا سيتقاسمها ورثة زوجك معك؟

نظرت إليه وشعرت بحيرته، قالت بهدوء:

\_ السيدة مريم تُحبك وكأنك ابنها الذي لم يُقدّر له أن يخرج من أحشائها، لِمَ تعتقدُ أنها قد تنظر إليك على أنك غريب؟ نهض من على كُرسيه غاضبًا واستدار يُطالع نافذته وهو يرد بصوت عال:

\_ لأنها الحقيقة يا فاتن، الحقيقة!.

وقفت هي الأخرى وهي تتنهد، إنها أشد الناس درايةً به وبتفكيره المُعقد لذا تعلم أن الكلام معه لن يُجدي نفعًا، قالت محافظة على هدوئها:

\_ لقد أخبرتك بأسلم الحلول وأيسرها والقرار بيدك، هذا إن كنت تُقدر والدك بالفعل وتنوي الحفاظ على أملاكه ، عن إذنك.



عادت لمنزلها الصغير بعد أن أفرغت كل ما في جوفها بين أحضان السيدة هناء، أمها التي لم تُلدها والتي أبعدها عنها القدر بطريقة درامية، ألقت وشاحها الشتوي بإهمال و وقفت تفك دبابيس حجابها تُحاول تذكر بضع كلمات من التي تفوهت بها تلك المدعوة صبا لكنها لم تقدر، تنهدت بعمق ثم توجهت لفراشها والتقطت مذكراتها وراحت تبثها هي الأخرى شكواها.

وقف في شرفة غرفته ليلاً، كلمات فاتن يتردد صداها داخل أذنيه، سواء تلك التي قالتها عن غزل أو عن حل مُعضلته مع أقرباء كفيله، شعر في تلك اللحظة بالحمد لفقدانه عائلته، على الأقل لن يكون هناك أحد ينتظر وفاته ليرثه، أتاه صوت داخلي

يسأله: ولكن إلى متى يا كامل؟

ليرد صوت آخر: إلى متى ماذا؟

\_ إلى متى ستظل دون عائلة؟

\_ السيدة مريم عائلتي ..

\_ حقاً، إن كانت كذلك فلماذا لا تقدر على مُناداتها بأمي؟

\_ كفى، لا تتعمد فتح جراح الماضي اللعين.

\_ ألا تشتاق الديار؟

\_ هُنا ديارى.

\_ هذه الدار لم تكن لك يوماً يا كامل، أفق، لقد أصبحت في

الخامسة والثلاثين من عُمرك، ألا تُلاحظ مرور قطارِ العُمر بك،

ألا ترغب في تكوين عائلة؟

عندما انتهى صوته الداخلي بطرح ذاك السؤال تجهم وجهه،

حتى أنه رد بصوتٍ مسموع :

\_ عائلة؟! ومن تلك التي قد تُرضى بتكوين عائلةٍ منى، من

شخصٍ مجهول النسب، تكرم عليه كفيله الأول بمنحه اسماً

مُستعاراً في الأوراق الرسمية، كامل مصطفى إبراهيم هو

شخصٌ لا وجود له، لماذا قد أُكلف نفسي ذنب أطفالٍ يخرجون

لهذا العالم فلا يجدون أقرباء لهم، لا أجداد ولا أعمام ولا حتى

نسب صحيح لأبيهم، قل لي لماذا؟

\_ إجابة سؤالك ببساطة، لأنك تُريد هذا.

انهار على الكرسي الهزاز بشرفته في تلك اللحظة، حتى أنه وضع

رأسه بين كفيه وهو يقول: سُحَقاً لك!.



" حسنًا أنا أُشفق عليه، ربما لو كنتُ أمسكتُ هذا الدفتر عند نهاية الدوام مُباشرةً لكان كلامي قد اختلف كُليًا، لكني أفرغت شحناء قلبي وبات لديّ مُتسع للتفكير، بالطبع لا أزالُ غاضبةً عليه وهو غضبٌ ليس لي فيه أي حق؛ فلا أنا أعني له شيئًا وكذلك هو، على الأقل بالنسبة له، لكني حقًا و مؤكِّدًا بات لديّ رغبةٌ قوية في كشف أسرار ذاك الرجل، لديّ فضول كبير في سبر أغوارك سيد كامل! "

(v)

☆ قد يكون كف يدي صغير، لكنه قادر على أن يكون بوسع  
الكون إذا قررت أن ترتمي داخل أحضانه؛ فأقبل ❤️ . ☆



\_ لا تستطيعين تخيل شكل حذائي الرياضي المتهرئ بجوار  
أحذيتهم ذات الكعب العالي يا سالي.  
قالتها غزل وهي تجلس قبالة سالي في اليوم التالي داخل مقهى  
يرتشفان القهوة ويتبادلان أطراف الحديث.  
\_ قلت لك منذ مدة أنك بحاجة لتغيير نمط ملابسك.  
\_ لا، أنا فقط بحاجة لبعض الملابس الجديدة، سأشتري فساتين  
منقوشة بالورود كتلك التي ترتديها الأميرات.  
\_ رأسك اليابس هو نفسه لم يتغير.  
\_ أحمدُ الله على ذلك.  
نظرت إليها سالي وقالت : حسناً، هل رغبتك في التسوق سبب  
كافٍ لتغييرك عن العمل اليوم؟! كان بإمكاننا القيام بذلك عَقِبَ  
عودتكِ منه.  
ارتبكت ملامحها، تكره أنها لا تستطيع اختلاق كذبة فورية، وتكره  
أن تكذب! لكنها مُرغمة؛ لا ينبغي لأحد أن يعلم مكنوناتها، قالت  
بصوتٍ يحاول أن يبدو صادقاً:  
\_ هذا لأنني أعود من العمل مُتعبة ولا يسعني حتى الوقوف  
فكيف سأتسوق؟.  
\_ إذًا هيا أنهي قهوتك ولنُبادر بالرحيل؛ فوحيد سيعود قريبًا.

ارتشفت قهوتها شاردة، إنها لا تحتسي القهوة إلا في مرات قليلة للغاية وكلها عندما تكون برفقة سالي، تجد الشاي أطيب منها كما أنه أكثر توفيرًا، سرحت بعقلها في وحيد زوج سالي ذاك الرجل الذي أوصلهما صباحًا للمحل التجاري بسيارته الفارهة، لم ترتح لنظراته قط وتمنت مرور الدقائق التي تفصلهم عن الوصول، حتى أنها حمدت الله أنها التقت بهما في مُنتصف الطريق فلم يعرف عنوانها، شعرت أنها في حضرة ذئب بشري التقت بمثيله من قبل، ذئبٌ تمامًا مثل حسام!.

انتهت غزل من جولتها التسويقية الصغيرة والتي أرضت أنوثتها نوعًا ما، تجنبت كل تحريضات سالي والتي تود سحبها معها خلف تيار الموضة والأزياء الضيقة واكتفت بشراء الفساتين الواسعة التي تهواها وحذائين جديدين بكعبٍ عالٍ. \_ تأخرتِما.

قالها وحيد الذي وقف بجوار سيارته ينتظرهما حالما رأهما تخرجان من الشارع، اضطربت غزل، لا تُريد أن يوصلها ذاك الرجل، إنها غير مُرتاحة لوجوده أبدًا وكأنه مُحاطٌ بهالةٍ شرٌ كلما اقتربت من مداها تأذت.

قالت: عذراً يا سالي سأذهب للدار فقد نسيت هناك بعض الأوراق المهمة.

\_ لكنها الثانية ظهرًا وهذا موعد نهاية دوامك.

\_ لا بأس سأعود سريعًا، عن اذنكما.

أوقفها وحيد، الرجلُ أربيعيني العمر مكتنز الجسد، قائلاً:

\_ حسنًا تعالي سنوصلك في طريقنا.



مُضطَّرةً رَكبتَ معهما السيارة، لا بأس على الأقل لن يعرف أين تسكن.

نزلت من السيارة واتجهت إلى بوابة الدار، لم تنوِ الدخول هي فقط تُضَيِّع الوقت حتى ينطلق وحيد بسيارته مُغادراً، لكنها استغربت وقوفه، تأففت وفتحت البوابة ودخلت بعد أن غيرت خطتها، سترحل حالما يرحل، وقفت تُلوح لسالي بيدها لتبادلها صديقتها التحية ثم تنطلق السيارة مُبتعدة، همت بالخروج مجدداً لتسمع صوتاً رخيماً يقول من خلفها:

\_ أهذا سبب تغيبك عن العمل اليوم؟!

هذا آخر ما أرادت حدوثه اليوم، صدقاً!!.

استدارت ببطء تُطالع كامل الذي وقف خلفها مُتحملاً ينتظر تبريرها، وشحناً للمة عينيها التي تُفقدته تركيزه في كل مرة.  
قالت: عفواً؟!

\_ من ذاك الرجل؟

رفعت أنفها في كبرياء و ردت: وفيمَ يُهمك ذلك؟

\_ غزل، من ذاك الرجل؟

ناداها باسمها بصوتٍ هادئ، وطرح سؤاله ببطءٍ شديد، استسلمت له و تنهدت قائلة:

\_ إنه زوجُ صديقتي ولو ركزتُ بصرك لرأيتها تجلس بجواره،  
بالتأكيد أنا لم أكن ألوح له.

ضيق عيناه مستغربًا ليرد:

\_ للسيد وحيد عزت زوجة واحدة، ولا أعتقد أنك تُصادقين امرأة  
أربعينية.

فتحت غزل عينيهما على وسعهما المُحبب وهي ترد قائلة:

\_ ماذا، مستحيل، هل أنت متأكد أنك تعرفه؟

\_ ومن لا يعرف وحيد عزت رجل الأعمال الكبير، و مُطارِد النساء  
الأول.

قال جمَلته الأخيرة بنبرة ذات معنى، نبرة جعلتها تسرع مُدافعة:

\_ لقد قلتُ لك أنه زوج صديقتي، لا علاقة لي به.

\_ وأنا أقول لك أنه لا يجرؤُ على الزواجِ بامرأةٍ أُخرى؛ صديقتكِ  
كاذبة!

ابتلعت غزل ريقها بضعف وهي تتذكر نظرات وحيد لها  
وتفحصه لجسدها الغض المُختئ خلف ثيابها الفضفاضة،  
أفاقت على كامل الذي سألها قائلاً:

\_ على كلِّ وجب عليّ تحذيرك من ذاك الرجل؛ ضحاياه بعدد  
شعر رأسك.

قالت بإذعان: شكراً لك، سأخذ حذري.  
ظنت أن الحادثة انتهت عند هذا الحد، كادت أن تلتفت لكنه أوقفها قائلاً: لم تغيبتي اليوم؟  
ابتلعت ريقها، ترى كم كذبة عليها اختلاقها بشأن هذا الغياب المقيت، لكن هذا آخر شخصٍ في الدنيا يُمكنها إخباره، تشعر بالغضب والحزن منه لسبب لن يتفهمه، قالت بتردد:  
\_ احتاجتني سالي في أمر مهم.  
وجدته ينظرُ للأكياس التي بين يديها ويقرأ بصوت واضح:  
\_ "الموضة العصرية لأزياء النساء"، اممم ياله من أمر بالغ الأهمية بالفعل!  
شعرت بالخجل من كشف كذبتها الصغيرة بهذه السرعة والجرأة، أسرعت تتدارك الموقف قائلة بتعثرٍ شديد:  
\_ لقد تسوقنا بعدما انتهينا، ثم أن هذا كله ليس من شأنك.  
هرولت من أمامه وكأنها طفل صغير ألقى حجراً في وجه طفلٍ آخر وأسرع قبل أن يُمسك به والداه، سمعها تقول وهي تبتعد:  
\_ رجلٌ فضولي!!

كتم ضحكاته حتى ابتعدت عنه بما يكفي ثم أطلق صراحها فجأة، لا يذكر منذ متى تحديداً ضحك من قلبه هكذا، بل لا يذكر أنه قد فعلها من قبل من الأساس!.



دلف إلى المنزل والذي يبدو هادئاً، بات الهدوء - مؤخرًا - شيء نادراً ما يزور هذا المنزل، والفضل كله يرجع لضجيج العائلة الشرهة، وجد السيدة مريم تجلس على كرسيها في الشرفة الملحقة بغرفة الاستقبال، ترتدي نظارتها كالمعتاد و تتلو ما تيسر من آيات الذكر الحكيم.

\_ صدق الله العظيم، كنت بانتظارك يا ولدي .

\_ أسفٌ لتأخري، كان لديّ بعض العمل بعد الدار.

\_ أنت تتعب نفسك كثيرًا يا كامل، الرفق بصحتك قليلًا يا صغيري.

تلك السيدة تضعه دومًا في مأزق أمام نفسه بلطفها البالغ فيه، حتى أنه في كثير من الأحيان لا يجد ما يرد به عليها، ربت على يدها بهدوء وقال: إنها أمانة عالقة برقبتى سيدتي.

ابتسمت تقول: إذًا، فلتحافظ على تلك الأمانة وإلى الأبد!.



قبل أن يستوضح، وجدها تناوله ملقاً كان موضوعاً على المنضدة أمامها، فتح الملف وبدأ في قراءة الأوراق التي يحتويها ووجهه يزدان بملامح الدهشة، قالت قبل أن يتكلم:

\_ كنت قد تحدثت مع محامي عن قانونية ما أنتوي فعله وأكد لي أنه جائز، بهذا نقطع دابر تلك العائلة إلى حين.

رفع وجهه عن الورق أخيراً ونظر إليها، ابتسامة وضاعة تُزين وجهها الذي حفر به الزمن آثاره، ابتلع ريقه وقال مستغرباً:

\_ هذه ثقة كبيرة سيدتي.

\_ ليبتها تُثبت مقدار حيي لك يا كامل.

شعر بوخز الدموع في عينيه وهو أمر يكره حدوثه خاصةً أمامها، ها هي ذي تنفذ اقتراح فاتن عليه، وما أسرّ قلبه أنها فعلتها دون طلبٍ منه أو حتى تلميح، هل من الممكن بالفعل أن تحبه وتثق به لدرجة ترك كل ممتلكات زوجها وأملاكه له؟

\_ بعقود البيع والشراء هذه ستخرس كل من يتناول عليك ويتقافز أمام وجهك لسلبك أموالك.

\_ شكرًا لك سيدتي ولكن لي عندك طلب.

\_ ما هو؟

نظر للأوراق نظرة أخيرة، ثم عاود النظر لها و رد:

\_ سأقبل هذه الأوراق لسببٍ واحد، أني أشعر أن زوجك لا يزال حيًا، وليس لأنني أريد أمواله، أما في حالة ثبوت وفاته فعندها اعذريني؛ أنا لا أقبل على نفسي الحرام.

اتسعت ابتسامتها، ربتت على يديه وقالت:

\_ أنت زرة أصيلة يا كامل، ولي كل الشرف أن هذه الزرة ترعرت داخل بيتي، لك ما تُريد يا حبيبي.

☆☆☆

\_ سالي، أعطيكِ فرصة أخيرة لكي تقولي لي الحقيقة.

قالتها غزل عبر الهاتف عندما عادت لمنزلها وهي تفكر في كلام كامل معها.

\_ حقيقة ماذا يا غزل؟

\_ حقيقة زواجك من وحيد، لا تنكري فأنا أعرف كل شيء.

ردت سالي ببرود: تعرفين ماذا؟

\_ أعرف أنه متزوج بأخرى، امرأة أربعينية في مثل عمره، وأعرف أن زواجكما ليس شرعيًا.

\_ اسمعيني جيدًا إداً يا غزل، هذه حياتي وأنا المسؤولة عنها ولن أسمح لك بعد الآن بالتنظير عليّ.

\_ سالي!!

صاحت الأخرى بنفاذ صبر:

\_ لقد سئمتُ ياغزل، سئمتُ من كل شيء، من نصائحك المبالغ فيها ومثاليته التي لا تنتهي!  
عليك أن تعلمي أنه لا ينبغي علي أن أكون نُسخةً منك، وأنني -أيضاً- أملكُ قراري، وسواء أكان ذلك القرار صائباً أم خاطئاً فوحدي من سيتحمل نتائجه، لذا توقفي عن تدخلاتك السخيفة هذه!.

ابتلعت ريقها، لم تتوقع أن ترد عليها هكذا، قالت:  
\_ إذًا، من فضلك، لا تُحاولي الوصول إليّ مجددًا قبل أن تضعي حدًا للأخطاء التي صارت تملأ حياتك.  
\_ هذه أخطائي وهي تُعجبني، وداغًا.  
أغلقت الخط، بهذه البساطة أغلقته مُتناسية السنين الطويلة التي قضتها برفقتها، نعم غزل دائمة النصح لها والتعليق على تصرفاتها لكن ذلك كله بدافع الحُب، بدافع الصداقة التي تربطهما مذ كانتا معًا في الدار، هل نست كل ذلك الآن؟  
تهتدت بحزن، على الأقل هي فعلت ما يُمليه عليها ضميرها والكرة الآن في ملعبها هي.



(8)

☆ البشر يُجيدون ارتداء الأقنعة، والذئاب البشرية في العادة  
تستترُ خلفَ قناع الأرناب. ☆

"إني لأنظر في الوجود بأسره لأرى الوجوه؛ فلا أرى إلاك  
قالوا ويخلق أربعين مُشابهًا من أربعينك لا أريدُ سواك".  
وقفت غزل صباحًا تُلقي درسها في اللغة العربية للصف  
السادس، فاجأتها فتاة بيت الشعر ذاك تستفهم معناه، بقدر  
استغرابها من الفتاة كان إعجابها بالشعر، كأنه صُمم على  
مقاس قلبها تمامًا.

\_ قولي لي أولاً من أين أتيت به يا ياسمين؟

\_ من المكتبة، أنا أهوى القراءة.

\_ حسناً، الشاعر هنا يقول أنه ينظرُ حوله في كافة الأماكن ولكافة  
الوجوه فلا يرى سوى وجه محبوبته، حتى أنه استشهد بمثل  
شعبي يقول " يخلق من الشبه أربعون " فيقول لمحبوبته أنه لا  
يريد أيًا من أولئك الأربعين؛ لا يريد سواها هي.

ابتسمت ابتسامة دافئة في آخر كلماتها وهي تُفكر، هل من  
الممكن أن يكون له أربعون شبيهه؟!

سَمِعَت فجأةً صوتَ دقاتٍ على باب الفصل المفتوح، استدارت  
مُسْرعة ليستدير حولها فُستانها الجديد الذي ابتاعته نهار أمس،  
وجدت كامل يقف أمامها وبجواره تقف امرأة تبدو في أواخر  
الثلاثينات وخلفهما يقف رجل لم تتبين ملامحه جيدًا.

تقدم كامل للدخل واقترب منها، تكادُ تجزم أنها المرة الأولى التي يرى فيها إنسان روحه تسير على قدمين!  
لا، من المستحيل أن يكون له -حق- شبيهةً واحداً!  
نبهت نفسها مُسرعة إذ انحني ليتمكن من الهمس بجوار أذنها، كيف ينحني وهي ترتدي حذاءً بكعبٍ يبلغ ارتفاعه عشرة سنتيمترات، أهى بهذا القصر أم أنه بالغ الطول؟  
قال: تلك الأسرة تحتاج لطفل، تعالي خلفي للخارج.  
وقفت تستمع لكلمات السيدة، امرأةٌ أخرى قُدِّر لها ألا ينبض داخل رحمها جنين، استغربت الحياة حينها واستغربت أفعال البشر أكثر، أناسٌ يُلقون بفلذات أكبادهم داخل صناديق القمامة، وأناسٌ آخرين يهرولون خلف أي فرصة تتيح لهم الحصول على ظفرهم، الإنسان فعلاً كائن كنود.  
شعرت غزل بالشفقة على تلك المرأة؛ فهي في الأربعين من العمر، كانت تنوي التكفل بطفل منذ بداية زواجها لكن زوجها كان يرفض ويؤجل ذلك حتى وجدت الشيب يطرق أبواب شعرها، قالت المرأة: \_ أريدها فتاه تؤنسنى في منزلي، لكني لا أريدها رضية فأننا لا أقوى على رعايتها للأسف، أفضل أن تكون واعية قليلاً.

\_ في أي صف؟

تدخل الزوج في الحديث عند ذلك، رجل لم ترتح له غزل مطلقاً، قال بابتسامة سمجة:

\_ لم لا نختار فتاة من الفصل الذي كانت به المعلمة، فتياته يبدون مؤدبات.

استغربتُ الفكرة، من ذا الذي يتكفل بطفلةٍ في الصف السادس، نعم بالطبع هناك من يفعل لكنه يكون تكفل مادي وحسب دون حضانة؛ فقد بلغت عُمرًا يستحيل بعده أن يشعر بحضانتها بعاطفة الأبوة.

رفعت بصرها لكامل لتتلاقى عيونهما، حتى عيناه تُخبرانها أنه يرفض الفكرة لكنه أوماً لها برأسه، كأنه يُريد التأكد من أمرٍ ما، نظرت للسيدة وقالت :

\_ تعالي، بإمكانك النظر إليهن ولكن إن لم تُعجبك احداهن فيمكنك قول ذلك.

وقف الزوجان في مُنتصف الصف بعد أن أصر الرجل على الحضور أيضاً ينظران للفتيات، ووقفت غزل تُراقب نظرات الرجل، هذه النظرات تحفظها عن ظهر قلب، لها معها ذكريات

لا تود حتى التفكير بها، وجدته يُشير صوب إحداهن فجأةً ويقول: هذه هي.

انتقلت نظرات كامل وغزل من إصبعه إلى الموضع المُشار إليه، فتاة آية في الجمال بوجهٍ بريء وجسد زارته معالم الأنوثة مُبكرًا، على الفور تقاطعت نظرأتهما من جديد ليفهما بعضهما دون كلام.

تحدثت غزل بحدة: سيدتي، هيا إلى الخارج.

قال الرجل: ماذا عن الفتاة؟

أداره كامل باتجاه الباب وهو يقول: إلى مكتبي، رجاءً.



جلست الزوجة على أريكة مكتب السيد كامل مهمومة وبجوارها جلست غزل، في حين جلس كامل خلف مكتبه بعملية وجلس بمقابلته ذاك الرجل، لنقل الذئب المُتخفي في ثوب رجل.

\_ ماذا تعني؟

رد كامل بقوة: أعني أننا داوٌّ للأيتام ولسنا بيت دعارة.

بدأت الزوجة في البُكاء، لم يهتم كامل بل أكمل قائلاً بنفس القوة:



\_ أنا أشعرُ بالعار لجلوسي في حضرة رجلٍ مثلك، تفحص بعينه الشريحتين أجساد ثلاثين فتاة لينتقي منهن ضحيته للتو.

\_ أنا لا أسمح لك!! صاح الرجل.

\_ وأنا لن أسمح لك أبدًا أن تُدنس براءة إحدى بناتي.

تحدثت السيدة أخيرًا، بلا وعي، قالت من بين دموعها:

\_ لقد وعدتني يا أمجد، وعدتني أنك تغيرت وأنتك لن تفعل ذلك

مُجددًا، ألم يكفك ما فعلته بشهد، ألم تتعظ؟

نهضت غزل من جوارها على الفور، شعرت بقشعريرة تسري

داخل أوصالها، مُذ علمت طبيعة ذاك الرجل وهي تُحارب

ذكرياتها وتضع نفسها مكان أي فتاة كانت لتذهب معهم،

ارتجفت يداها وهي تقول: \_ هل فعل ذلك بفتاة من قبل؟

أومأت السيدة بضعف، لكن غزل لم ترحم ضعفها إذ صاحت

بها:

\_ وتأتين به اليوم إلى هنا لتُقدمين له الأخرى على طبق من

ذهب؟!، أنتِ امرأة في غاية الأنانية.

ناداها كامل مُسرعًا: غزل!.

لم تلتفت، ولم تتوقف، قالت والدموع تغزو عيناها:

\_ كنت أشعر بالشفقة عليكِ، ودعوت الله ألف مرّة ألا أُجرب شعوركِ ذات يوم، لكنكِ بهذا يا سيدتي تجعليني أقول بلا شفقة أنكِ شريكته في الجريمة التي كان ليفعلها. نهض كامل من مكانه على الفور بعدما شعر أنها فقدت السيطرة على نفسها، بحرص شديد أمسك كتفها وأدارها تجاه الباب، طاوعته وسارت معه للخارج وهي تبكي بضعف، اللعنةُ على كل جراحها التي فُتحت اليوم. نهضت فاتن من خلف مكتبها عندما رأت غزل تخرج باكية، نظر لها كامل وقال: اعتني بها يا فاتن أرجوكِ ريثما أنهي الوضع بالداخل.



\_ سيدي، أرجوكِ أعطني فرصة أخيرة، سوف أتكفل بصبيّ حتى. جلس كامل دون أن يهتم بكلام السيدة الذي قالته فور دخوله، قال بجمود شديد:

\_ نحن لسنا متجرًا يعرضُ لكِ السلع أيتها السيدة، تفاضلين بين أي السلعتين حتى تستقري على احدهما، ثم ما الذي يضمن لي أن زوجك المصون لن يفعل مع الصبي ما كان ليفعله مع الفتاة.

انتفض الرجل عند ذلك وصاح في غضب:  
\_ لقد تجاوزت كل حدودك، الخطأ خطأي منذ البداية عندما وافقت وتكرمت أن أكفل لقيطة مُشرّدة.

اسود وجه كامل وانطفأت عيناه أكثر، حدق بالرجل وهو يكتم غضبه قدر المستطاع، قال من بين أسنانه:

\_ هذه اللقيطة المشردة هي أشرف منك ومن أمثالك، صاح مكملًا: هيا اغربا عن وجهي.

خرجا، ليرفع كامل سماعة هاتفه الداخلية متصلًا بفاتن وبمجرد أن ردت صاح بغضب:

\_ احتفظي بملف هذه الأسرة وأرسله في بريد مستعجل لكل دور الأيتام ألا يسمحوا لهما بكفالة أي طفل وأرفقي السبب: الزوج مُغتصب أطفال.

هدأ صوته قليلاً وهو يقول: هل غزل بخير، ألا تزال عندك؟  
جاء ردها أن نعم فأكمل: دعها تدخل.

طرقت الباب ودخلت، الوقت ليس مناسباً للتغزل بفستانها الجديد أليس كذلك، مذراها تقف في الصف شعر أنه في حضرة أميرة ساحرة، بل أن لديها أقوى سلاح تفتقد إليه معظم

الأميرات ألا وهو البساطة، كيف تستطيع أن تبدو بكل هذا  
الجمال والجادبية والأنوثة بكل هذه البساطة؟  
جلست أمامه، جفناها متورمان من البكاء، أل هذه الدرجة تأثرت  
بفعلة ذاك الرجل؟

ناولها كوبًا من الماء وهو يقول: هل أنتِ بخير؟  
أومأت له بنعم، قال: حساسيتكِ الشديدة لمثل هذه المواقف  
ستدفعني لإبعادك عنها مستقبلاً.

ردت بهدوء: تتكلم كأنها لم تُؤثر بك.

\_ بلى تأثرت، لكن ليس بإفراطٍ مثلك.

لم ترد، ولم تدرِ أصلًا بما ترد!

لا يُمكنها إخباره أن تأثرها الشديد ليس منبعه العطف وحسب،  
بل مرورها بموقف مُشابه كاد أن يودي بها، قالت بشبح  
ابتسامة:

\_ على كلِّ شكرًا لك.

\_ على ماذا؟

نظرت إليه : على موقفك النبيل أمام تلك العائلة، كنتُ خائفةً  
جدًا من أن تسمح لهما بكفالة البنت.

ابتسم مستغربًا ليقول: أخبريني صدقًا ماذا تظنني، تاجر عبيد؟! كل طفل يلهو ويلعب داخل هذا الدار هو جزءٌ مني سواء أردتُ ذلك أم لم أرد ، إنهم كأبنائي تمامًا يا غزل. اتسعت ابتسامتها، هي بالفعل لم تتوقع أن يكون له قلبٌ رقيق كهذا قالت: ستكون أبا عظيمًا يا سيدي. ارتبكت ملامحه فجأة عند تلك النقطة لكنها لم تلحظ، ولحسن حظه أنها غيرت مجرى الحديث قائلة: هل لي بسؤال؟  
\_ تفضلي.

\_ لماذا كلما جاءت أسرة للكفالة تأتي إليّ أنا، أليس من المفترض أن هذه وظيفة فاتن؟ شعرت كأن وجهه بأكمله يبتسم وهو يقول: ربما لأنك أكثر من يهتم بالأطفال في هذه الدار مثلًا. ابتسمت لإطرائه و لطفه، لا ينبغي أن يكون لطيفًا هكذا، عليه أن يُشّهل عليها مهمة ابتعادها عنه. سمعا صوت طرقات على الباب ثم دلف حسان، عطره القوي يسبقه كعادته وابتسامته تقاس بالأمتار، تجعلك تبتسم لا إراديًا عندما يقع بصرُك عليها.  
\_ السلام عليكم سيدي المدير و أنستي الجميلة.

استغرب كامل حاله، كيف من الممكن أن يحمل الحقد تجاه ياء  
ملكية مسكين؟

ردت غزل مُبتسمة: وعليكم السلام أيها المعلم دائم التأخر عن  
مواعيده وحصصه.

\_ ها أنتِ ذي تشين بي عند المدير.

ضحكت غزل وردت: هو لا يحتاج لوشايقي، كل الدار تعرف  
مواعيد حسان.

ضحك هو الآخر، وشعر كامل في المقابل بشعورٍ غريب لكنه لم  
يحبه وكأن جزءاً من روحه قد اندلعت به النيران لتوها، قال  
ليقطع التواصل البصري الذي بينهما: ماذا هناك يا حسان؟

\_ لا شيء كنت أبحث عن هذه المُعلمة وأخبروني أنها عندك، هل  
أنت متفرغة يا غزل؟

نظرت لكامل، كانت نظراته مثبتة على حسان، شعرت ببعض  
التسلية عندها، كم هو رائع أن تلمح ولو ومض بسيط من  
الغيرة داخل عينيّ من تهوى!.

قالت: ما الأمر؟

\_ أريد وضع اختبار شهري تفاعلي للأطفال وأحتاج ملاحظتك.

\_ لا بأس إذاً، أنا متفرغة.

أسرع كامل يقول: لا، لا يزال هناك قسم الرُّضْع بانتظارك.  
يا إلهي هل هي تحلم أم أن السيد كامل يُحاول تعطيل  
انفرادها بزميلها في العمل؟  
قال حسان: لا بأس لا بأس سأنتظرك، على أية حال لا يزال  
لديّ بعض الحصص.

أومأت له، فاستدار لينصرف لكنه عاد ينظر إليها ويقول:  
\_ بالمناسبة، ثوبٌ جميلٌ كروحك.

شعرت بالخجل لكنها ابتسمت و ردت: شكراً لذوقك.  
بمجرد رحيله التقت عيناها بعينيه، الموقف بالفعل لا يحتاج كلام،  
من ناحيته شعر بالضيق الشديد، كيف تمكن ذاك الرجل من  
قول اطرائه على ثوبها بهذه البساطة لينال شرف خجلها  
وكلمات شكرها، كيف استطاع التعبير عن مكنوناته بهذه  
السهولة واليسر، وأمامه، أمام أكثر رجلٍ يُحاول كبح مشاعره  
تجاه هذه الغزل.

نهضت مضطربة قائلة: سأتأخر عن صفاري، عن إذنك.  
أوقفها صوته وهي تهتم بفتح الباب، قال بلطف: هي غزل.  
استدارت له لتجده يُكمل: أنتِ أيضاً ستكونين أمّاً عظيمة.

ما بال كلماته البسيطة، لِمَ تحتل حيزًا كبيرًا من قلبها كل مرة دون شعور؟ ابتسمت له وأسرعت تجر قلبها خلفها وتركض خارج الغرفة.



" سنبتعد، سنتوقف عن التفكير، سنوحد الباب جيدًا ونضع خلفه ألف مانعٍ وسد، سنتمكن من ردع هذا القلب الأحمق، سنقول لنفسنا كل ما يمنعنا عنه ويبعدنا عن التفكير به، وسننسى كل ذلك عندما تلتقي عينانا بمهلكتيه!"



\_ قلتُ لك يا عاصم إنها امرأة خبيثة، قلتُ لك وحذرتك ألف مرة!.

صاحت صبا بهذه العبارة وهي تقف مع أخيها عاصم داخل منزلهم، ارتشف عاصم قهوته يحاول تهدئة غضبه، قال بغل:  
\_ لم أتوقع أن تبيع له كل ممتلكات عمي، لقد سبقتنا بخطوةٍ جبارة.

\_ أنا توقعت، و أخبرتك -أيضاً- أن تُسرع خطاك.



\_ وماذا كان بوسعي أن أفعله يا صبا، المرأة تمتلك توكيلاً عامًا  
من ذاك الأخرق، كنت أقول أن بموته ستضحك الدنيا أخيرًا لنا،  
وها هو يغلقها في وجهنا من جميع الجهات.

\_ لن أسمح له، لن أسمح لذاك اللقيط بنهب كل أموال عمي.

\_ ماذا ستفعلين؟

لعت عيناها بدهاء وقالت: بل قل ماذا سنفعل.



(٩)

☆ عينك قادرتان على حملي والطواف بي في رحلة عبر  
العالم، لكني أخاف أن أعود من رحلتي وحيدة. ☆

"تتسارع الأيام بجنون، ربما السبب في ذلك انشغالي الدائم، ثلاثة صفوف أساسية وفصل في الصف السادس ورعاية أطفال رضع، امممم ذكر الأمر وحده يأكل الوقت، تمكنت من اتقان تدريس اللغة أخيرًا وجاء ذلك بِقُرب نهاية هذا الفصل الدراسي، سيكونُ تحديًا جديدًا تظهر نتيجته بظهور نتيجة الطلاب في مادتي، أترين يا مُذكراتي، تمكنت من كتابة عدة أسطرٍ دون ذكره، هل بدأت بالتعافي منه؟ "

" أصعبُ لحظات حياتي هي عندما ينضمُ طفلٌ آخر إلى الدار، كبيراً كان أم صغير، يتأكل قلبي عليه رغماً عني، وأرى وجهي مُرغمة في وجوههم، أشعر بشعورهم ويتمهم الذي لا يُعوضه اهتمام العالم أجمع، وكُلما استجمعتُ ذاتي وتجاوزت ماضيّ بعثرتني نظرة يُتَمِّ من أحدهم، أو سؤالٌ مُباغت ممن تخلى عنه والداه بإرادتهم: "متى تعود أُمي؟" ومن المُفترض بي أن أجيب، كيف لقلبي موجوع كقلبي أن يُطالب بمداواة كل هذه الأوجاع دون أن ينهار؟!...!"



\_ كل عام وأنتم جميعًا بألف خير، عوضكم الله الفقد الجلل الذي فقدتموه، و وهبكم يا صغاري حياة ملؤها الحب والسعادة.

قالتها غزل وهي تقف بين أسرة الأطفال الرُّضع؛ ففي الغد عيد اليتيم، الجمعة الأولى من كل أبريل، تنهدت بعمق وراحت تُكمل عملها برفقة صفاء، تشعر أن صديقتها مُستاءة في الآونة الأخيرة ولا تستطيع لومها أبدًا؛ فحسان يتقرب منها أكثر ولا يكف عن مطاردتها بحجة التدريس والعمل، و صفاء مسكينة تُراقبه من بعيد و هي تعلم أن قلبه قد تعلق بغزل.

\_ أين ستذهبين غدًا يا غزل؟

\_ لم أقرر إلى أي دار بعد، لكني بالطبع سأعود إلى أطفالي هنا بنهاية اليوم، لا أستطيع تركهم دون تهنئة في يوم كهذا. أومأت لها صفاء في شرود، لتقول غزل:

\_ هي صفاء، أقسم لكِ أني لا أعدّه أكثر من صديق.

نظرت لها بعيون دامعة و ردت: أعلم ذلك، ولكنه يفعل.

\_ وماذا عساي فعله، لقد توقفت حتى عن الجلوس بحجرة المعلمين كي لا ألتقي به لكن..

أوقفها صفاء مشيرة لها بيدها، كففت دموعها وقالت:

\_ أنا لا ألقى اللوم عليك، كما لا ينبغي عليّ من الأساس أن أغضب؛ هو لا يلحظ وجودي، والخطأ خطأي منذ البداية، ما كان عليّ التعلق بديارٍ لن أسكنها قط.

اهتز قلب غزل وشردت، قالت مؤيدة:

\_ معك حق، لا ينبغي لأحدٍ أن يُمني نفسه بسكنى ديارٍ لن يطأها بأقدامه أبدًا، لأنها ستتحول إلى لعنة تُطارده في أحلامه ويقظته.

ابتسمت صفاء وقالت ناظرة لعينيها:

\_ لكن تلك الديار التي تتحدثين عنها، أنتِ تسكنينها بالفعل!

لكم تمنيت حينها أن يكون حديث صديقتها صحيحًا!

كم تمنيت أن تكون قد خطت ولو بضع خطواتٍ داخل تلك الديار، بل إن طموحها الخائف تمنى أن تكون -على الأقل- قد طرقت باب دياره، لكنها عادت لتُذكر نفسها، حتى لو فعلت، حتى لو دقت الباب وفتح لها و دخلت وقدم لها واجب الضيافة كذلك، ماذا بعد؟ الإجابة أتمتها سريعًا، ستكون مُجرد ضيفة تغادر عاجلاً أم آجلاً، ضيفة تتمنى من كل قلبها أن تُمسك بِصكّ ملكية دياره بين أيديها.

قالت بضعف:

\_ تعرفين يا صفاء، هناك ديار سُكناها مؤذي أكثر من تمنيتها.  
\_ لا تكابري قلبك يا غزل.  
\_ أُوَكْبَرُه، منذ يوجِّ كالغد القريب وأنا أُوَكْبَرُه.  
\_ لِمَ المُكَابَرَةُ؟ الأمر أهون مما تظنين.  
جلست غزل وهي تقول بضعف أكبر: بل هو أصعب مما  
تعرفين، هناك أمور لا أستطيع البوح بها ستقف دومًا حاجزًا  
بيني وبينه.

تنهدت صفاء حزنًا عليها، هي تلاحظها منذ مدة وتعرف بحبها  
المكنون تجاه السيد كامل، حتى هو تلاحظه وتلاحظ كلماته  
ونظراته إليها، إنها تعمل بالدار منذ سنين طويلة وهي على  
دراية كاملة به وبتصرفاته وتكاد تجزم أن كامل بعد قدوم غزل  
هو شخصٌ آخر تمامًا غير كامل قبل قدومها.



نهضت صباحًا وبدأت بالتجهز للنزول، اختارت ثوبًا جميلًا مُزدان  
بالورود الصفراء ولفت وشاحًا أصفر اللون حول رأسها، وقفت  
تُطالع وجهها بالمرآة وهي تتذكر ما حدث معها في مثل هذا اليوم  
قبل عام، حين التقت به دون تخطيط لتنعقد خيوط أقدارهما  
سوية.

ذهبت للمحل التجاري وحيدةً هذه المرة أيضًا؛ فخصامها مع سالي لا يزال قائمًا، وقفت تنتقي الألعاب وتنتقل بين الأرفف حاملةً سلة ضخمة هذه المرة، شعرت بالامتنان لكامل ومرتبته الضخم الذي جعل حياتها أكثر راحة في العام المنصرم، من كان ليُصدق أنها ستقف في نفس المتجر بعد عام تنتقي منه كل ما طاب لها من ألعابٍ دون خوفٍ من أسعار ودون أن تحسب ألف حسبة؟!.

مدت يدها تُمسك بلعبة في صفٍ عالٍ، وجدت يدًا رجولية تعتلي يدها تكادُ أن تلمسها، لولا أنها تراجعت في آخر لحظة، ابتسمت على الفور وشعور دافئ يزغزع قلبها، سمعت صوت ضحكته خلفها، استدارت له في حين قال هو: مجددًا؟

رفعت بصرها إليه رويدًا رويدًا، ها هو أكثر أناقة عن المعتاد وعطره الخاص احتل رثتها بما احتوته من قلبٍ مسكينٍ راح يحتضن أول ما وصله منه، التقت عيناها بعينه أخيرًا، أو لنقل أن عيناها سقطت داخل أحضان مُقلتيه.

شтан بين نظراتهما لبعض في هذه اللحظة، وتلك قبل عام في نفس المكان.

قال مبتسمًا: كنت أعرف أنني سأجدك هنا.

ردت خجلة: هل كنت تبحث عني؟  
حك جبهته متوترًا ليرد: لا، لكنني فقط استعدتُ بعضَ الذكريات  
عندما دخلت إلى المكان.

ضحكت على الفور، ذاك لأنها ومنذ الصباح تتعرض لهجوم  
قوي من تلك الذكريات التي يتحدث عنها، ضحكت ليغرق هو  
بها أكثر، بالله كيف يُمكنه مقاومة امرأة مثلها قادرةٌ -وبضحكة  
واحدة - على اجتذاب لُبِّه من محله؟!.

قالت ضاحكة: لنعقد اتفاقاً، اليوم لن نتشاجر على الألعاب.

\_ ولا على الأطفال من فضلك.

\_ وهل حدث ذلك من قبل؟

\_ لن أنسى لكِ أبدًا أنك سبقتني بالدمية إلى الصغيرة سلمى.

\_ على رسلك يا رجل هذا كان جزاؤك العادل على اختطاف

الدمية مني من البداية.

تشاركا الضحك سويًا هذه المرة، وكانت هذه أول مرة يتقاسمان

فيها ضحكة معًا، وكم تمنيا أن تدوم أبدًا!.

\_ انظر إلى هذه الدمية، الفتيات يفضلن هذا النوع كثيرًا.

تناول منها الدمية وهو يراقب سعادتها الغربية، إنها مهمة

بانتقاء الألعاب بعناية وكأنها تنتقيها لأطفالها.



\_ ما أدراكِ أنتِ بما يفضله الفتيات؟  
نظرت له نظرة جانبية رافعة حاجبها الأيمن قائلة: حقًا، ربما  
لأنني فتاة مثلهن مثلًا؟.  
ابتسم ليرد: بالطبع ليس هذا مقصدي، لكنك الآن فتاة كبيرة  
ناضجة، كيف ستفهمين احتياجات الصغار منهن؟  
نظرت له وقالت بثقة: خُذها مني نصيحةً يا سيد كامل، في مثل  
هذه الأمور؛ فعقولنا مُتساوية الكبيرة منها والصغيرة.  
ضحك مجددًا لتستغربه، ما باله قرر إطلاق صراح ضحكاته  
معها فجأة، وتحديدًا في الوقت الذي تحاول فيه تذكرة نفسها  
على الدوام بمن يكون، ومن تكون هي؟  
\_ أنت تسخر مني.  
\_ على العكس لكن كلامك مُضحك، إنه يعني لو أهداكِ أحدهم  
هذه الدمية شقراء الشعر ستكونين سعيدةً بها.  
\_ بل سأكون في غاية سعادتي.  
قالتها وهي تُضيف الدمية لسلة مشترواتها وهو يحرق بها  
مبتسمًا، أنهيها جولتهما بالمتجر، أراد كامل وبشدة أن يدفع  
حساب مشترواتها لكنها امتنعت قائلة: لا تقلق معي المال  
الكافي؛ فلدي رب عملٍ كريمٍ للغاية .

ابتسم لإطرائها وتركها تدفع، ثم خرجا.

\_ ما وجهتك؟

قالها وهو يخرج مفتاح سيارته من جيبه، وعُمال المتجر مستمرون في نقل مشروعاته إلى سيارته.

\_ سأذهب لدار " الأمل".

\_ أنا أيضًا ذاهب لهنالك، هل تأتين معي؟

تفاجأت من عرضه كثيرًا وسرعان ما ظهر ذلك على وجهها وهي تقول: ماذا، في سيارتك الخاصة؟

\_ عذرًا أنا لا أقود حافلات نقلٍ عامٍ في هذه الفترة، أعلم أنها ذوقك المفضل، هيا ياغزل لن نضيع اليوم بأكمله هنا، ولا أظنك قادرة على حمل مشروعاتك هذه في سيارة نقل عامة.

ولم لا؟... ما المانع من ذهابها معه، ابتلعت ريقها بضعف وهي تهمس لنفسها: " قلبي هو المانع، سحًا له! "

استقلت السيارة بجواره برهبة، هذه أول مرة تتركب فيها سيارة فارهة كهذه، إنها حتى تخاف أن تُحرك قدميها عن موضعهما فتتسخ، كذلك أول مرة تنفرد برجل داخل سيارة واحدة، والمشكلة أنه ليس أي رجل، إنه ذاك الذي كُلما أغلقت بوجهه

باب من أبواب قلبها وجدته يتمكن -وبمنتهى السهولة- من فتح بابٍ آخر.



انتهيا -سويًا- من زيارة مُعظم دور الأيتام، وزعا الألعاب على الأطفال ولعبا مع معظمهم، كانت فُرصة للتعرف على بعضهما البعض أكثر حتى لو لم يرغباً بذلك، رأت غزل كم أن كامل شخص حنون وعطوف، إنه لا يستطيع أبدًا الحفاظ على هيئته الحازمة في حضرة الأطفال الصغار، رآته يحمل رضيعًا صغيرًا شق قلبيهما من فرط بكائه، ظل يهدده ويلاعبه حتى هدا الصغير وغط في النوم العميق.

استقل السيارة بجوارها وأدار المحرك وهو يقول:

\_ رائع، لا يزال الوقت مبكرًا للذهاب إلى دارنا.

" دارنا "... رنّت الكلمة بأذنيها أو ربما بقلبها، منذ زمن بعيد وأي كلمة تدل على السكن تحفز خلاياها، الآن عُقدت أهم كلماته بنون جمع مع شخصٍ لن تجتمع معه أبدًا، حتى الكلمة نفسها كلمة عائمة ما لم يزرها حرف الياء، هل من الممكن أن يستجيب القدر لقلبها الصغير ويحول الدار إلى ديار؟

قالت: هل قدومي مهم؟

\_ حسبك تنوين القدوم من البداية.  
\_ نعم، ولكن أخاف أن يتأخر الوقت دون أن أذهب  
ل.....تراجعت عن الكلمة ، كاد لسانها أن ينزل وتقول بصفة  
مجردة "السيدة هناء" فتصبح بعدها مضطرة إلى التعريف بها،  
قالت تكمل: أمي، أمي تقلق عليّ حال تأخري.  
لا بأس بالكذب هذه المرة أيضًا، هي ليست تعيسة لدرجة إخباره  
أنها يتيمة وتسكن بمفردها بغرفة ذات حمامٍ فوق سطح مبنى  
في حارة شعبية، أليس كذلك؟  
\_ لا تقلقي لن نتأخر، كما أن قدومكٍ بالفعل مهم؛ فنحن نتلقى  
طلبات كفالة عديدة في مثل هذا اليوم من كل عام.  
\_ هكذا إذًا، أنت تطمع في أعمالٍ يوم عطلي.  
نظر لها وابتسم قائلاً: لا تلومي إلا نفسك، نظرتك الثاقبة هي  
دافعي الوحيد للزج بك في كل حالات الكفالة.



\_ هل تحدثت معها؟  
قالتها صبا وهي تتحدث عبر الهاتف مع شقيقها عاصم، كانت  
تدبب بأناملها على سطح المنضدة وهي تستمع إليه.

قالت: لا شيء يُسمى أنها لم تقتنع، فَدِّم إليها المغريات، قُل أننا سنتركُ لها النصيب الأكبر، المهم أن يلين رأسها اليابس ذاك. تكلم بضع كلمات لترد بعدها: إنها تَدَّعي النزاهة صدقي، سيسقط قناعها أمام المال، فقط لا تكف عن محاولاتك. أغلقت الخط وهي تقول زافرة: ستقتنعين، بل يجب أن تفعلي، لم تعتد صبا أن يحدث خلاف ما تريد وتخطط.



رحل عاصم بعد أن أقنعها بخطته هو وصبا شقيقته، ارتشفت كوب الشاي بتسفي وهي تبتمس بسخرية؛ فهم جاءوا ليقنعوها بما اعتزمت عليه منذ مدة، فبرغم وقوعها في غرام عاصم، إلا أنها يستحيل أن تُصيغ تلك الفرصة الذهبية من بين أيديها خاصةً وأن أعمال والدها في تَرْدٍ مستمر مذ انفرد بها، عليها الاعتراف أنه ما كان يومًا بارعًا في العمل مثل عمها. قالت بهدوء ومكر: أعتقد أن الإيقاع برجلٍ مثل كامل أمرٌ صعب، ولكن هذا يزيد من مُتعتي بلعب تلك اللعبة.



أمضيا سويًا بقية اليوم بالدار، وزعا الكثير من الألعاب والضحكات، هذه المرة كانت مُختلفة كُليًا بالنسبة لغزل؛ فالدار

التي زارتها منذ عام صارت سكنًا لها هذه المرة، تحفظُ أسماء أطفالها بل بينها وبينهم العديد من الروابط، هذه المرة مُعظمهم ينادونها " أختي غزل".

\_ حل الظلام سريعًا.

قالتها غزل وهي تقف في مكتب كامل بعد أن أنهوا كافة الأعمال واستقبال حالات الكفالة التي زادت عن المعتاد بالفعل، حركت فاتن كتفيها للأمام والخلف وهي تقول: كان يوماً مُتعباً لكننا استمتعنا.

\_ أبليتما حسناً اليوم، أنا شاكرٌ لجهدكما.

قالها كامل وهو يجلس على مكتبه فأومأت الفتاتان له مع ابتسامة عرفان.

نهضت فاتن قائلة: سأذهب لأللم أغراضي وأستعد للرحيل. غادرت، وكادت أن تغادر غزل هي الأخرى؛ فها هي تنفرد به، في مكتبه ومجددًا، في ساعة مُتأخرة من الليل، وفي مساءٍ يوجِّ قضته بأكمله تتأمل ملامحه والحزن الذي يحتل عينيه رغم ضحكاته التي عرفت طريقها جيدًا لتُحفر في جدار قلبها. أوقفها صوته الذي قال: غزل.

استدارت له، باتت تعشق اسمها الذي كرهته لربع قرن كامل،  
فقط لأنه خرج بلحن صوته الرخيم.

قال مُبتسماً: هلا مررتي على مكتبك قبل رحيلك، لقد نسيت  
شيئاً يخلصك هناك.

\_ شيءٌ يخصني؟! لا أعتقد فأنا لم أذهب لُحجرة المعلمين من  
الأساس .

حك جبهته؛ فعلمت أن عليها الانصياع لأوامره وحسب، قالت  
مسرعة : حسناً حسناً، فقط ارحم جبهتك، كدت تصل إلى خلايا  
مُحك من كثرة حكها يا رجل.

\_ ارحلي يا غزل قبل أن أتمكن من الوصول لخلاياك أنت  
الأخرى.

رحلت بالفعل وهي تضحك، تتساءل بصوت داخلي:

\_ يا مسكين، وهل هناك خلية بي لم تتمكن من الوصول إليها  
بعد؟!



"أنا سريعُ الوقوع في غرام التفاصيل الصغيرة، التفاصيلُ التي لا  
يلتفت إليها أحد، التي لا تبدو مُلفتة من الأساس، بها يكمن

موضع عشقي وجنوني، لم أكن لأصدق أن يهتم كامل بتفصيـلة دقيقة كهذه، ولكن يبدو أن مُفاجآته لا تنتهي! ".  
دونها في دفتر مذكراتها، ونظرت إلى فراشها حيث استقرت دمـية جميلة شقراء الشعر، هي نفسها التي تناقشا حولها في متجر الألعاب، لا تُصدق حتى الآن أنها دخلت غرفة المعلمين لتجد تلك الدمية موضوعة على مكتبها مرفق بها كارت صغير كُتب عليه :

"ملحوظة: ليست لأن عقلك يتساوى مع عقول الفتيات الصغيرات، بل قلبك الجميل."





(١٠)

☆ القلب الذي قرر أن يغادر أراضيه ☆

مرت الأيام بسرعتها المعهودة، اقتربت أيام الامتحانات، وابتعدت هي عن مُعذِّب هواها، ليست رغبةً منها هذه المرة، ولا إحساسها الدائم بالدونية أمامه، وليس -أيضاً- خوفها من رد فعله عند معرفته بحقيقتها، بل لتردد ابنة عمه عُلا المستمر على الدار، صارت تقريباً لا تُفارقه، تُلاصقه مثل ظله، تُلقِي عليه تحية الصباح بنعومة قُبلةٍ طفلٍ رضيع، وتُوَدِّعه مساءً بإغواء قُبلة أنثى مُكتملة الجمال.

وهو -على الجانب الآخر- يبدو هادئاً في حضرتها، وهو شيءٌ يُريحها ولا يريحها، على الأقل لم تسمع منه ضحكةً بوجودها كتلك التي أطلق سراحها معها ذات مرة.

تفاجأت بحسان ذات يوم يُصْرِح بمشاعره تجاهها، احترمتها حين لم يذكر أنه حَبًا بل إعجاباً بشخصيتها وفكرها، عندها لم تجد حرجاً من رفض عرضه دون أية أعذار غير أنها لا تنظرُ إليه سوى كأخٍ وصديق، بالطبع لا تستطيع إخباره أن ضعيفها غارقٌ في عشق رجلٍ تؤمن أتم الإيمان أنه لن يكون لها يوماً.



جلس في عُرفته ذات مساء بعد أن أنهى معظم أعمال والده  
العالقة، يرتشف قهوته وهو غارق في التفكير، بل غارق في  
المشاعر، يحتار أيلبي حاجة قلبه أم حاجة عقله اللعين؟  
احتلته ذكرى بعيدة بحساب الزمن والسنين، لكنها أقرب  
ذكرياته حضوراً إلى عقله كلما شرد، وأكثرها إيجاعاً لقلبه الذي  
قد شبع وجعاً!

\_ هل ستكون نزهتنا هذه آمنةً عليكِ يا أمي؟!

\_ لا تقلق يا كامل، أخذتُ إذن الطبيب..

ابتسم لها بينما أسرع في تبديل ثيابه، كان يتعثّر في بنطاله الذي  
يُحاول جاهداً ارتدائه بمفرده كما طلبت منه أمه؛ مؤخراً ألزمته  
بالقيام بمعظم مهامه مُعتمداً على ذاته، فحملها العزيز الذي  
جاء بعد ثمان سنواتٍ من الصبر يستدعي جِرحها الشديد على  
كل تحركاتها، وتوفيرها لطاقتها قدر المُستطاع.

ابتسم وهو يُطالع وجهه في المرآة المُلحقة بعُرفته، تحدث لنفسه:  
\_ سيصيرُ لدي أخ أخيراً، سيشاركني اللعب بعد أن مللت  
الوحدة.

أدار نظره صوب دولاب ملابسه ليتفاجأ بحقيبة كبيرة أمامه،  
تبدو مُمتلئة عن آخرها، أكمل مُستغرباً:

\_ غريب، لِمَ قامت أُمي بجمع ملابسِي مع أنها قالت أننا سنعود اليوم؟!  
عاد من ذِكراه مُرغماً عقله على التوقف عند ذاك الحد، أغمض عينيه بقوة يمنع عنها دموعها، تلك الدموع الغالية التي لا تزورهما إلا نتيجة تلك الذكرى القبيحة!.  
دخلت السيدة مريم بعد أن دقت الباب ورأته على حالته تلك،  
قالت:

\_ فيم تفكر يا ولدي؟  
\_ في الدنيا، وكم هي ظالمة!.  
\_ لم تقول ذلك؟  
لم يُردِ إفصاحاً عن تلك الذكرى اللعينة التي تعرفها السيدة مريم، والتي كانت السبب الرئيسي في عجزه الدائم عن مُناداته لها بلقب أُمي؛ لذا اكتفى بذكر ما أرق تفكيره قبل استحضار تلك الذكرى، فقال:

\_ لأنني أقف في موضع اختيار بين شيئين لا يجوز لي من الأساس الاختيار بينهما.

جلست قبالته قلقة وقالت: أثرت قلقي.  
نظر إليها يُحاول رسم ابتسامة كاذبة وقال:

\_ لا تقلقي البتة، المهم أود استشارتك.

\_ في ماذا؟

\_ ما رأيك بعلا؟

\_ علا ابنة سالم؟

\_ هي بعينها.

\_ وفيم تريد رأيي بالتحديد.

تنهد، بعمق قلبه الحزين، قال: أريدها زوجةً لي.

أثسعت عينا السيدة، هي تُلاحظ قرب علا المُستمر منه في الفترة الماضية لكن لم تفكر يومًا في هذا، أن كامل من الممكن أن ينجذب إليها.

\_ هل...أحببتها؟

خفق قلبه، هو لم يعرف معنى الحب إلا في الآونة الأخيرة من حياته، وبالتأكيد لم يكن معها.

قال: الحب ليس الأساس دومًا، سيدتي.

\_ لا تكن مثله، أرجوك لا تكن مثله.

\_ من تقصدين؟

\_ لقد تزوجني ولم يكن الحب -أيضًا- أساسًا لعلاقتنا، وأنت خير

شاهدٍ على طبيعة مسارها فيما بعد.

\_ الأمر الآن مختلف، أنا لست مثله سيدتي، أنا فقط أود أن أرد الأمانة إلى أهلها، إذا تزوجت علا سينزاح حملٌ كبير من على كاهلي على الأقل لن أشعر أنني لص ووضيع.  
تأم قلبُ المرأة، تعب من إخفاءً أمراً مهماً تود إخباره به ولا تقوى على ذلك.

قالت: أنت لم تكن يوماً لصاً يا كامل.

\_ هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستشعرنني بما تقولين، علا أنقاهم وهي أحقهم بالمال حال لم يرجع السيد من سفره، لقد كلفت فرقة بحث مؤخراً في كافة البلاد التي كان يزورها وهم على تواصل مستمر معي.

\_ المهم عندي هو أنت، لا أريدك أن تضحي بسعادتك بسبب الأمانة العالقة برقبتك.

\_ عن أية سعادة تتحدثين، هلا قلت لي سيدتي من ستقبل برجل ذو ماضيٍ مُشرّفٍ كماضي، على الأقل علا تعرف عني كل شيء ولن أجد صعوبةً في شرح الأمر لها.

\_ لا علم لديّ بمن ستقبل، ربما تلك التي كنت تختار بينها



وبين علا عند دخولي مثلاً.

ارتبك، وسرعان ما ظهر ذلك على وجهه، وزار طيفُ ابتسامة خفيف شفّيته لكن عيونه كانت تتألم، بل ترسم الألم رسماً، قال:  
\_ ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

\_ أقول لك يا ولدي كلمة أخيرة، أنت رجلٌ طبيعي، لا علاقة لماضيك بحاضرك؛ فلا تدعه يقتل مستقبلك، ربما تكون الوحيد المنشغل بذاك الماضي اللعين بينما لا أحد يهتم به أو بمعرفته، وأنت أدرى الناس بمعدن الفتاة التي تمكنت من قلبك وسلبته وأدراهم برد فعلها حال معرفتها به، لكن ربما يكون هاجسك ليس رد فعلها، بل معرفتها به من الأساس.

\_ كل ذلك لا يهم الآن، لقد اتخذت قراري، تجهزي فعما قريب سنذهب لخطبة علا.



\_ هل من عادة السيد كامل التغيب عن الدار فترة الاختبارات؟ قالتها غزل وهي تجلس في غرفة التصحيح تقوم بمهامها من تصحيح أوراق الصفوف الأولى، وفاتن تجلس قبالتها تُسليها وتحسني الشاي، توترت فاتن؛ فهي أدرى الناس بسبب تغيب



كامل لمدة أسبوعين، وهي أدرهم \_ أيضًا\_ أن غزل آخر من  
ينبغي له معرفة ذاك السبب.

\_ ربما يشغله أمرٌ ما، والده لم يظهر بعد.

\_ يبدو أن ذاك السيد مصطفى يُحب إثارة قلق مُحببيه.

\_ من مصطفى؟

رفعت غزل نظرها عن الأوراق ونظرت لها قائلة:

\_سلامتك أنا من يعمل هنا فم الذي سحب تركيزك أنتِ،

السيد مصطفى إبراهيم والد السيد كامل.

ابتلعت فاتن ريقها وقلقها يتزايد، كيف نست ذلك، إن هذا هو

الاسم الرسمي لكامل هُنا بالدار، وملكيته للدار جعلت من

إخفاء الأمر شيئًا أكثر سهولة؛ وذاك لعدم حدوث أي احتكاك لا

من قريب ولا من بعيد مع كفيله من شأنه أن يكشف أمره، أما

بالنسبة لباقي الأعمال؛ فالعظم يعلمون أنه ابن متكفل به،

حمدت الله في سرها أن غزل أبعد ما يكون عن معرفة الحقيقة؛

فبقاؤها داخل إطار الدار وحسب يضمن لها ذلك.

قالت تتدارك الموقف:

\_ هذا كله بسبب شايك الذي تجبريني على ارتشافه.

\_ يا حمقاء، وهل يوجد أفضل من كوب شايٍ مُنعنع؟

\_ نعم يوجد، فنجان قهوة سادة قادر على احتضان خلايا مخي.  
\_ تركت لكِ القهوة وعشقها يا عميقة؛ فاتركي لي الشاي.  
تناولت البراد من أمامها و أفرغت المزيد في كوبها، تطاير الدخان  
برائحته العذبة ليصل لأنف الرجل الذي وقف على مدخل  
الباب.

\_ هلا صببتِ لي كوبًا معكِ يا غزل.  
نظرت الفتاتان مُسرعتين إلى موضعه، تسربت نظراتُ اللّهفة  
والشوق من مُقلتي غزل، أما فاتن فحدث ولا حرج عن  
شعورها وقتها، تعلمُ أن كامل سيفصح بما لديه أمامها، وتعلم  
أن قلبها لن يحتمل!  
جلس على الكرسي المجاور لفاتن، المُقابل لها ولُهلكتيها  
اللامعتين، يخافُ كثيرًا أن يضعف أمامهما، أن تُثنيه عما جاء  
من أجله، ويخافُ أن يلقى منهما ردّ الفعل الذي يتمناه ويخشى  
حدوثه.

ناولته الكوب مُبتسمة وهي تقول:

\_ أراهنك أن تنسى عشقك للقهوة بعد هذا الكوب.

تناوله، ناظرًا لعينيها وهو يردّ:

\_ عشقها لا يُنسى، ولا يمحوه شيء.

\_ رغم مرارتها؟

\_ رغم مرارة كل ما يتعلق بها.

استغربته واستغربت رده، وهو شعر أنه أفصح عن مكنونه رغم أنها لم تفهمه.

أغلقت أوراق الإجابة ناظرةً إليه مبتسمة وهي تردف:

\_ ما سبب غياب حضرة المدير هذه المرة؟

ابتلعت فاتن ريقها خشية اللحظة القادمة، نظرت لكامل وعيناها تُخبراه أن لا، وجاءها ردُّ عيناه أنه لا مفر من نعم!

ارتشف من شايبه، صدقًا هذا أحلى كوب شاي تذوقه ذات يوم، قال بهدوء لا يناسب ما يخرج من فمه:

\_ كنت أُعدُّ لحفل خطبتي.

وكأن عقارب الساعة قد توقفت بها عند ما تفوه به، بل وكأنها بوقوفها قد أوقفت معها نبضات قلبها الحزين، ابتسمت بضعف، لا ينبغي من الأساس أن تكون ضعيفة، حاولت التكلم لعدة لحظات لكن صوتها قد خانها، ارتشفت شايبها الذي نزل جوفها كالعلقم، قالت تجمع شتات حروفها:

\_ يا لها من مفاجأة! مُبارك.

\_ بوركتِ يا غزل.

\_ ومن العروس، هل أعرفها؟

\_ نعم، إنها عُلا ابنة عمي، التقيتِ بها سابقاً هُنا.

أومأت برأسها وهي تتذكر، هي لم تنسها حتى تبذل الجهد الجهد في تذكرها، منذ أن التقت بها وهي بالفعل تشعر أنها التقت بندها رغم بُعد المسافات الفاصلة بينهما.

قالت: أحسنت الاختيار، لديك ذوقٌ رائع!.

ابتسم بهدوء وهو يرد: ذوقي -دائمًا- كان رائعًا.

اكتفت من التظاهر أنها بخير، وأن الأمر لا يعينها، وجاء موعد ذهابها لقسم الرُضّع كالمُنقذ من هذا الموقف الذي لا تُحسد عليه، نهضت تلملم أغراضها و تحفظ أوراق الإجابة في أدراجها وهي تقول: لا تنسى أن توصلها مُباركاتي، الآن لديّ عمل، عن إذنكما!.

راقبها تُعادر، كأنها تجر قلبها الموءود خلفها، عيناهُ تحتضان جسدها المُبتعد عنه بخطواتٍ ثِقَال، ثَقِيلَةٌ بما تكفي ليشعر بها قلبه، قال مُكملاً جملته:

\_ ذوقي دائماً كان رائعًا، وحظي دائماً كان الأوسع!.

تهددت فاتن بعمق، فاتن التي تُماثله في العمر ولديها من الحكمة مقدار ما لديه بل وأحياناً يزيد، قالت معاتبه:

\_ لم فعلت هذا، لما أخبرتها؟  
نظر إليها وتكاد تجزم أنها لمحت حزن عينيه كما لم تلمحه من  
قبل، ردّ مُتنهداً:  
\_ أخبرتها.... حتى تُحلّق الفراشة!.



"ماذا أفعل؟ صدقاً ليس لدي إجابة وتأكلني الحيرة، مذ أن  
علمت بذاك الخبر وأنا أشعر باختلال بكل خلاياي البائسة،  
أليس من المفترض أن أرتاح قليلاً، أنه بهذا يُسهل عليّ مهمة  
نسيان أمره والابتعاد عن مساره، ما بال قلبي إذًا أعلن عصيانه  
الآن، ما باله يرفض الابتعاد عندما صار مُحتمًا عليه، كنت أظني  
مُعجبة به، أو ربما مُنبهة، لم أكن أعلم أنني قد عبرت بقلبي  
لنطقة محظورة يصعب الرجوع منها، لم أكن أعلم أنني تورطت  
بمشاعري لهذه الدرجة، سحقًا للقلوب وما تفعله بأصحابها،  
سُحقًا!"



**(11)**

☆ رحيل ☆

انتهت فترة الاختبارات، حتى اختبارات الصف السادس الابتدائي  
والذي سيتولى تصحيح أوراقها مُحافضةٌ أخرى .  
وقفت غزل في قسم رعاية الرُّضع مع صفاء تنظر لعينيها  
الدامعتين، ربتت عليها وهي تقول :  
\_ تعلمين أن هذا هو القرار الصائب.  
\_ لا يا غزل، أرجوك لا ترحلي.  
ابتسمت بضعف وهي تردّ: لا تُصعب عليّ مهمتي، قلبي يكاد  
ينكسر.

\_ لا ذنب لهؤلاء الأطفال غزل، إنهم شديدي التعلُّق بك.  
\_ أقسم أنني أفعل ذلك مُرغمة، لكنني لا أستطيع يا صفاء، لا  
أستطيع أن أراه كل يوم دون أن يتألم هذا الضعيف الذي يسكن  
أصلعي، لا أستطيع رؤية تلك الفتاة تُجالسه باستمرار دون أن  
تتدفق دماء الغيرة في عروقي، بطريقةٍ أو بأخرى لن تتقاطع طُرقنا  
أبدًا، أبدًا يا صفاء، لذا على أيامنا أيضًا ألا تكون مُشتركة، عليّ ألا  
أتقاسم معه نفس الأرض ونفس الهواء ثم أستغرب حالي لِمَ لا  
أقدر على تجاوزه .

\_ لكن..

\_ من دون لكن، يجب أن أبتعد!!.



دقت باب مكتبه ودخلت، تمامًا كما دق هو باب قلبها قبلاً و  
وطأه، لا .. إنها تكذب، هو لم يدق ولم يستأذن، هو اقتحمه كما  
يقتحم المحتل الوطن، وهو محتلٌ يرفض الجلاء.

\_ السلام عليكم ورحمة الله.

\_ وعليكم السلام، تفضلي غزل.

تقدمت و وضعت مظلوفاً على مكتبه، نظر إليه ثم رفع بصره  
لها مستغرباً وسأل: ما هذا؟

\_ استقالتي.

نهض عن كرسيه فوراً وهو يقول: ماذا، استقالة ماذا؟

ابتلعت ريقها بضعف، رفعت بصرها لقامته العالية حتى وصلت  
إلى عينيه، هل من الممكن والمسموح لها أن تُمني قلبها ولو  
بتفسيرٍ خاطئ لهذه النظرة؟

قالت بثبات رغم اضطراب شعورها:

\_ استقالتي عن العمل المؤكل إليّ في دار " العائلة".

حاول للممة شتات نفسه، لم يتوقع أن تُقدم على هذه الحركة،  
هو يعلم حاجتها للعمل واتخذ من هذه المعلومة ضماناً لبقائها  
تحت ناظره، قال: لماذا، هل أساء إليك أحد؟



\_ أبدًا سيدي، كل العاملين هنا محترمون.

\_ هل المرتب سيء، بإمكانك زيادته قليلاً.

\_ صدقي إنه يكفي ويفيض.

نظر لملقنتيها، ساحراته الخضراوان، قال برجاء: إذًا لماذا الاستقالة؟

ابتسمت، بكل ما في قلبها من قوة وضعف، وردّت:

\_ اسمح لي أن أحفظ بالسبب لنفسي، وداعًا سيد كامل.



غادرت دون أن تودعه حق الوداع، دون أن تُشبع عيناها برؤيته

للمرة الأخيرة، دون -حتى- أن تُخبر فاتن أنها راحلة و إلى الأبد، و

دون أن تحتضن كل طفلٍ تعلقَتْ روحُها به داخل هذه الدار

العزيزة على قلبها.

ارتمتي كامل على أريكة مكتبه فور رحيلها، دقت فاتن الباب

ودخلت قائلة: ما بالها غزل؟! خرجت من عندك مُضطربة ولم

تودعني.

\_ لقد رحلت.

\_ أعلم أنها رحلت، لكن ..

رفع بصره إليها بوجهه الذي احتله الحزن أكثر من أي مرة

سبقت وقال: رحلت وإلى الأبد، لقد قدمت إليّ استقالتها.

اندهشت فاتن، هي تُلاحظ حزنها مذ علمت بخبر خطبته وتوقعت هذه الحركة منها، لكن لم تتوقع أن تأتي بهذه السرعة.

\_ ألا يُثبت لك ذلك شيء؟

\_ لا أهتم بأي اثباتات الآن، أرجوكِ!.

جلست قبالتها وهي تحاول استغلال الفرصة أنسب استغلال رغم حُزنها على رحيل صديقتها، قالت:

\_ الفتاة تُحبك، وأنت أدري الناس بذاك الذي يقبع بين أضلعك، لم التراجيديا إذًا؟

احتدت نظراته الموجهة إليها وردّ:

\_ وأنتِ أدري الناس -أيضًا- بطبيعة الشخص المائل أمامك، زميلك في دار الرعاية و شقيقك في الرضاعة!.

ابتسمت، منذ مُدة لم يذكرها بنشأتها معًا في دار موحشة، ذات إدارة مُتمتة، منذ مدة أُجبر على ألا يناديها أختي بسبب الوضع

الاجتماعي الذي صار به، لكن الحمد لله أنه لم ينس -على الأقل- أنهما حظيا برضاعة مشتركة في دور الأيتام ذاك، حتى لو

لم تكن شرعًا أخته إلا أنهما نشأ كلاً منهما على كلمة أخي و أختي.

قالت بصوت لين:

\_ لن أُجادلك يا كامل، أنت اخترت مصيرك وانتهى الأمر، ستتم خطبتك على عُلا ومن ثم تزوجها وتنخرط أكثر في عالم الأموال الذي دخلته مُرغمًا، واللّه وحده يعلم كيف سيكون حال قلبك حينها، لكنني أقسم لك بشرفي أنك تسير في الدرب الخطأ. نهضت وغادرت مكتبه تاركة إياه مُنكس الرأس لا يفكر في شيء سوى مُهلكتها اللتان سيُحرم منهما بمقدار شوقه لهما.



مر شهرٌ كئيب، على فتاة تجلس حبيسة غرفتها، تُراجع طلبات الأعمال في الجرائد ومواقع التواصل كل يوم، تحتضن دميةً شقراء الشعر تُذكرها بِرَجُلٍ بخيل، قرر احتلال قلبها دون أن يدق باب واقعها الملموس، رجلٌ قرر أن يظل سجين أفكارها وحسب دون أن يمتلك الحق الكافي في جعلها سجينه عالمة، مُذكراتها الشخصية كادت أن تتحول إلى ديوان شعر من كثرة شكوتها إليها شجنها في الفترة الأخيرة، من كثرة بثها اشتياقها وألمها، ودميتها الغالية التي تحمل عطره النفاذ مذ جمعة أبريل الأولى كادت أن ترد عليها من كثرة ما حدثتها عنه، تحسدها لم علق العطر بأليافها هي، ألم تكن خلايا جلدها أولى به.

.....

وقفت صبا في النادي الرياضي تُباري شقيقها عاصم في مباراة كرة التنس، ضربت الكرة بمضربها صوبه ليتطاير شعرها من خلفها بنعومة لا تناسب حدة ملامحها، صاحت بشقيقها:  
\_ أتضمن تلك الفتاة؟

رد عليها وهو يعاود ضرب الكرة: ماذا تظنين شقيقك، إن علا-بالفعل- داخل جيبي.  
أعادت الكرة له مرة أخرى وهي ترد: لا أعلم لكني أخشاه، وبشدة.

ابتعدت الكرة عن مضربه لتسجل بذلك نقطة عليه، وقف يلهث وهو يقول: سترين أنها ستستدير كخاتمٍ في إصبعي.



أتاها صوتٌ ديبب كعبٍ عالٍ من خلفها وهي تجلس في شرفة القصر، و وصل لأنفها العطر الذي صارت تُميزه مؤخرًا، عطرٌ أنثوي لم يستسغه أنفها قط.  
\_ مرحبًا زوجة عمي.

قالتها غُلا فور أن صارت في قبالة السيدة مريم، نظرت إليها السيدة بترو وقالت: أهلاً علا، كامل لم يعد من الدار بعد.

\_ ما هذا الترحاب الفاتر، على كلِّ أنا لم آت إلى هنا من أجله، بل جئت من أجلك أنتِ هذه المرة.

لم تمهلها فرصة للاستغراب، إذ استندت إلى سور الشرفة وقالت:  
\_ أشعر بكِ، وبمحاولاتكِ لإبعاد كامل عن إتمام هذه الخِطبة،  
لذا جئتُ أقولها لكِ بلا لفٍ أو دوران أنكِ إن استمررتِ في  
الأعيابكِ هذه فسِرِّكِ النفيس سيكون بين يديّ كامل عاجلاً غير  
آجل.

الآن أصاب السيدة التوتر والدهشة مُجتمعان، اتسعت مُقلتاها  
وهي تسأل بهلع:

\_ أي سر، هل تهدديني هكذا علانية؟!  
\_ وهل يصح لي أن أُهدد زوجة عمي الراحل وحماتي الغالية،  
تستطيعين القول أنني أحاول أن أعقد هدنةً معكِ.  
دنت منها أكثر وانحنت حتى بلغت مستواها، قالت بصوت  
خفيض يملؤه الخبث:

\_ أما عن سرِّكِ؛ فيكفي هنا أن أقول أنه يخص والدة كامل،  
والدته التي لا تزال حية والتي تعرفين مكانها حق المعرفة!!.

\*\*\*

فتحت السيدة هناء باب منزلها بعد أن ارتدت حجابها في عجلةٍ من أمرها إثر الدقات التي تعرفها أشد المعرفة، وجدت أمامها غزل تبدو وكأنها مصباحٌ انطفأ ضوءه، تحمل بيدها حقيبة كبيرة يبدو أنها تكدست بأشياء لا تعلم ماهيتها بعد، قبل أن تتكلم أو تُرحب بها أو حتى تستغرب مجيئها في هذا الوقت وجدتها تسبقها بالكلام قائلة :

\_ ذكرياتي تأكلني حية، ووحدتي مُعين قاتلٌ لها، جئت إليك علي أنس بكِ.

فردت السيدة هناء ذراعاها قبالتها وهي تقول: يا صغيرتي المسكينة.

ارتمت غزل بين أحضانها عليها تشبع بها بعض حاجتها من الصحبة والحنان؛ فهي فجأة وجدت نفسها وحيدة، لا سالي حاولت التواصل معها مذ آخر موقف، ولا عمل يسرق وقتها ويؤجل عمل عقلها الدؤوب ولو قليلاً، ولا كامل يرحم بالها ويغادره ولو لبضع ثوانٍ قليلة.

\_ أنا في أضعف حالاتي سيدة هناء، هناك حريقٌ يقبع بين أضلعي لا أستطيع اطفاؤه مهما حاولت، أصب عليه الذكريات صبًا كل يوم فتزيد من حدة اشتعاله ولوعتي، وجدتكِ خلاصي

الوحيد، زوجك متغيب منذ ثلاث سنوات وحتى إن عاد فسأغادر على الفور، المهم ألا أكون وحدي، أريد أحدًا بجواري يساعدي على تجاوز هذه الأيام.

تحدثت بكل ما لديها من طلاقة وضعف، شجعتها عشرتها الطويلة مع السيدة، وضمانها حبها الشديد لها.

\_ أنا معك يا حبيبتي، معك ولن أتركك أبدًا، قد تحزني لكنني شاكرة المحنة التي رمت بك -عن طواعية- بين أحضاني.

\_ قلبي، قلبي هو من رمى بي بطول ذراعه وخيبته، إن قلوبنا بارعة في تعذيبنا، تتفنن في اختيار الوسيلة التي تؤدي بحياة أرواحنا إلى التهلكة، الآن أنا أشعر بروحي تتأرجح على ناصية قمة جبلٍ عالٍ، لا يُمسكها عن السقوط إلا خيطٌ من الأمل الضعيف تتعلّق به، ولا ينبغي لها من الأساس أن تفعل!.

\_ أشعرُ بكِ وبوجعك، لكنها الحياة تمضي بنا وبأقدارنا كما تشاء يا ابنتي.

\_ بل تمضي فوق قلوبنا، هل سبق وأن أحببتِ سيدةً هناك؟

\_ لِمَ هذا السؤال الآن؟

\_ لأعرف إن كنت سأقدر على منح بعض المشاعر لرجلٍ آخر؛ فأنا أشعر أن خزان قلبي قد استنزف عن آخره.

\_رغم عدم البوح؟! كيف يُستنزف الخزان ولم تُدب به مغرفة؟  
\_عيناه كانت مغرفتي، يستطيع بنظرة حزينة واحدة أن يغترف  
من قلبي مقدار ما يكفيه لسبر جراحه، وهي \_أبدًا\_ لم تكن  
كافية.

\_علاقتكما غريبة، من كل النواحي غريبة.  
\_لا تزوعي عن الإجابة، أوقعتِ بالحب مسبقًا؟  
رفعت السيدة كف يدها ببطء، وضعته على بطنها المترهل قليلًا  
وابتسمت بألم وهي ترد:  
\_ هو كان محبوبي الأول والأخير.

نقلت غزل بصرها بين موضع يد السيدة، وبين وجهها الذي  
ارتسمت عليه كافة المشاعر، انتابها بعض القلق مع رجفة بدأت  
تعرف طريقها لقلبها العاري، قالت: هو، من هو؟  
تهددت السيدة بعمق وقالت:

\_حرصتُ طيلة سنوات عُمرِكِ التي قضيتهم معي على ألا  
تعلمي، خفتُ أن تظني أنني أتيتُ بكِ لسد خاتته الفارغة، رغم  
فارق السنوات الكبير بين رحيله وقدمك.  
\_سيدتي؟



\_ نعم يا غزل، كنتُ أمتلك جنينًا بين أحشائي ذات يوم، وأبدًا لم أكن عاقراً.



أنهى عمله بالدار وغادر، باتت أيامه غريبة مؤخرًا، من المفترض أن حفل خطبته يقترب لكنه لا يشعر بأي شيء سوى فراغ يأكل عاله، قال هامسًا لنفسه وهو ينظر للطريق بنصف عقله الحاضر:

\_ لا أحد يشعر بي، لا أحد يعرف طول الطريق الذي قطعته لاهنًا طيلة سنوات عمري الكئيب، ومع ذلك أقف اليوم وأشعر أنني لم أحرك قدماي قيد أنملة عن موضعهما، وكأن الطريق الذي قطعته بطوله كله كان سراب، لم أحقق أي شيء يُذكر، وحتى عندما بدأت في سلك درب حياتي الخاصة اخترت الدرب الخطأ، عن كل طواعية ورضاً، وكرهًا!

ما الذي فعلته مذ خرجتُ إلى هذه الدنيا بإرادتي؟! لدي أكبر حصيلة من الخيبات المتكررة، والمصير الذي يتحرك دوماً عكس ما أتمنى، نسبٌ مجهول، ثم امرأةٌ فتحتُ عيناها على وجهها لتقرر فجأةً أنها اكتفت مني، وأنها قد وصلت بي إلى آخر

محطة في علاقتنا كأج و ابنها، دائر أيتاج من جديد، ثم امرأة أخرى تتولى أموري...  
كل ذلك دون سؤال، لم يتكلف أحدهم يوماً عناء سؤال ما الذي يُريده كامل؟!  
والآن، كامل -كالعادة- يعرف ما يريد، وكالعادة -أيضاً- لن يستطيع أن يقربه!  
خطا بقدميه داخل قصره الفره، تمامًا كما تخطو الحياة بأقدامها فوقه طيلة سنوات عُمره، دخل الشرفة لعلمه بجلوس السيدة مريم بها كعادتها الدؤوب تنتظر عودته، لكنه هلع عندما وجدها واقعة أرضاً ويبدو أنها فقدت وعيها.  
\_ سيدتي!!!\_



\_ عليك أن تُراعي كبر سنها أكثر من ذلك سيد كامل، لقد كتبتُ لها بعض المُهدآت ولكنها بحاجة للعرض على مُتخصص قلب وعمل الفحوصات اللازمة.  
قالها الطبيب وهو يقف مع كامل في الرواق الفاصل بين غرف القصر في الدور العلوي، ناوله ورقة الأدوية وهو يُكمل:  
\_ كما أعتقد أن حالتها النفسية سيئة، إنها تحتاج إلى صُحبة.

\_ سأوفر لها ممرضة تعني بها.

\_ هذا بديهي في الوقت الحاضر، لكن لم يكن ذلك مقصدي، إنها تحتاج لرفيقة تتسامر معها، النساء في هذا العمر تزداد عندهن نوازع الاكتئاب والعزلة مما يؤثر بشكل سلبي على صحتهم.

أوماً له كامل بتفهم، السيدة مريم مثالٌ للبهجة والرضا، علاقتها بربها وطيدة والمصحف لا يكاد يفارق يدها، لم يتوقع رغم كل هذا أن يصل بها الحال إلى هذه النقطة.

\_ سأعملُ على ذلك حضرة الطبيب، شكرًا لك.



\_ رغم اتخاذي كافة التدابير وقتها، إلا أن الله أراد أن ينمو جنينهُ بين أحشائي أنا وليس أحشاء زوجته المُعلنة أمام طبقته الراقية، حاول إجهاضي مرارًا، ولم ينجح ولا مرة، وفي شهري التاسع، نشبت بيننا مُشادة كلامية مُحتمة انهال عليّ على إثرها بالضرب والسباب، فجأة شعرت بشيءٍ ساخنٍ يركُضُ على أرجلي وانتابني الهلع على صغيري، لم أشعر بأي شيءٍ بعدها، تفاجأت أنني استيقظت في حجرة مشفى في وقت مُتأخر من الليل، بطني خاوية على عروشها وأشعر بالوهن الشديد، ناديتُ الممرضة لتفجعني بما قالت، صغيري مات، ونزيفي لم يتوقف،

اضطروا إلى نزع رحمي عليّ أحظى بفرصة أخرى للحياة، لم يعرفوا أنني مت يوم أن مات صغيري.

ترقرق الدمع داخل عينيّ غزل، شعرت بدناءة شكواها أمامها الآن، كيف استطاعت أن تحمل هذا السر الكبير داخل صدرها دون أن تنفجر؟

\_ لا أصدق، لا أصدق أنك أخفيت عني هذا السر الكبير، ولا أصدق أنك تحملته وحدك طيلة هذا العُمر.

نظرت السيدة إليها وقالت وهي تقاوم الدمع:

\_ عوضني الله بك يا حبيبي، رأيتك تكبرين كما تمنيت له أن يكبر، تستطيعين القول أنني نسيت وجعي على يديك الصغيرتين، على أنغام صوتك العذب وهو يناديني بأمي، كيف لي حينها أن أوجع قلب صغيرتي بهذه القصة؟

ارتمت غزل في أحضانها وأجهشت بالبكاء، كم تحملت هذه السيدة من عناء طيلة عمرها! ألا يحق لها -ولو قليلاً- أن تفتح أبواب السعادة بوجهها، أن تزورها بعض النسيمات الباردة بعد صيفٍ عُمُرٍ حزينٍ؟

\_ لن أغفر لكِ عدم مشاركتكِ هذا السر معي، كيف تحسبيني ابتككِ وأنت تتألين دون أن أعلم عن أملك شيء؟

\_غزل، لقد كُنْتُ في الخامسة عشرة عندما عُدْتُ للدار مرة  
أخرى، كنت أزوركِ مراتٍ قلائل وأنت تكبرين، ما كان عقلكِ  
وقتها ليستوعب أمرًا كهذا، وعندما أنهيتِ دراستكِ ورجوتني أن  
أُخرجكِ من الدار على شرط السكن في منزلٍ آخر فعلت، لكن  
أيضًا لم أتمكن من إخبارك لأنه ببساطة لم تأت مناسبة لهذا.

أومأت بتفهم ومسحت دموعها، نهضت وهي تقول:

\_ لديكِ ملاك صغير بالجنة، أبشري يا أمي.

لانت ملامح السيدة وكادت الورود أن تنبت في مقلتيها، لم  
تصدق أذنيها، هل نادتها بأمي بالفعل، تشعر بقلبها الآن كنهرٍ  
جفت موارده منذ سنين وفجأة غمره الفيضان.

كيف بكلمة واحدة ممن تحب ترتوي ضفاف قلبك وتزهر؟



## الباب الثاني:

### داخل الديار

(12)

☆ كل الطرق تؤدي إلى طريقه! ☆

جلست غزل في مقهى تنتظرُ صديقتها التي اتصلت بها وطلبت رؤيتها، لم تكن سالي، بل أُخرى تعيد إليها شجنها الذي يرفض مغادرتها، حتى عندما أعطتها عنواناً لتتقابلا عنده تفاجأت بهذا المقهى القريب جداً من الدار .

كُل الطرق تؤدي إلى طريقه، هذه حقيقة تُصر عليها أيامها.  
\_ تأخرت عليكِ؟

قالتها فاتن وهي تقف بجوارها، نهضت وتبادلنا الأحضان المشتاقة صدقاً وصداقاً وسرعان ما طلبا فنجان قهوة سادة، وكوب شاي مُنعنع.

\_ ما الأمر المهم الذي تُريدينى فيه، وهنا بالقرب من الدار؟!  
\_ ألا تفكري بالعودة؟

ذبلت عيناها، قالت: مستحيل.  
\_ نحن نفتقدكِ.

\_ ستسسوني سريعاً.

\_ هو لن ينس.

خفق قلبها الضعيف، العليل بِحُبه، استغربت فاتن وكيف تتحدث هكذا عنه، مهلاً... هي لم تذكر حتى اسمه ولكنها ليست غبية حتى لا تدرك أنه المقصود.



\_هو، رجلٌ ذو ارتباطات الآن.

\_هذه الارتباطات لم تبدأ بعد.

\_فاتن، أريحي نفسك وأريحيني وتوقفي عن الحديث بالألغاز.

\_ إذا توقفي أنتِ أولاً عن الهرب من نفسك، واجهيها واعترفي

بالأمر حتى ترتاحي.

نظرت إليها بياس وقالت:

\_ واجهتها، واعترفتُ منذ زمن، لكن كل ذلك لا فائدة منه الآن

وهو على بُعد خطوة من الارتباط بغيري؛ فارحمني ضعفي.

تنهدت فاتن بعمق، ردّت :

\_ على كل، لم آت للحديث عنه، لقد أخبرتني عبر الهاتف أنكِ لم

تجدي عملاً حتى الآن وأنا جئتُك بواحد.

\_ ادلي بدلوك.



ظننت أنها لن ترَ هذا المشهد إلا بالأفلام لآخر عمرها، بل ظننت

أنه حتى بالأفلام ليس حقيقة، كيف يمكن لعقلها أن يستوعب

كبر هذا القصر وعظمته، لم تهتم بالبناء الضخم رغم فخامته

ورقيه بقدر ما اهتمت بالحديقة الواسعة التي أحاطت به بشكل

دائري مُحبب، بأشجارها العالية مُتشابكة الأغصان وحقولها

الواسعة من زهر الأبقوان، تعشق زهور الأبقوان رغم عدم  
اقتنائها لواحدة منها ذات يوم، هل سترى هذا المشهد يومياً  
حقاً؟

بالله كيف لسيدة تعيش في قطعةٍ من الجنة أن تحتاج لرفيقة؟



تنهدت فاتن وقالت لنفسها:

\_ اعذرنى يا كامل، وأنتِ كذلك يا غزل، أنا لن أقف مُتفرجة  
وأدعكما تهدمان تلك الأشياء النبيلة التي تنشأ بينكما، اسمحا  
لي الآن أن أضعكما في مواجهة بعضكما بصورة أكثر حميمية،  
ولنرَ أي القلبين سيكون صاحب الانهيار الأول.



\_أعدكِ أن نكون أكثر من مُجرد رفقة سيديتي.

قالتها غزل وهي تجلس في حضرة السيدة المُسنة التي جاءت  
لُتجالسها، صدقًا لم تأتِ من أجل المرتب الذي يوازي مرتبها في  
الدار سابقًا، بل إن قلبها الطيب لم يتحمل فكرة أن تتعرض  
مُسنة لنوبة قلبية بسبب وحدتها.

نظرت إليها السيدة بتفحص، تمتلك ملامح هادئة، بشرتها  
بيضاء كالثلج وعيناها بلون النعناع، تبدو مُتدينة من ملابسها  
المُحتشمة وحجابها الذي يغطي شعرها بأكمله، كما أنه لا تفوح  
منها أية رائحة عطر وهذا أكثر ما أراحها، تكره الفتيات الذين  
يتطيبن كالرجال ويوقعن بأنفسهن في كبيرة الزنا.

تحدثت: تبدين من النوع الذي أفضل مُجالسته على أية حال،  
دعينا نتعرف، اسمي مريم، زوجي مُسافر، امرأة عاقر لم تدب

الحياة برحمتي قط، لديّ رجل كالبدن في ليلة التمام تكفّلت به منذ زمن.

ابتلعت غزل ريقها، هذه السيدة باحت بأكثر من اللازم في اللقاء الأول.

أكملت مريم: أنتِ هُنا بناءً على رغبته ورغبة طبيبي، أنا لم أكن يوماً وحيدة ومصحفي بين يديّ ولكني لا أملكُ سوى الامتثال لكلامهما فكلاهما غالٍ جدًّا على قلبي.

أومأت غزل بتفهم، وبدأت تشعر أنها ضيف غير مرغوب به، ولكن صراحة هذه المرأة أعجبتها.

\_ ستكون كل مهمتكِ هي الجلوس معي، لا علاقة لكِ بأي شيءٍ آخر، فدوائِي مسؤولٌ عنه مُمرضة وطعامي مسؤولٌ عنه الخدم، لذا لا يُسمح لكِ الصعود للطابق العلوي، ستُقدّرين ذلك بالتأكيد، صحيح؟

أومأت غزل بنعم وبدأ العرق يتصبب منها، قالت مريم: والآن دورك .

\_ اسمي غزل، خريجة كلية التربية لروض الأطفال، عملت سابقاً بعدة روض و..

كادت تُكمل، وتذكر دار الأيتام الذي عملت به، لكن السيدة  
قاطعتها قائلة: متزوجة؟  
\_بالطبع لا.  
\_مُرتبطة إذًا أو مخطوبة؟  
\_لا هذا ولا ذاك أيضًا.  
\_إذًا في ماذا سنتبادل أطراف الحديث؟! العلاقات العاطفية أكثر  
ما يسليني.  
ابتسمت غزل وأفلتت منها ضحكة رغماً عنها، يبدو أنها في  
حضرة امرأة ذات مزاج متقلب، قالت غزل:  
\_ اعذربي لا أقصد السخرية، لكن أحوالك سريعة التقلب.  
\_ لن تكون بسرعة تقلب أحوال الدنيا يا ابنتي.  
\_ تبدين لي كجعبة من الأسرار سيدة مريم.  
ابتسمت بألم ورددت:  
\_ جعبتي تتسع بأسرارٍ لا تخطر على بال بشر، لكنني صُدمت  
مؤخرًا بأحدهم ينبش في تلك الأسرار.  
\_تضايقت؟  
\_ لا أحد يُحب أن تتعري أسراره أمام أحد، لو لم تكن أمور يجب ألا  
تظهر ولا تُعلم ما سُميت أسرار.

أومأت غزل، كادت تُجزم أن هذا هو سر مرض السيدة، يبدو أن جزءً مهمًا من أسرارها قد تعرى، وسيجلب لجسدها الوهن البرد من النافذة المفتوحة عليه.

☆☆☆

\_مُبارك يا غالية، لا أكاد أصدق أذناي.  
قالتها غزل وهي تتحدث عبر الهاتف فرحة، ها هي صفاء تزف إليها خبر خطبتها على حسان.  
\_بوركت يا غزل، سأنتظر قدومك.  
\_بالتأكيد لن أفوت خطبة أختي، ولن أفوت معرفة تفاصيل هذا الحدث المهم.  
ضحكت صفاء وهي تقول:

\_فضولك هذا سيودي بك للتهلكة، لكن لا بأس يحق لك ما لا يحق لغيرك.

أنهت مكالمتها وهي تنظر للسيدة هناء، إنها مُلتزمة بالعمل الجديد منذ أسبوعٍ فقط، تذهب في الصباح الباكر وترحل قبل قدوم ابن السيدة في الثانية ظهرًا، لا تعرف ماذا تفعل يوم الخطبة هل تعتذر عن العمل أم تذهب وتغادر في موعدٍ أبكر.  
\_ في رأيك يا أمي أاعتذر عن العمل في ذاك اليوم؟

\_ لا أرى داعٍ لذلك؛ فحفلات الخطبة تكون مساءً.  
\_ أعلم لكنني وددت لو كنت معها منذ بداية اليوم، هل تأتين  
معي؟  
\_ لو أردتِ سأفعل.

\_ بالطبع أريد، إذًا تنتظريني حينها ريثما أعود ثم ننتقل سويًا  
☆☆☆

"إنه صباح الجمعة أخيرًا، اليوم موعد خطبة صديقتي صفاء،  
رفيقتي في قسم الرُّضْع لعامٍ كامل، إنها فتاة بسيطة جدًّا، ومن  
بساطتها كإفاتها الحياة بخطبتها لمن أحبه قلبها، لم أعلم تفاصيل  
القصة بعد، ولا تظنيني أحقد عليها بل أنا في غاية السعادة من  
أجلها، أنا فقط أتساءل هل من الممكن أن تكون الحياة لطيفةً  
معي يومًا ما؟"

☆☆☆

\_ صباح الخير سيدتي الجميلة.  
\_ صباح الخير غزل.  
\_ ما رأيك بفنجان قهوة ريثما نتحدث؟  
اعتادت غزل هذه السيدة، بطريقة أو بأخرى لكنها صارت جزءًا لا  
يتجزأ من حياتها، تحب الاستماع إلى حكاياتها المستمرة عن



زوجها، لقد أحبته كثيرًا، وجاني هو في المقابل هذا الحب أكثر،  
تمنت لو ترّ وجهه لكن السيدة تمنع تعليق الصور بالقصر خشية  
هروب الملائكة منه، تقول يكفيني هجران أطفال رحمي لي، دعوا  
الملائكة تملأ هذه الديار.

لم تتحدث عن ابنها الذي تكفلت به ولا مرة، عندما سألتها عنه  
قالت أنها تخاف أن تقع في غرامه مما قد تسمعه، جعلها ذلك  
أكثر فضولاً لمعرفة وللاسف لم يسنح لها القدر بذلك حتى الآن.  
\_ تجيدين صنع القهوة، رغم كرهكِ لها.

\_ أسير على مبدأ حتى إن لم تحب تناول جميع الأصناف فذاك لا  
يعني عدم اتقانك طبخها.

\_ لو شربها كامل من يدك سيدمنها بالتأكيد.

خفق قلبها بقوة، ابتلعت ريقها وسألت مُسرعة : من كامل؟

\_ ابني الغالي، ما بال لون وجهك قد سُحب هكذا؟

\_ ماذا، لا لا أنا بخير.

ابتسمت السيدة: يبدو أنه يحمل اسم شخص عزيزٌ عليكِ.

ارتشفت غزل شايبها المُنعنع بشرود، تتذكره

هي لم تنسه حتى تتذكره!..

ردّت: بل قولي شخص صار بطريقة غامضة أعز من لديّ.

\_ هذا مثير.

\_ انسي، لن أقول أي شيء آخر.

\_ لماذا إذًا؟

\_ هكذا، عندما تبوحين عن كامل خاصتك أبوح أنا عن كامل خاصتي.

قالتها وضحكت، ساومتها هذه المساومة لا رغبةً منها في معرفة قصة كامل ابنها، بل عدم رغبتها في البوح بما لديها تجاه كاملها هي، تحب أن تُبقي مشاعرها في صندوقٍ محفوظ بأعلى رف داخل قلبها، لا تطاله أي يد.

ألا يستحق أن يُعامل كجوهرَةٍ تُحفظ في عِلِيَّة قلبها؟



أسرعت غزل حُطّاهها خارجةً من بوابة القصر، من استعجالها لم تنتبه للسيارة شديدة الألفة التي كانت تقترب لتدخل، لو أنها تمهلت قليلًا وحسب لكانت لمحتة، حتى هو كان مُنهمكًا في اتصالٍ هاتفي ولم ينتبه لطيفها الذي عبر البوابة مسرعًا.

\_ قُلنا أن نقلل من شُرب القهوة هذه الأيام.

قالها كامل وهو يدخل بعد أن ألقى السلام عليها، ابتسمت له وقالت ضاحكة:

\_ هي شيء لا يُقاوم .

تناول منها الفنجان وارتشفه، ليست رغبةً منه فقد كان عقله  
مُمتلاً عن آخره بالكافيين؛ بل خوفاً عليها وعلى صحتها.

\_ من أعدّ هذه القهوة؟

\_ علمتُ أنها ستعجبك؛ أعدتها غزل.

شعر بنبضات قلبه تتسارع، نظر إليها مسرعاً وتساءل: قولتي  
من؟

ضحكت السيدة، قالت بهدوء: ما بك يا كامل ألم تُعَيِّن الفتاة  
بنفسك؟

\_ بل أوكلت هذه المهمة إلى....، حك جبهته وهو يُكمل سرّاً:  
فاتن، سأقتلع عنق تلك الفتاة، أقسم على ذلك!!.

لم يُكمل جملته، بل أسرع يصعد السلالم الداخلية المؤدية للطابق  
العلوي، بينما يده تفك أزرار بذلته وهو يقول مودعاً:

\_ عذراً سيدتي فعليّ اللحاق بأحدهم!.

☆☆☆

(13)

☆ لا أحد يستطيع تغيير القدر، وكذلك لا أحد يملك إخفاء  
☆ الحقيقة!

دخل المكان مُتألِّفًا كنجيمٍ هرب من سمائه وسقط ليستقر بين الحضور، يرتدي حُلة سوداء وعطره يُغطي المكان، مُعظم من هنا يعرفهم ويعرفونه، تبادل التحية مع الجميع وهنا العروسان ثم راح يبحث عن ضحيته!

\_تعالِيّ هنا.

قالها بعد أن وجد فاتن أخيرًا تقف مع مجموعة فتيات وجميعهن يرتدين ثياب سهرة تليقُ بهذه المناسبة، اجتذبتها من ذراعها بعيدًا عنهن و وقف معها في زُكنٍ ركين.

\_لم فعلتِ هذا يا فاتن أخبريني؟

\_فعلتُ ماذا يا كامل؟

\_غزل، غزل، غزل يا فاتن، ألم تجدي غيرها لتُحميها منزلي؟

\_تقابلتما؟

\_بل لم أُلح حتى طيفها، لكنه اسمها المميز الذي كشف لعبتك. حدقت به مطولاً، يبدو عليه الارتباك والخوف الشديدين، لا تُصدق أن كامل يخاف، ما توقعت أن تشهد هذه اللحظة قط، ولا توقعت أنه عندما يحتل الخوف قلبه أن يحدث ذلك على يد فتاة.

\_تخاف أن تتعري حقيقتك أمامها؟

\_إنها تجول وتمرح في منزلي منذ أسبوعٍ دون علمي، علما عرفت كل شيء الآن.

\_تجول وتمرح دون علمك، أو علمها.

\_ماذا تقصدين؟

\_غزل لا تعرف أنثى من منزلك، برأيك يا كامل فتاة قدمت استقالتها من محل عملك حتى تتعد بقلبها عنك، هل ستأتي وتلقي بنفسها داخل أحضان منزلك؟ ثم ما بالك خائف هكذا؟ وماذا إن علمت..

قاطعها صائحاً:

\_ غزل آخر شخص في الدنيا مسموح له بمعرفة أمري!.

\_ لِمَ كل هذا التعنت يا كامل؟

التمعت عيناه ببريق حُزنه الذي لا يُفارقه، رد بصوتٍ مُهتز:

\_ تعرفين جيداً لِم!

مسح وجهه بكف يده يحاول تمالك نفسه، بمجرد أن انزاحت أصابعه عن عينيه رآها!.

تدلف لقاعة الاحتفالات وبجوارها امرأة وقور، يبدو أن غضبه على فائن أعماه عن حقيقة مهمة.

أن هذا حفل خطبة صديقتها صفاء.

رأها تتلفت يميناً ويساراً تُلقي التحية على الجميع، وكأن هذه القاعة صورة مصغرة عن كل العاملين بالدار، حسد كل من حظى بابتسامة منها أو تلوحة يد، أو حتى قبلةً وجدت مسارها على وجنة احداهن.

هذه أول مرة يرى فيها روحه تملك قدمين، لا بل جناحين تُحلق بهما أمامه فلا يملك سوى أن يتمنى لو يتحول لسماء، عله يسعها حينها.  
\_ها قد وصلت فراشتك.

قالتها فاتن، تود استثارة كافة مشاعره، نظر إليها بغموض وردّ:  
\_ نعم صدقتِ، إنها كالفراشة، بل أجمل فراشة رأتها عيني، لكن الفراشات لا تنتمي إلا للورود ورحيقها، ما رأيت يوماً فراشة تُحلق حول مستنقع!.

تركها وغادر، حسناً لا وجود لفاتن الآن ولا لعيونها المحاصرة. بإمكانه الاعتراف بينه وبين نفسه \_على الأقل\_ أنه اشتاقها واشتاق طلتها، أكثر من أي يوم مضى، هي لم تره حتى الآن، انشغلت مع صديقتها العروس بالأحضان والقبلات ولم تلاحظ وجوده.

أو لعلها تخشى وجوده..

وجد والدتها تجلس على إحدى الموائد، لم يتردد للحظة وذهب إليها، يريد أن يلتقي بالحوورية التي أنجبت تلك الملاك. وقف أمامها باسمًا، إنها سيدة تمتلك وجهًا وضاءً، لكنها لا تشبه غزل البتة، حتى عيناها بندقيتا اللون تختلفان تمامًا عن عينيها بلون النعناع، ملامحها رغم جمالها إلا أنها تتسم ببعض الحدة بخلاف ملامح غزل الراهدة حد الذوبان بها. \_ مرحبًا سيدتي.

نظرت له وابتسمت، هي تُلاحظه منذ مدة يراقب غزل، انتظرت اللحظة المناسبة فقط لتتأكد من كينونته. \_ تفضل بالجلوس بني.

جلس بالفعل على الكرسي المقابل لها، جاء النادل وقدم لهما العصير، وجه هذه المرأة مريحٌ له بطريقةٍ غير اعتيادية، هل أحب غزل وكل ما يتعلق بها؟

\_ عذرًا على تطفلي بالجلوس معك، أردت فقط تحيتك على ثمرة يديك.

\_ أتعرف غزل؟

\_ لقد عملت لديّ لعاجٍ كامل، أنا مديرتها السابق بدار العائلة.



تصنعت الدهشة، نظرات عينيه كفيّلة بإخبارها من يكون، على  
أية حال يبدو أن مشاعر ابنتها المسكينة مُتبادلة وهي الحمقاء لا  
تعرف.

قالت: كامل، تشرفت بلقائك أيها الرجل.

\_ الشرف لي سيدتي..

تبادلا أطراف الحديث لمدة، سألته عن الدار وهو استفاض  
بالحديث عن كل ما تسأله، يشعر أنه يجلس في حضرة نُسخة  
مكبرة لكن ليست من غزل.

يشعر أنه يجلس في حضرة نسخة مكبرة منه هو.



\_ مُبارك يا مخلوتي، الآن أنتِ مُحاصرة لإخباري بكل شيء.

قالتها غزل لصفاء وهي تقف معها، همست صفاء قائلة:

\_ لاحظني أنه يقف بجواري يا حمقاء.

\_ قولي مُلخصًا للأحداث حتى، تعرفين فضولي.

\_ كل ما هُنالك أنه بعد رحيلك لم يتقدم أحد لشغل الوظيفة

وعلقت أنا مع الأطفال وحدي، علم حسان بالأمر فعرض على

السيد المدير المساعدة بدون راتب حتى، تعرض للسخرية في

البداية من عمله في أكثر قسم يحتاج للنساء، ولكن مع الوقت

علم الجميع أن لديه قلب يفيض حناناً ربما لا يوجد عند بعض النسوة.

\_ودعيني أخمن، أخيراً صار في مواجهتك كل يوم وتمكن من ملاحظة هذا الكنز المكنون.

ضحكت صفاء ليستدير إليها حسان، تلاًلأت نظراته لها وقال:  
\_ أضحكيتها مجدداً ياغزل؛ فسيمفونية ضحكاتها هذه قادرة على إيقاعي بغرامها كل مرة وكأنها أول مرة .

تركتهما بعد مُدةٍ تسير بين الحضور باحثةً عن السيدة هناء وعقلها شارداً مع كلمات حسان، الرجالُ غريبون بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ، لِمَ لا يصبرون حتى يلتقون بتلك التي تسلبهم فؤادهم؟ لم يتعجلون ويُنزلون أمتعة قلوبهم عند أول محطة يُصادفونها، ألم يتقدم حسان ذاك لها قبلاً وكان صريحاً معها أنه ليس حباً، ماذا لو كانت وافقت به، كان سيحرم نفسه من فرصة الوقوع في الحب بالتأكيد.

هل هو استعجالُ الشاعر أم هروب من الحب الحقيقي؟  
توقفت، وتوقف عقلها عن التفكير!.

وقعت عينها عليه ولم تكن تبحث عنه، تعثرت به كما تعثر قلبها من قبل وسقط في بئرهِ، يُجالس أمها التي لم تلدها، يتبادلان الحديث بألفةٍ لم تعهداها به.

ترددت، أتكمل طريقها نحوهما أم تتراجع؟!..

يبدو أن لا مجال للتراجع؛ كل الطرق تؤدي إليه.

منذ متى فارقتهُ؟ وهل يجب الإجابة عن هذا السؤال بتاريخ الأرض المحسوب بالساعات والأيام أم بتاريخ قلبها المحسوب بعدد مرات الشوق والحنين؟

توقفت عند الطاولة ليقفز عقلها أمامها فجأة ويوجه صفعته لقلبها مسرعًا بل أن يفضح أمرها أمامه، أنت في حضرة رجلٍ مُرتبط؛ فتأدب!.

\_ مساء الخير سيد كامل، لم أتوقع رؤيتك هنا.

قالتها بصوتٍ خفيضٍ يُحاول الحفاظ على رسميته، وتلقى هو أنغام صوتها كترياقٍ يُعيد لحياته الحياة.

نظر إليها وابتسم، وكأن الشمس تُشرق في وجهه حين يتسم، قال بسعادة عجز عن مُداراتها:

\_ مساء الخير غزل، إنها صدفة رائعة بالتأكيد.

سحبت كرسياً وجلست، شعرت السيدة هناء أنها جاسوسة  
عليهما، أرادت أن تنسحب لكن لم تعلم بأي حجة تُغادر.  
\_ يبدو أنك تعرّفت على أمي.

\_ نعم، لديك في المنزل سيدة رائعة أحسدك عليها.  
نظرت للسيدة هناء وقالت: يبدو أنه يتغزل بك يا هناء.  
ضحكت لترد عليها: عيبٌ يا بنت، على كل لقد تعبت من  
الجلوس وأود العودة للمنزل.  
\_ الحفل لم يبدأ بعد يا أمي.

\_ لا بأس سأبارك للعروسين وأغادر وأبقي أنتِ هنا.  
صافحت هناء كاملَ وودعته كأنها تعرفه منذ زمن بعيد  
وغادرت، ارتشفت غزل من العصير الذي تركته أمها وهي تقول  
تُشاكسه:

\_ حسبتك لا تصافح النساء.  
طالعتها مبتسماً وردّ: إنها امرأةٌ بعمر أمي ولا أستطيع أن  
أخرجها.

لاحظها قد أنهت كوب العصير عن آخر نقطة فعلم أنها عطشى،  
نادى النادل وأمره بكوب آخر لها فشكرته .

\_ كيف حال الدار بدوني؟ قالتها وهي ترتشف المزيد.

كان يتأملها، وهي مُستمرةٌ في الكلام، تتحدث ببساطة كأنهما ودعا بعضهما قبل ساعة ثم عادا والتقيا الآن، ألا تشعر بما يفتعلُ في صدره من مشاعر؟ ألم تشتاقه مثلما اشتاقها هو؟!  
\_مُظلمة .

\_مُبالغٌ فيه قليلاً، لكنه يُرضيني.

\_أي مكانٍ تُغادره غزل مظلّم، حتى تعود له من جديدًا!  
اكتست الحمرة وجنتاها، حسناً إنه يُفاجئها بجرأته أحياناً بل كثيراً جدًّا.

عندما لم تتحدث بادر هو بالكلام قائلاً: وأنتِ، كيف حالكِ بعيدًا عن الدار؟

نظرت له وقالت: سأسألك سؤالاً، الشمس عندما تغرب عن الأرض ويحل محلها القمر، ماذا يحدث لها؟  
\_ماذا؟

\_تظل شمسًا يا عزيزي، وتظل على إشراقها وسطوعها حتى لو لم يصل ضوءها للأرض.  
ابتسم حتى أنه كاد يضحك، قال: انتبهي، كدتِ تغترين .

ضحكت فجأة وهي تقول: انتظر يا رجل أنا أمازحك، كل ما في الأمر أنني أحاول تقمص شخصية المرأة التي أجالسها هذه الأيام.

المرأة التي تجالسها إذاً، والتي -لحسن حظه- لا تعلم بعد أنها كفيّلتة.

إنها فرصة مواتية للتسلية لم يحظى بها منذ زمن.

\_تُجالسين امرأة مسنة إذاً؟

\_أي نعم.

\_مغرورة؟

\_على العكس، لكنها الطباع الأرسقراطية والتي لا تستطيع التخلص منها.

لا أحد يملك تغيير جلده!

\_هل أنت مرتاحة في ذاك العمل، لو أردتِ العودة فمكانك لا يزال شاغراً.

\_أشكر نُبلك، لكنني وبطريقة غامضة ارتبطتُ بتلك المرأة.

سأل بحذر: أحببتها؟

ابتسمت: لديها من الأحزان ما يغوييني للغرق بها أكثر.

\_غريب، يجذبك الحزن؟

إنه مغناطيس قوي لقلبي.  
قالتها وهي تنظر في عينيه الحزینتان على الدوام حتى لو ارتسم  
على وجهه ألف ضحكة.  
هل تخبره الآن أن هذا ما جذبها نحوه، وأنها تشتاق حقًا  
لاحتضان هذا الحزن داخل جوفه البعيد، ثم الرمي به بعيدًا؟...  
هل تخبره أن نظراته الحزينة هي أول ما تتذكره دومًا عندما يمر  
طيفه بذكراها، وأنها أكثر ما تحبه وتكرهه به في الآن نفسه؟...  
أفاقت على ما يحدث بالقاعة، فها هو حسان يُلبس عروسه  
خاتم الخطبة والجميع يُهلل، فلتت من يديها تصفيقات حارة،  
قلبها سعيد جدًا لسعادة قلب صديقتها الحاني، وأمامها كامل  
الذي أرقه هذا المشهد السعيد للعروسين؛ فهو على وشك  
الحدوث معه، مع امرأةٍ يعجز عن إخراجها من دائرة الصداقة  
إلى دائرة الحب، وكيف يفعل وتلك الدائرة الأخيرة مُحتملة  
بالفعل.



تأخر الوقت، هيا اركبي وكفالكِ عنادًا.  
قالها كامل وهما يقفان خارج القاعة بعد انتهاء الحفل، وبسبب  
انعدام المواصلات وقتها وافقت مضطرة.

أعطته العنوان وحمدت ربها حينها أنها انتقلت للسكنى مع السيدة هناء، نعم هي أيضًا تسكن في منطقة شعبية لكنها لن تكون ببشاعة المكان الذي استأجرت به غرفةً فوق السطوح. ظل الصمت قائمًا بينهما لمدة، من المفترض أن هذا اللقاء الذي جاء عن طريق صدفة جميلة سينتهي خلال دقائق، ومن المفترض \_أيضاً\_ أنهما لن يلتقيا بعده أبدًا.

\_أوصلي تحيتي للسيدة هناء.

\_سأفعل، أعلم أن لديّ أم يقع في غرامها الرجال بسهولة.

\_هذه سمّةٌ مُشتركةٌ بينها وبين أُخرى!.

ابتلعت ريقها وكأنها تبتلع قلبها معه، ما باله صار صريخًا هكذا أكثر من اللازم، هل ظن أنها لن تفهم تلميحه الواضح وضوح الشوق في عينيها؟!

ظلت صامتة، وصمتها أغضبه، قال بهدوء: أَلن تسأليني عن خطبتي؟

\_لا أَرُ خاتمًا في بنصرِكَ بعد.

\_نعم، لكنه سيُقيده عما قريب، من المفترض أن تكوني من المدعويين.... لكنني لن أفعل.

تجاهلت آلام قلبها وقالت: و لِمَ؟



نظر إلى عينيها مباشرةً ورد بصوتٍ غامض: لأنك لا تهتمين.  
\_أمن المفترض أن أكون مهتمة؟

تنهد بعمق وعاد ينظر للطريق دون أن يردّ، عض شفته السفلى على ضعفه أمام مشاعره، وتمنى لو ينطوي الطريق فيصلاً لوجهتهما قبل أن يُدلي بالزيد، ويخاف -في الوقت نفسه- أن يصلا فيُحرم حينها من ضوء عينيها لأجلٍ غير مُسمى.

\_سلامي للسيدة هناك، ولتلك المرأة التي علمتك الغرور.  
قالها بعد أن وصلا للحارة التي تقطنها، ورغم شعبيتها إلا أن رائحة الدفء تفوح منها وتحتضن روحه العارية، أوامات له وترجلت من السيارة، نظرت له قبل أن يغادر وقالت : سيد كامل.

نظر لها، لمحها تبتسم، وتكمل: لأنني أكثر من يهتم، فأنا آخرُ من ينبغي له الحضور!.

قالتها واختفت من أمامه، أو لعل صدمته من الجملة قد أغشت عينيه فلم يتمكن حينها من رؤيتها وهي تسير لمدخل العمارة، عله رآها تفرد جناحها وتُحلق، كما كُتب لها أن تكون؛ فراشةٌ لا يُقيد جناحيها شيء.

كانت السيدة هناء لا تزال مُستيقظة، وكيف تنام وابنتها لم تعد بعد، رأت كامل يقف بسيارته أسفل العمارة حتى بعد صعودها، كأنه يُحارب نفسه حتى يرحل، شعرت به جيداً مذ كانا في الحفل، كانت قد رسمت له صورة سابقة في مُخيلتها تتضمن رجلاً ثرياً لا يهتم سوى بالمال ونزواته، ولا حاجة لتوضيح من أين اكتسبت تلك الصورة، لكن اليوم عندما التقت به تبخرت تلك الصورة تماماً وحل محلها صورةٌ لرجلٍ وقورٍ يُجاهد ليحفظ مشاعره حتى لا يؤدي بها من يُحب، يعلمُ أن اقترابه من غزل خطأ لذا يُحارب بأقصى قوته حتى يمنعه، لكن مُنذ متى وهناك قوة تعلو فوق قوة القلب؟



(14)

☆ كل الأمور مُباحة في الحرب، والحب! ☆

"مُنْتَصَف الليل، ومرةً أُخرى أُنْتَفِضُ من نومي فزعةً، لا أستطيع إخبار السيدة هناء بهذا الأمر، لا أستطيع إخبارها أنني لا أتمكن من النوم بمفردي، وأني لا أقدرُ على تجاوز ما مررت به بهذه الغرفة.

أسبوعان وأنا أعاند نفسي وأقول أنني سأكون أكثر شجاعة اليوم، وبمجرد أن يُغلق الباب علي روعي الخائفة تبدأ كوابيسي التي لا ترحم بالتتابع على عقلي المسكين.

كيف يُمكن لإنسانٍ أن يترك جرحًا لا يندمل في روح إنسانٍ آخر درجة حرمانه من النوم؟"

\_مرحباً عزيزتي فاتن كيف حالك؟

قالتها غزل وهي تتناول إفطارها صباحًا قبل الذهاب لعملها، تلقت اتصالاً من فاتن استغربته، لم يحدث وأن هاتفتها عند الساعة صباحًا

\_في أحسن حال يا حلوتي، وأنتِ؟

\_على ما يرام، قالتها وفمها مُمتلئ بالطعام لتضحك فاتن.

\_ حسناً يا ذات الشهية المفتوحة، أنا فقط أتساءل إن كنت سأراك الليلة.

\_الليلة؟ أين؟

\_ في حفل خطبة ابن السيدة مريم، ألم تدعوك؟  
\_ أهأااا، بلى بلى دعيتي، لكن ما صلتك بها؟  
\_ أيتها الحمقاء أنا من عينك بذاك العمل.  
ابتلعت غزل ريقها .

فاتن بالفعل من عينتها، وابن تلك السيدة غريبة الطباع يُدعى  
كامل، وكامل خاصتها -كم تتمنى لو يكون خاصتها فعلاً!- لم يقم  
بإشهار خطوبته بعد...هل..؟

نفضت تلك الأفكار الغريبة عن رأسها وهي تضحك، من  
المستحيل أن يكون ما تفكر به حقيقة.

\_ يبدو أن عقلك لا يزال على الفراش ياغزل الحمقاء .

قالتها لنفسها ونهضت، ستذهب في موعد العمل وتُساعد في  
بعض التجهيزات ثم تنتظر حتى موعد الحفل هناك.

على الطرف الآخر وقفت فاتن تُطالع وجهها بالمرآة وهي تقول:

\_ ستسامحني مستقبلاً يا كامل، لأنني أدري منك بمصلحتك يا  
صاحب الرأس اليابس.



سار يومها على نحوٍ طبيعي، بالطبع إذا تجاهلت التجهيزات  
الضخمة التي تجري على قدمٍ وساق داخل القصر، فبالنهاية

سيُقام الحفل به، لن يجدوا قاعة تتسع كما تتسع حديقته على أية حال.

انتهى دوام العمل المقرر، وكادت أن تذهب لتبدل ثيابها وتحضر هذه الخُطبة التي جعلت الفضول يأكلها، لكن رنين هاتفها انتشلها من واقعها.

لقد كان المتصل هو كامل!!.

\_مرحبًا سيد كامل، قالتها بلهفتها المعهودة معه.

\_غزل، أحتاجُ إليك على وجه السرعة.

انتابها القلق، قالت فزعة: ماذا هناك سيدي؟

\_لا وقت لدي للشرح، أرجوكِ تعالي إلى الدار حالاً.

يحتاج إليها..

ويرجوها كذلك؟!.

هل كانت بحاجة إلى تقديم استقالتها حتى تسمع هذه الكلمات

منه؟ لم تعد تهتم بأمر هذا الحفل الضخم، ستذهب لكاملها

هي، وليذهب هذا الكامل إلى الجحيم .

☆☆☆

أنهى المُكالمة واقعًا في مكتبه.

نظر إلى ساعة يده، لايزال لديه بعض الوقت لينتظرها ويُعرقها  
عن الذهاب للقصر مجدداً، قال هامساً:  
\_لقد أخذتِ فُرصتكِ بالهجوم يا فاتن، والآن حان دوري  
للدفاع!.



مررت أصابعها في خُصلات شعرها أمام المرآة، تفحصت الزينة  
على وجهها وأعطت المُرَيِّنة بعض الملاحظات حتى رضت عن  
هيئتها تماماً، غادرت المزيّنة وهي تتأفف منها بينما وقفت علا  
تستدير وهي تُطالع صورتها المنعكسة، تود أن تكون في أبهى  
صورة وأن يتحدث عنها الوسط لمدة.

سمعت صوت قرع على الباب ثم بعدها دلف عاصم ابن عمها  
وشقيق صبا، وقف أمامها مُبتسماً وهو يتأمل جسدها الغض  
والذي ازداد جمالاً باختيارها لفستان أنثوي أبرز مفاتها، أطلق  
صافرة إعجاب وهو يقول: بدأت الغيرة تأكل قلبي.

ابتسمت بزهو وثقة وهي ترد: هانت، لقد تخطينا الكثير عزيزي.  
اتسعت ابتسامته الماكرة وهو يتذكر، مُنذ البداية وهو يحيك  
خيوطه حول كامل، حتى عندما أرسل إليه غُلا بالأوراق التي  
تدين العائلة كان \_فقط\_ يرمي إليه الطعم حتى يأكله عن

طواعية وطيب خاطر؛ ذاك لأنه منذ البداية يعلم أنه لن يستطيع أن يتخذ أي خطوة قانونية لسلبه الأموال، وأن كل الخطوات اختزلت في القوة الناعمة التي تقف بين يديه الآن. قال: سينتهي كل شيء عما قريب يا علا، لقد بدأنا بالفعل في قطع الخطوات المهمة .

\_ أنا أعد الأيام التي لم تبدأ بعد، حتى أتخلص من ذاك اللقيط.  
\_ سنفعل، صدقيني سنفعل.



عبرت بوابة الدار لتشعر بروحها فجأة تُرد إليها، وكأنها غادرته بجسدها وحسب، أخذت نفساً عميقاً واستغربت، كيف أدمنت أكسجين هذا المكان، وكيف مرت أيامها بعيدةً عنه دونه؟ دقت أبواب مكتبه بنفس ارتباك يومها الأول هنا، المكان هادئ جداً، ومكتب فاتن خاوٍ ولا حاجة لمُبرر، بالتأكيد هي تتجهز لحفل الخطبة، ألهذا لجأ كامل لها، لأن فاتن غير موجودة وليس لاحتياجه لها هي على وجه الخصوص؟!  
\_ السلام عليكم ورحمة الله.  
\_ وعليكم السلام، تفضلي.



كان يقف أمام مكتبه ويستند عليه، وسحفاً لهذا القلب الذي ينبض بين ضلوعها وما يفعله بها حين تلقاه.

\_ ما الأمر سيد كامل أثرت قلقي؟.

حك جبهته، الآن أدركت أن الأمر خطيراً!

نظر إليها وقال: مالك!.

ارتبك قلبها، هي لا تعرف سوى مالك واحد بهذه الدار، أسرعت

تقول: ما به مالك؟

\_ منذ رحيلك عنا وهو منزوٍ، لا يتحدث مع الأطفال ولا يستجيب

لُعلميه، ومؤخرًا صار لا يتناول طعامه بانتظام، اضطرت إلى

إحضار طبيب نفسي له اليوم، صرخ بوجهه ثم حبس نفسه في

غرفة المعلمين وقال أنه لن يخرج إلا إذا جاءت غزل.

الآن اكتملت أوجاع قلبها، وتذكرت صفاء وهي تخبرها أن لا

ذنب للأطفال فيما يجري بينها وبين كامل من مشاعر.

وها هي أول ضحية تسقط، صغيرها مالك الذي تألم بما فيه

الكفاية وما كان ينبغي أبدًا أن تسبب له هذا الألم الجديد.

\_ سأذهب إليه في الحال.

\_ لا، انتظري سأذهب أولاً أمهد له مجيئك.

اتجه كامل لحجرة المعلمين في حين جلست هي تنتظر قدومه في مكتبه.



جلس على ركبتيه حتى يتمكن من مُحادثة الفتى، والذي وقف هادئًا وعلى وجهه ابتسامة شقية .

\_اتفقنا يا بطل، تُعطلها حتى المساء.

\_اتفقنا أيها المدير الشقي.

\_أخفض صوتك وإلا انكشفت حيلتنا لديها، من المُفترض أنك حزينٌ وتُعاني انهيارًا عصبياً الآن.

\_حسنًا حسنًا أنا أتذكر كل شيء لا تقلق.

سار كامل بالفتى إلى مكتبه وهو يتذكر اتفاقه المُبرم معه، سيأتي إليه بغزل التي اشتاقها حقًا في مُقابل أن يعطلها حتى المساء، تساءل مالك بفطرته عن السبب ليكذب كامل عليه أنه يود منها أن تعود إلى الدار، وبالطبع هذا شجعه أكثر على القبول بالاتفاق.

جلست غزل مع مالك على انفراد، والذي أجاد تمثيل دوره ببراعة فطرت قلبها المسكين، سكب دموعه على جراحها لينبت الألم ويمد بجذوره في أعماقها الهشة.

كل ذلك وهي لا تعلم أنها وقعت ضحية خداع من صغيرها  
المُفضل، ومالك قلبها الوحيد.  
\_الفتى يبدو مُنهزًا بحق سيد كامل.  
قالتها وهي تقف معه في الفناء، نظر إليها و رد: ما العمل؟  
\_هل تسمح لي بأخذه في جولة خارج الدار؛ إنه بحاجة إلى بعض  
الهواء النقي وأن يشعر بالحرية ولو قليلاً.  
تظاهر بأنه يفكر في اقتراحها، والحقيقة أنها سقطت بقدميها في  
الفخ الذي نصبه لها.  
\_لكِ ذلك.



قاد سيارته بعد أن أوصل غزل ومالك للحديقة العامة، شعر  
لوهله أنه يقود قلبه، يُكبله بالسلاسل والقضبان ويجره خلفه،  
هو لا يملك رفاهية الانصياع لأوامر قلبه.  
ولا يحق له -أبدًا- أن يملك قلبها.  
\_سامحيني غزل، لكنني رجلٌ مكسور، أضعف مما تظنين، و  
أجبن مما تتوقعين، لا أملكُ أمامكِ حاليًا إلا صورتي الوقور  
وأخاف كثيرًا أن أخسرها، أليس ذلك من حقي ياغزل؟! ألا يحقُّ

لرجلٍ وحيدٍ عاش عمره بأكمله يُرمم في جدار روحه أن يُخفي  
تشققاته عن أحب؟  
نعم، نعم أحبكِ ياغزل!  
أُحبكِ بمقدار ما بداخلي من وِجَع  
أُحبكِ بمقدار الحزن الذي يُغلف قلبي ويُدمي عيني  
أُحبكِ، وأُعترف بهذا أمام نفسي وفي اليوم الذي أهُمّ فيه  
للارتباط بغيركِ، لكنني لا أملكُ إلا أن أُحبكِ!!  
ليس لي على هذا المُتصدع الذي يقبع بأضلعي سُلطان؟  
لا أستطيع انتزاعكِ منه، كلما حاولت أجدكِ تتشبثين بي أكثر  
تحفرين اسمكِ كالوشم على جدار روحي.  
أنتِ الوجع الوحيد في حياتي ياغزل الذي أُريد أن أرتمي داخل  
أحضانه وأبكي.  
زاد من سرعة سيارته عندما علا صوته الداخلي بتلك الكلمات،  
يكره ضعفه الذي دفعه لحياكة هذه الحيلة عليها، لكنه لن  
يسمح أبدًا أن تنكشف حقيقته أمامه.

☆☆☆

\_ ما هذا الهراء الذي ترتدينه؟

صاح بها كامل، كان قد انتهى من تبديل ثيابه بقصره ثم استقل  
سيارته واتجه لمنزل غُلا حتى يأتي بها إلى الحفل.  
تفاجأ بهيئتها، ترتدي فستاناً مكشوف الذراعان والصدر، قصيرٌ  
حتى ركبتها أو بالكاد يصلهما، ضيق حد الاختناق ولا يعرف  
كيف سولت لها نفسها ارتدائه.

\_ ماذا به ثوبي يا كامل، أهذا انبهارك بعروسك يوم خطبتكما؟  
\_ اسمعيني جيداً يا علا، لقد تغاضيت عن أمر الحجاب الذي  
تحدثنا فيه مراراً، أما ما أراه أمامي الآن فهو عُري صريح، لن  
أكون ديوثاً يا علا أسمعيتِ؟  
\_ لقد تجهزت وانتهى الأمر.  
\_ إذاً لا يوجد حفل ولا خطبة من الأساس.

جاء على صوتهما المرتفع عاصم، دق الباب ودخل وهو يلاحظ  
سحابة الغضب تحتضن جو المكان.  
\_ ماذا هناك يا كامل؟

\_ انظر إلى ابنة عمك وما ترتديه وستعلم.  
\_ ماذا به ثوبها، إنه يوم خطبتها ويحق لها ارتداء ما تريد.  
ابتسم كامل بسخرية ونظر له وقال:  
\_ غريب مع أن من ينظر إليك يجد جبينك خاليًا.

\_ خاليًا من ماذا؟

احتدت نظراته وهو يقول: من القرون، التي تحاول زرعها  
بمقدمة رأسي أنا أيضًا.  
ابتلع عاصم الإهانة مُرغماً وهو ينظر لعلا الواقعة تشتعل غضبًا،  
نظر إليها كامل وقال : سأنتظرك بالخارج، عشر دقائق وحسب  
ياعلا وأجدك ترتدين ثوبًا محترمًا عن بذلة الرقص التي ترتدينها  
هذه.

☆☆☆

دخل كامل القصر و علا تتأبط ذراعه، بفرسانٍ طويل حتى  
الأرض، كامل الاحتشام كما أراد كامل وكما انصاعت لأوامره،  
وقف الجميع يصفقون ويباركون، أول ما لمحت عيناه كانت  
فاتن، تقف صامتة ونظرات عينيهما تأكله، تجاهلها وأكمل  
طريقه بجوار عروسه حتى جلسا بالمكان المخصص لهما.

☆☆☆

\_ أين غزل يا كامل؟!

قالتها فاتن وهي تقف قبالتة، بعيدًا عن الضيوف، مضى  
مُنتصف الحفل وهي لم تظهر بعد، حتى هاتفها لا ترد عليه.  
\_ وما أدراني بمكان صديقتك؟

\_كامل، أنت تحيك شيئاً.  
\_بل أنت من تحيكين، وكل ما أفعله أني أعطل حياكتك.  
\_ستنجلي الحقيقة، عاجلاً كان أم آجلاً، ستنجلي ياكامل.  
تركته وغادرت، نظر لخاتم الخطبة الذي يخنق إصبغه، فات  
أوان التراجع منذ مدة، كما أنه يعرف أنه يفعل الصواب.  
لكن هذا الصواب يؤله!



\_الآن سنعود للدار يا مالك.  
\_وتأتين معي؟  
\_بالطبع سأتي لأوصلك.  
\_لا، بل تأتين للدار ولا تبرحها مُجددًا.  
انحنت غزل حتى تتمكن من النظر في عينيه، وليتها لم تفعل، هذا  
الفتى رغم ضحكاته التي لم تنقطع طيلة اليوم يقبع داخل عينيه  
حزن دفين يحتضن مقلته بعنف.  
قالت: لا أستطيع ذلك، أنت لا ترضى لقلب غزل الصغير أن يتألم.  
\_وما الذي يؤلمك بالدار، هل ضايقتك بشيء؟

أسرعت ترد: على العكس يا مالك، أنت فتاي المفضل، لكن  
هناك بعض الأمور التي لا يمكن البوح بها تستهلك روعي،  
وحلها الوحيد هو أن أبتعد.

تركته في الدار وغادرت، هي لم تكذب عليه، نعم تواجهها بالدار  
يستهلك جزءًا من روحها.

ورحيلها عنها الآن يستهلك روحها كلها.





(١٥)

☆ تلك الخفقة بأعماق قلبك والتي تجعلك تتعاطف مع

☆ من عاد إليك نادمًا؛ لا تتجاهلها.

"السيدة مريم غاضبة عليّ، حتى أنها أعطتني اليوم إجازة وكل ذلك لأنني لم أحضر خطبة ابنها يوم أمس، حسناً معها حتى، حتى أنا غاضبةٌ من نفسي لتفويقي هذه الفرصة الهائلة للقاء كاملها، هناك هاجسٌ غيي يكمن بقلبي يستطيع أن يقنعني \_ أحياناً \_ أن كامل مصطفى إبراهيم قد يكون هو نفسه كامل.... مهلاً.

"أنا لا أعرف اسم زوجها بعد!!"



أغلقت دفتر مُذكراتها، الساعة العاشرة صباحًا وقد تلقت مُنذ ساعتين اتصالاً من السيدة مريم تخبرها أنها عطلة اليوم، يجب أن تكون ممتنة لهذه العطلة حتى لو جاءت نتيجة غضب؛ فهي بحاجةٍ إلى ترتيب أوراقها بعيدًا عن أي ضغط. منذ البارحة لم تفارقها صورة مالك، وللعجب باتت تفكر في العودة للدار بالفعل.

\_ صباح الخير يا وردتي المتفتحة.

\_ كُفي عن قول عبارات الغزل تلك ياغزل.

ضحكت غزل بينما مدت يدها إلى طاولة الفطور وسحبت شريحة خضرة وقصمتها قائلة: الحق عليّ يا هناء أني أعوضك غياب الزوج.

\_ من يسمعك يقول أنه كان يغمرنى بغزله، هيا هيا اجلسي وتناولي فطورك.

\_ وأنت؟

\_ لقد سبقتك فأنا مضطرة للنزول الآن.

\_ إلى أين يا امرأة؟

اضطربت ملامح السيدة هناء وهي تقول: أنت لا تعرفين بعد؛ في مطلع كل شهر أذهب لمكتب البريد حتى أتلقى المال المرسل لي من حُسام.

بهت وجه غزل، كيف لم يتساءل عقلها الصداً عن مصدر رزق السيدة هناء طيلة فترة تغيب زوجها، يُرسل إليها الأموال إذًا....  
إذًا، لا يزال على قيد الحياة.

ابتلعت ريقها بضعف، كان مجيأها إلى هنا لتكهنها \_ أو ربما حتى تمنيتها \_ أن يكون حُسام قد مات، الآن غمرها القلق من أدناها إلى أعلاها وهو ما لاحظته السيدة هناء فقالت بهدوء: لا تقلقي،

إنه وضعي منذ ثلاثة أعوام وأكثر ولا أعتقد أنه ينوي الظهور في حياتي من جديد.

تركتها وغادرت، كيف يُمكن لرجلٍ عاقلٍ أن يتزوج بامرأة مثل السيدة هناء ويهجرها، ابتسمت بأسى، حسناً إنه أبعد ما يكون عن العقل؛ فالرجل الذي يجهض زوجته في شهرها التاسع من الحمل، ويحاول اغتصاب الفتاة التي ظلت تناديه "أبي" طيلة خمسة عشر عامًا يستحيل أن يكون عاقلًا.



أليس من المفترض أن اليوم يوم عطلتها؟  
وأنها ستحظى بحماجٍ دافئٍ وتجلس تحتسي الشاي ريثما تعود أمها؟

إدًا ما بالها الآن تقف عند بوابة الدار وتهتم بالدخول؟  
ظلت واقفة لبرهة، لا تملك جرأة الدخول؛ بل لا تملك له عذرًا، فكرت بمالك وحالته النفسية اليوم.

نعم، هذا عذرٌ في غاية الإقناع، وستكون حريصةً كل الحرص على تخبئة قلبها عن مالكة.

\_غزل؟

لم تصدق فاتن عيناها عندما لمحتها تلج الممر، غادرت مكتبها والتفتها داخل حضانها الحاني.

\_مرحبا فاتن، لديّ اليوم عطلة لذا فكرت في زيارتكم والاطمئنان على الصغير مالك.

\_مالك، ولكن ما به مالك؟

اعتلت الحيرة وجه غزل، سألت بريية:

\_ أم يصبه الاضطراب لدرجة استدعاء الطبيب النفسي؟

الآن أدركت فاتن أنها تقف أمام كذبة كامل، يا إلهي ولجأ للكذب أيضًا؟!!

احتارت ماذا تفعل، أتكشف أمره وأمر كذبه أم تتستر عليهما معًا؟ تنهدت وقالت مسرعة:

\_ نعم يا عزيزتي بالطبع، لكنه تحسن الآن والحمد لله، اذهبي إليه وأنا سأنهي بعض الأعمال وألحقك؛ فكامل ليس هنا اليوم وأنا من يتولى أمور الدار كالعادة.

\_ مُتغيب؟

\_ أحدهم عاد لبعض عاداته القديمة عندما رحل عنه سبب تغييرها.

يا إلهي، استغرب قدرتك العجيبة على الولوج إلى ما تريد  
من أي منفذ يُتاح لك.

علك تتعلمين مني وترحينني، وقلبك.  
تركتها غزل متأففة فهي تعلم أن لا جدوى من مجادلتها، عليها  
الاعتراف أن غياب كامل عن الدار أسعدها؛ إنها أمام فرصة  
حقيقية لتشبع قلبها العطش لأطفالها الصغار وضحكاتهم  
البريئة.

طافت على الدار كلها، بدايةً بالصغير مالك الذي لم يصدق عينيه  
حين رآها، جلست معه ومع زملائه وسمعت من عقولهم  
الحالة الكثير من الأحاديث، بعدها اتجهت لترى صغيرتها  
سلمى، الفتاة التي تثير داخل قلبها مشاعر الشجن، دومًا  
تذكرها بلقائها المحتدم مع كامل وشجارهما على دميتها.  
وقفت أمام قسم الرُّضّع أخيرًا، هي عاداتها، تُحب ترك أحب  
الأمر إلى قلبها للنهائية، الباب موارب... دقته ودخلت.

غزل يا حلوتي.  
قالتها صفاء فور أن لمحتها، سرعان ما تركت الصغيرة من يدها  
ليلتقفها حسان وأسرعت إليها تحتضنها.  
اشتقت إلى رائحتك المُختلطة برائحة الأطفال يا صفاء.

\_والأطفال كلهم اشتاقوا إليك.  
تركتها وألقت التحية على حسان ثم دخلت تسير بين الأُسرة،  
تطالع وجوههم المحببة والتي سرعان ما تبسم حين تلمح  
طيفها.

هم يتذكرونها بالفعل!.  
التقطت رضيعتها المفضلة وراحت تحتضنها وتتنفس رائحتها،  
همست بجوار أذنها: خفت كثيرًا ألا أراكِ مُجددًا يا بيان.  
ابتسم حسان وأشار لصفاء أن يتركها بمفردها قليلًا معهم،  
غزل بالنسبة لهما حالة نادرة شديدة الارتباط بأي طفل مر  
عليها، لذا هي بحاجة لبعض الخصوصية لتبثهم مشاعرهما دون  
حرج.

\_لقد أخطأت في حقكم وحق نفسي حين غادرت يا صغاري، لم  
أكن أعلم أنني تعلقت بكم هكذا أو أنني أودعت في كلٍ منكم  
جزءًا لا يتجزأ من روحي العارية، مع ذلك لا أملك العودة، إنه  
قرار صعب وأنا أضعف من أن أتخذه.

☆☆☆

\_سالي؟!!!

كانت غزل قد أنهت جلستها مع الرضع وتوجهت للأسفل حيث تجلس فاتن، تفاجأت بتلك الأخرى التي تجلس قبالتها، سالي، صديقتها التي أفلتت يديها عن عمدٍ حين أرادت نصحتها.

وقفت سالي تشعر بالخزي الشديد، وجهها غريبٌ كلياً عليها، لم تعرفها، ربما لأن وجهها خالي من المساحيق المبتذلة هذه المرة، أو ربما لأنه خالي تماماً من عنفوان روحها المتمردة، بها شيء قد تغير، أو لتكن أكثر دقة؛ بها شيءٌ قد كُسر!.

\_غزل أنا...

توقف الكلام على شفيتها، لا تعرف ماذا تقول أو من أين تبدأ، كما أنها تشعر بالحرج الشديد من فاتن، هذه السيدة التي يبدو عليها الوقار والحكمة لا ينبغي لها أبداً أن تسمع ما جاءت لترويهِ.

شعرت فاتن بها لتنهض قائلة: سأعدُّ مشروباً ساخناً لنحتسيه سوياً.

جلست غزل مكان فاتن، نظرت لوجه سالي المحمّل بذنوب أهل الأرض جميعاً وقالت : سُررت برؤيتك.



ابتلعت سالي ريقها وقالت: وأنا أيضاً، لقد.... لقد ذهبت لمنزلك  
لكن ساكن الدور الأخير أخبرني أنك غادرتي المبني لصفة مؤقتة،  
لذا اضطررت للمجيء إلى محل عملك.

\_ومن حسن حظك أنك وجدتني، لقد تركت العمل منذ مدة و  
وجودي هنا اليوم ظرفٌ استثنائي.

\_لم أكن أعلم.

\_لقد قطعت كل السبل بيننا؛ فأنت لك أن تعرفي؟

\_كنت مُخطئة، كعادتي، وكنت أنت كعادتك أيضاً صائبة.

\_ماذا حدث؟

اكتسى الدمع عيناها فجأة بعد أن تعبت من كتمانها، قالت وهو

يشق طريقه على وجنتيها: لقد دمرني يا غزل، دمرني!

رغم غضبها منها ومن فعلتها إلا أنها لم تتحمل رؤيتها تبكي،

ناولتها منديلاً وقالت بنبرة هادئة:

\_ كفكفي دمعك يا سالي ما فات مات.

\_للأسف لم يمت.

لم تفهم غزل مقصدها، لكنها تفاجأت بيدها التي ترتفع ببطء ثم

تستقر على بطنها المسطح وهي تكمل بأسى: أنا حامل.



\_ أَتَفَرَّهْمُ كَوْنَكَ عَرِيْسًا وَلَكِنهَا مُجْرَد خُطْبَةٌ؛ فَلَمْ تَقَاعَسْتَ عَنِ  
العَمَلِ الْيَوْمِ؟

قَالَتْهَا السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ وَهِيَ تَجْلِسُ مَعَ كَامِلٍ يَحْتَسِيَانِ الْقَهْوَةَ  
سَوِيًّا قَالَ:

\_ عَقْلِي بِحَاجَةٍ لِعَطْلَةٍ كِي لَا يَنْفَجِرُ.

\_ وَمَاذَا أَصْرَرْتَ عَلَى تَغْيِبِ غَزْلِ الْيَوْمِ إِذَا، هَلْ وَجُودَهَا سَيُعْطَلُ  
عَطْلَةَ عَقْلِكَ الْمَزْعُومَةِ؟

ابْتَسَمَ بِسُخْرِيَّةٍ، مَسْكِينَةٌ هِيَ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا.  
لَا تَعْرِفُ أَنَّ وَجُودَهَا قَادِرٌ عَلَى تَعْطِيلِ عَمَلِ عَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ، وَكُلِّ  
أُورْدَتِهِ النَّابِضَةِ.

رَدَّ بِهَدْوٍ: فَقَطَّ كِي أَكُونُ عَلَى رَاحَتِي أَكْثَرَ وَأَلَا أَسْبَبُ لَهَا الْحَرْجَ.  
\_ عَلَى رَاحَتِكَ فَأَنْتَ الْخَاسِرُ بِالنِّهَايَةِ.

\_ وَ لِمَ؟

\_ لَقَدْ فَوَّتَ عَلَى نَفْسِكَ فَنَجَانَ قَهْوَةَ يُصْنَعُ بِكُلِّ حُبٍّ وَشُغْفٍ.  
ابْتَسَمَ لَهَا وَأَكْمَلَ فَنَجَانَهُ الَّذِي أَعَدَّهُ الْخَادِمُ، صَارَ كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ  
بِغَزْلِ مَلِيٍّ بِالْحُبِّ وَالشُّغْفِ، حَتَّى قَلْبِهِ!.

يُورِقُهُ كَثِيرًا هَذَا الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ حَجْمَهُ حَجْمَ كَفِّهِ، مِنَ الْمَفْتَرَضِ  
أَنَّ يَرُوضَهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى الْأَقْلِ احْتِرَامًا لِلْفَتَاةِ الَّتِي سَتَصِيرُ

زوجته، بالطبع لا يملك أن يحبها، لم يكن الأمر يومًا بهذه السهولة، لكن -وعلى الأقل- ينبغي أن يذهب إليها صفر اليدين، أن يُقدم لها مدينته وهي خاوية، ويترك لها مُطلق الحرية في سُكناها وتعميرها.

هذه المدينة التي استطاعت غيرها أن تبني بها آلاف المستوطنات، كيف يقدر على طردها وهدم كل ما بنته، بالله كيف ؟  
\_ستذهب لُعلا اليوم؟

\_لا أظن، صديقاتها يقمن حفلًا على شرفها، كما أنني لا ازال غاضبًا عليها، وأود أن أعرج على الدار لذا لست مُتفرغًا لها.  
\_وصلني أنك انفعلت عليها وبشدة.

\_أنتِ لم ترين ما كانت ترتديه، لقد صُدمت بها حدّ الشعور بالندم والتسرع.

تهدت السيدة، تريد إخباره أنه بالفعل تسرع، هي لا تناسبه ولا تستحقه البتة، خاصة بعد أن هددتها ذاك التهديد الصريح.

إنها تُخطط لإخباره بالحقيقة بالفعل، لقد اكتفت من حمل هذا الذنب الثقيل كل هذا العمر، صدقًا اكتفت وتود لو ترتاح قليلًا، تود لو تتنفس طبيعيًا كالبشر دون أن تشعر بحجر صوان يمكث أعلى قلبها مع كل شهيق وزفير، لكن الوقت لم يحن بعد، ويعلم

علا بسرها الخطير باتت في خطر، تكاد تخسر ابنها الذي لن يتمهل ليسمع منها أذارها، والتي ستبدو كلها واهية.  
\_ربما تتمكن من تغيير بعض الصفات التي لا تعجبك بها مع الوقت.  
\_ربما..

قالها وهو يتذكر غزله، يقسم بينه وبين نفسه أنه أضاع من بين أيديه كنزاً عظيماً، ويضيف لقسمه الأول قسمًا آخر بأنه لا يستحقها.



\_حامل يا سالي؟!  
صاحت غزل وقلبها يرتعش بين ضلوعها، عقد زواج سالي ليس شرعيًا، كيف تُساعد في خروج طفلٍ جديد لعانة تحديد النسب وهي أدرى الناس بها؟  
أليست سالي ابنة مجهولة النسب؟  
ألم تجدها مديرة دارهم القديم أمام إحدى حاويات القمامة؟  
ألا يجب أن تكون أكثر الناس عِظَةً وأكثرهم جِرْصًا في هذا الموضوع بالذات؟

أم أن الآلام التي عاشتها طيلة عمرها وشقوق قلبها لم تكفها  
وتود الاطلاع على العالم الخارجي من شقوق قلب جينيتها  
المسكين؟

قالت بألم: ابنك يا سالي، سيكون ابن حرام، ابناً مجهول النسب،  
أتدركين فاجعة ما ارتكبتني؟  
انهمرت دموعها أكثر وهي تقول: لا تقولي ذلك، لطفًا لا تقوليها،  
أنا زوجته أقسم لك.

\_ الزواج العرفي ليس زواجًا ولا يضمن لهذا المسكين الذي  
بأحشائك أيًا من حقوقه التي يقرها الزواج الشرعي، حتى اسمه،  
حتى اسمه ونسبه الصحيح فإنه سييخل عليه به.  
بكت...

بمقدار أوجاع روحها بكت، لم تكن لتصدق يومًا أن تذيب ابنها  
نفس الكأس التي تتجرعها حتى اليوم.  
أرادت أن تشاركه الحياة بحلوها فقط، وها هي أول ما تسقيه  
يكون مرارتها التي سئمتها لسنوات.  
تلك المرارة التي دفعتها للبحث عن أي شيء يُخفف من وطئتها  
البشعة على قلبها، حافظت على ارتداء أغلى الثياب والالتصاق

بظل أي رجلٍ تلمح عليه ولو مظهرًا واحداً من مظاهر الثراء،  
تُشارك في الحفلات الصاخبة وتُخالط عِلية القوم مرارًا وتكرارًا.  
ومرارة روحها لا تزول، بل تزيد.  
\_ لم يكن لديّ علم بما تقولين.  
\_ عقد زواجكما المزعوم ذاك، هل وقعتماه عند محامٍ وبشاهدين  
أم ماذا؟

توترت، وتوترها أوصل الإجابة إلى غزل، لم يفعلوا.  
\_ ماذا ستفعلين يا سالي؟  
نظرت إليها متوجسة وقالت: لا أعرف، جئتكِ كي تطرحي أنتِ  
هذا السؤال، عليّ أجد عندك الإجابة.  
جاءت فاتن بأكواب الشاي لتقطع حديثهما، نظرت غزل لسالي  
نظرة معناها أن لا بأس تستطيع الوثوق بها، لكن سالي أشارت  
برأسها حاسمة الأمر برفضها.  
سحبت فاتن كرسيًا آخر وجلست توزع الأكواب بينهن، احتست  
غزل الشاي على مهل لتسمع صوتاً رخيماً بات يأسر قلبها  
يقول:

\_ أدام الله النعناع في كوؤوسك، آنسة نعناع.

أخفضت الكوب تكتم ضحكاتهما التي إن خرجت خرج معها ما ارتشفته، نظرت إليه، كان يقف خلف سالي وفاتن وهي الوحيدة تجلس في مقابلته.

بات يعشق النعناع بسببها، وبسبب لونه الساحر في عينيها.  
\_ لو كنا نعلم بهذه الزيارة السعيدة لجئنا باكرين.

قالها وهو يتقدم، يسحب الكرسي الأخير ويجلس بجوارها.  
استغربته فاتن التي تساءلت بأعينها عن فعلته ليغمز لها ثم يقول:

\_ آسفٌ لقطعي خلوتكن، لكنني أتساءل عن سبب هذه الزيارة؟  
قال عبارته الأخيرة بحدة، وبنظرة ثابتة موجهة لسالي التي أطرقت بوجهها في خجل، تدخلت غزل إذ قالت بجواره:  
\_ لقد جاءت سالي لرؤيتي حتى أنها لم تكن تعلم أنني غادرت العمل.

أدار وجهه إليها، وسقط الكلام على أعتاب جفنيها.  
لديها حقول من النعناع داخل مُقلتيها، حتى أنه صار لا يعرف  
أصدر هذه الرائحة من كوبها المنعنع، أم من حقول عينيها  
الشاسعة؟

لقد عادت لوضع الكحل الأسود من جديد، يبدو أنها جاءت  
وتسلحت بأقوى أسلحتها عاقدةً العزم على إسقاط كافة  
دفاعات قلبه الواهية، وسقطت!.

\_ هذا من حُسن حظنا بالطبع.

قالها مبتسمًا ولا تستطيع وصف شعور قلبها بعد أن رأت  
ابتسامته بهذا القرب الحميمي.

قطع تواصلهما اتصالً هاتفي من داخل مكتبه بالجوار، نهضت  
فاتن لترد عليه وسرعان ما نادى كامل لينضم إليها في غرفة  
المكتب.

استغلت غزل خلوتها بسالي لتقول لها هامسة : هي سالي، إن  
كامل هو الإجابة.

\_ لم أفهمك.

\_ علينا أن نخبره بالأمر، إنه يعرف وحيد زوجك تمام المعرفة  
وسيساعدنا بالتأكيد.

\_ سيزيد هذا من احتقاره لي.

\_ لا يحق لكِ حاليًا التفكير في أي شيءٍ آخر لا يتعلق بابنك.

\_ أنا أخجل كثيرًا من ذكر أمرٍ كهذا، خاصة بوجود صديقتك  
فاتن.



\_دعي الأمر لي.

نهضت غزل ونادت فاتن، همست لها ببعض كلماتٍ ثم رحلتا. أنهى كامل اتصاله وعاد ليجد نفسه مُنفردًا مع سالي، وجدها فرصة سانحة أخيرًا للتحدث مع هذه الفتاة الغريبة وسبر أغوار علاقتها بوحيد.

\_تزوجتِ ووحيدٍ إذا؟

اتسعت عيناها دهشةً، كانت سرحة تُرتب الكلمات برأسها قبل أن تدلي بها، تُحاول اختيار أقلها وطأةً وإهانةً لكرامتها المسلوقة، لتتفاجأ به يفتح هو مجرى الكلام بمنتهى السهولة.  
ن.....، نعم.

\_أين كان عقلكٍ عندما أقدمتِ على تلك الخطوة؟

ابتلعت ريقها، ليُكمل هو: زواجٌ غير شرعيّ أليس كذلك؟ نظرت إليه وعيناها ملآى بالدموع، قالت: سيد كامل، نعم ضعفت و وافقت على الزواج منه بعقدٍ غير شرعي، وهو خطأٌ كبير والله يعاقبني مذ وافقت على القدوم عليه، والآن أنا واقعة في خطأٍ أكبر وتحديد مصير شخصٍ غيري لا يملك من حوله وقوته شيئاً.

رفع حاجبه باستنكار، أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

\_ دعيبي أخمن؛ أنتِ حامل؟  
أومأت برأسها أن نعم، مُتجاهلةً سهولة تخمينه لأمر كهذا.  
حك جبهته غاضبًا وهو يقول: أتعرفين ممن تلقيت اتصالي  
الهاتفي الأخير؟  
\_وأنى لي أن أعرف؟  
\_ كان وحيد زوجك الموقر؛ يبدو أنه يراقبك.  
ارتعب وجهها، أسرعت تسأل: ماذا قال لك؟  
\_يسألني بالطبع لم جئتِ إلى هنا، هل لديه علمٌ بحملك لطفله؟  
هزت رأسها بالنفي ليزفر كامل غضبًا، نظر إليها وقال بهدوء:  
\_ هل نوبيتي اجراضه دون علمه؟  
ابتلعت ريقها بضعف وهي تتحسس بطنها، قالت بصوت  
متحشرج:  
\_ ربما لم أكن الفتاة المثالية طيلة عمري، ربما ارتكبت العديد من  
الأخطاء التي لا تُغتفر، لكني لم أجرؤ حتى على التفكير فيما قُلته،  
لا أملك أن أنهي حياة أرادها الله أن تخرج للدنيا على يداي، أنا  
أضعف من هذا كله، وأضعف \_ كذلك \_ من أن أقف في وجه  
وحيد ومُطالبته بحقوق الطفل.

تهدد كامل وهو يدق بأنامله على المنضدة، يفكر ماذا عساه يفعل، الفتاة واضحة في لجوئها إليه، وهو لم يعتد أن يرد سائل، خاصةً فيما يخص أي شيء قد يُساهم في إخراج ابنٍ آخر مجهول النسب للحياة، لا يريد لمأساته أن تتكرر!

\_ اسمعيني إذًا يا سالي، الأمر لن يكون سهلًا، لكنه ليس بمستحيل.

ستستغلين عدم علمه بهذا الجنين، أمامك أشهر حتى تُعلن بطنك أمامه عن سرها الكبير، عليكِ استغلال هذه الأشهر لصالحكِ أنت وطفلكِ.

\_ ماذا تعني؟

\_ وحيد ليس رجلًا نظيفًا بالمرّة، إنه يخوض في المنوعات خوفًا .

\_ تريدني أن أبتزّه؟

\_ هذا هو الحل الوحيد، من جانبي لن أتخلى عنك وسأتصل بمحامٍ الخاص وأستشير، المهم الآن أن تضعي يديكِ على أي شيء يمثل تهديدًا عظيمًا له، اتفقنا.

أومأت له بنعم، شعرت بنبل كامل الشديد معها، على الرغم من نفوره منها ومن فعلتها، لِمَ لم يُلقي بها القدر في أحضان رجلٍ مثله؟

الإجابة واضحة؛ لأنها لم تكن يومًا امرأةً تستحق هذا النوع من الرجال.

عادت غزل تحمل فنجانًا وتسير بجوارها فاتن، كانت الأولى قد همست للأخيرة أن سالي تود أن تحادث كامل في أمر خاص؛ فذهبت معها دون أن تسأل عن ذاك الأمر.

وضعت الفنجان أمامه برفق ليستقبل أنفه رائحة ساحرته السمراء، عاودت الجلوس بجواره وهي تقول:

\_ حتى لا تُجبر على شرب الشاي وأنت لا تُفضله، أعرف مرارة أن تتجرع شيئًا لا تُحبه.

ارتشف قهوته وهو يفكر بآخر كلماتها، ماذا عن مرارة أن يكون ما تُحبه بالفعل أمامك، ولكن يُمنع عليك تجرعه؟

نظر إليها، لو أنها تتحول لفنجان قهوة لذيذ \_ كهذا الذي أعدته \_ لارتشفها حتى آخر نقطة، حتى الذوبان بها وأن تذوب هي به وبخلاياه.

\_وكان يداك حُلقت حتى تُعد القهوة؛ فيعصيتها قلبك ويُفضل الشاي!.

ابتسمت له وقالت: لا أحد يملك سلطانًا على قلبه.

نعم..

لقد أصابت كبد الحقيقة، وهو أكثر من يستطيع أن يجزم على هذا، يود أن يخرج لها قلبه من بين أضلعه الآن، أن يقول لها أنه مثقوبٌ وسقفه متهاوٍ، أنه لا يصلح لأن يكون سكنًا لها، ثقبه سُدخل لها نسمات الحياة الباردة فتفتك بعظامها، وسقفه لن يحميها من عواصف الأقدار.

يود لو يُخبرها أن تخرج، فقط تخرج وتبحث عن سكنٍ آخر يستحق أن يتشرف بسكناها له، أما هو فسيتقبل الوحدة في سكنه المهترئ، تمامًا كما اعتاد طيلة عمره.

جذبها انعكاشٌ فضي في بنصر يده عندما كان يرفع الفنجان ليرتشفه، خاتم خطبة، متى وضعه، لقد كانت برفقته هنا بالأمس، كانت تطالع يده كما تفعل مُذ علمت باقتراب خطبته، وكانت تجدها دومًا خاوية، حتى نهار البارحة كانت خاوية.

النهار الذي فوتت فيه حفل خطبة ابن جليستها، والذي للصدفة الحمقاء يُدعى كامل.

نظرت إليه بريية، ثم إلي فاتن وسالي، ارتفع صوت طنينٍ مزعج داخل عقلها الذي بدأت تروسه تتحرك بمساعدة من قلبها الذي دق أبوابه شعور خفي لا تدري مصدره.

بأن كاملها، هو نفسه كامل ابن مريم!!.

☆☆☆

وقفت في نهاية اليوم بينه وبين سالي، تستمع لحديثهم بنصف  
ذهنٍ حاضر، بينما غاب نصفه الآخر في تكهناته حول بئر الأسرار  
العميق الذي تقف في حضرته.

\_ كما اتفقنا يا سالي، وعليك الإسراع في إيجاد دليلٍ دامغ ضده  
فنحن لا نضمن ما سيحدث.  
\_ حسناً، لكني أشعر بالخوف.

\_ لا تقلقي، معكي رقم هاتفي، إن حدث أي مكروه أو كشف  
أمرك فقط اتصلي بي وسأكون عندكٍ أسرع مما تظنين.  
\_ لا أعرف كيف أشكرُ نُبلك حقاً.

\_ لا تشكريني، كما أن هذا أقل ما أفعله للمسكين الذي ينمو  
بداخلك الآن .

أومأت متفهمة، بجوارها غزل والتي تغيرت نواياها عن الصباح  
كثيرًا، كانت قد مالت للعودة إلى الدار وترك عملها الجديد، لكن  
الآن وبعد ما زارها من شكوك لن تترك العمل حتى تتضح لديها  
صحة ظنونها من عدمه.

☆☆☆

(١٦)

☆ الآن تتعري أولى الحقائق ☆  
( احبس أنفاسك؛ فالصدمات لم تبدأ بعد )

" لا أعرفُ منبع ظنوني هذه بالتحديد، لا أستطيع حتى أن أُمسك بطرف خيطٍ وأتبعه لنهايته وأقول من هنا بدأ ظني، إنها أمورٌ عفوية وغير مُترابطة بالمرّة، لكن عقلي المريض يُصر على جعلها مُترابطة، لذا قررت من اليوم أن أرخي لحدسي العنان، وأن أسلم لفضولي دفعة القيادة قليلاً، ولنز على أي برٍ قد يرسو بي".

دونت كلماتها تلك في دفترها صباحًا وهي تتناول فطورها قبل التوجه إلى قصر السيدة مريم، تبدلت مواعيدها مع دفترها الغالي من المساء إلى الصباح، والفضل يرجع إلى خوفها الذي يأكل قلبها بمجرد أن ينغلق باب غرفتها عليها.

كيف لشابيةٍ في السادسة والعشرين من العمر أن تخاف خربشات حُفرت على ظهر بابٍ خشبي لعين؟

لكنها لم تكن -يومًا- مجرد خربشات، إنها ذكراها الأليمة، الدليل المادي الملموس الذي يُصر على صفعها كل يوم بما حدث لها يومها، وما كاد أن يحدث.

اليوم الذي تشبثت فيه ببابٍ ضعيف بكل ما أوتيت من قوة، عله يحميها من ذاك الذئب الذي يُصر على جرّها صوب سريرها.



نفضت رأسها ذهابًا وإيابًا، ها هي الذكريات تصبح أشرس، ها هي تُغادر غرفتها وتهاجمها على طاولة الفطور، وكأنها وحش يتغذى على الخوف، كلما نبت الخوف بقلبها أكثر كلما استفحلت أكثر وأكثر.

☆☆☆

\_صباحكٍ بطعم السكر سيدة مريم.  
\_وبلون عينيكِ البديعتين آنسة غزل.  
جلست قبالتها، لا تعرف كيف تبدأ مهمتها الجديدة، ما المدخل الذي قد يصل بها إلى الحقيقة؟  
وإلي أي حقيقة بالضبط تُريد أن تصل؟  
باتت تشعر أنها تتمنى لو يكون كامل هذا هو ذاك، تشعر أن هذا سيقربها منه مقدار السنين الضوئية التي تفصله عنها، أنها حينها قد تمتلك يومًا شجاعة ضمه دون أي شعور بالدونية، ودون أن تتخبط بعقلها في حائط المستحيلات.  
روت لها السيدة كم كان حفل الخطبة رائعًا، وكم فوتت عليها من فُرص لقاء قادة المجتمع وعلية قومه، كم كان التنظيم باهزًا وكم كان كامل الأكثر إبهازًا على الإطلاق، لكن كل عبارات الغزل

تلك خلت من ذكر العروس مما أثار الفضول بالمُستمعة الأكثر  
فضولاً في العالم.

\_ماذا عن العروس؟

\_ما بها؟

\_لم تذكرني شيئاً عنها.

\_بيني وبينك، لا أرتاح لها .

علا صوت قرع طبول الفضول بداخلها، قالت بلهفة:

\_ لماذا، ماذا فعلت؟

\_كان كل جُرمها أنها علمت ما لا ينبغي لها أن تعلمه.

لم تكن الإجابة صادرة عن السيدة مريم، بل جاءت من فتاة

تقتحم خلوتها معاً، تتقدم ترسم خطواتها بكعب حذائها

العالي، ترفع ذقنها بكبرياء ومن خلفها يتطاير شعرها كامل

الحرية والجمال.

دُهلّت غزل، وسُجِب لون وجهها فجأة!

عُلا...

عُلا ابنة عم كامل والتي من المُفترض أنها خطيبته.

وقفت مكانها من وقع المفاجأة وقالت: أنسة عُلا!!.

نظرت إليها عُلا تحاول تذكرها، تشعر أنها التقت بها في مكانٍ ما،  
وعلمت غزل أنها تبحث في ذاكرتها عنها فحرصت ألا تجدها،  
خاصةً أمام السيدة مريم.

قالت: ومن هنا لا يعرفك أنستي.

ابتسمت بغرور وقالت: إذاً هل لي بكوب قهوة؟

تدخلت السيدة مريم إذ قالت: غزل ليست خادمةً هنا، إنها  
جليستي .

جلست علا رافعةً إحدى قدميها على الأخرى وقالت: يبدو  
اسمها مألوفاً لديّ.

أسرعت غزل تقول: لا بأس، سأذهب وأقول للخادم أن يُعدّها  
لكِ.

تركتهم وفرّت بقدميها، عقلها ناقوسٌ لا يتوقف عن الدق بألف  
سؤال وسؤال، دخلت المطبخ بالفعل وأخبرت الخادم بطلب  
عُلا، وقفت تنتظر انتهائه بينما يحاول قلبها التقاط أنفاسه.

عقلها لم يعد يقبل المزيد من التشكيك، تكهناتها تخطت مرحلة  
الاحتمالات النظرية وبلغت حدّ التطبيق العملي، وللمفاجأة،  
أظهر التطبيق صحتها جميعاً .

\_ أقسم لكِ سيدة مريم قسمًا لا رادع له إلا موتي أنكِ إن لم تتوقفي فسيتعري سرِّ الكبير أمام الغالي كامل.

\_ أنت تبدين كالطفلة التي حصلت على لعبةٍ جديدة، فتصر على أن يراها الجميع دون أي مناسبة تذكر.

\_ وأنت تبدين أكثر ثباتاً اليوم، المرة الماضية لم تتحملي وسقطتي مغشياً عليكِ.

\_ ألا يحمل قلبكِ بعض الشفقة تجاه عجوزٍ مثلي؟

\_ شفقتي الوحيدة تجاه كامل، الذي عاش عُمره كله محروماً من أمه وهي لاتزال على قيد الحياة.

تجمدت أقدام غزل.

كانت تحمل صينية القهوة وتهم بدخول المكان لتتفاجأ بأخر ما نطقت به عُلا.

وقفت، وليس رغبةً منها بالوقوف، بل هي أقدامها التي خانتها وعجزت عن الحركة بعد صدمتها الكبيرة.

ما بال الصدمات تتسابق اليوم، أيهم يصل قلبها أولاً.

سمعت السيدة مريم ترد:

\_ الأمور ليست -دائمًا- كما تبدو.

\_ تستطيعين قول ما تريدين لكامل حينما يعرف الحقيقة.

\_ لن تقدرى على ذلك.  
\_ اجلسى وراقبىنى وأنا أنتشل صغيرك المحبوب من بين  
أحضانك ذات الرائحة العطرة.  
تظاهرت غزل أنها وصلت لتوها عندما سمعت صوت دقات  
حذاء علا تقترب من مدخل الباب حيث كانت تقف.  
\_ وقرهوتك يا آنسة؟  
نظرت إليها وقالت بابتسامة: تستطيعين إعطائها للسيدة، هي  
في أمس الحاجة لها.  
سكنت قليلًا وهي تكمل: أوه لقد تذكرتك، أنتِ غزل فتاة الدار.  
أومأت غزل في حين وضعت علا نظارتها الشمسية وقالت وهي  
ترحل: يبدو أننا سنلتقي كثيرًا يا غزل.  
راقبتها تغادر، تشعر أنها تكاد ترى هالة الشر التي تحيط بها،  
بالطبع سنلتقي بها كثيرًا بعد آخر ما سمعته منها، لن تسمح لها  
أبدًا أن تجرح مشاعر أيًا منهما: كامل والسيدة مريم.  
سمعت هاتف السيدة مريم يرن من خلفها، استدارت وسارت  
بالصينية إلى الداخل بينما سمعت السيدة تجيب قائلة: ما  
الذي تقوله؟

سرعان ما سقط كل شيء فجأة، الهاتف من يد السيدة، والتي بدورها سقطت مغشيًا عليها، وحتى صينية القهوة التي كانت تحملها غزل عرفت طريقها جيدًا إلى الأرض إثر صدمتها بسقوط مريم.

\_ سيدتي، سيدتي يا إلهي.

تناولت الهاتف الملقى أرضًا وهي تتحسس نبض السيدة، كان الشخص على الطرف الآخر قد أنهى المكالمة. أسرع تُنادي الخدم والحراس بأعلى صوتها، أصابعها الصغيرة بحثت في سجل المكالمات على الهاتف لتجد ضالتها، رقمٌ مسجل باسم "عزيزي كامل"، ضغطت زر الاتصال، توترها الشديد منعها من التركيز في الأرقام المدونة أسفل الاسم، كما أن الحرس قد وصلوا ورفعوا السيدة عن الأرض .

\_ السلام عليكم سيدة مريم.

صوته الرخيم على الطرف الآخر..

يزيد من حدة اشتعال الموقف حولها ..

دارت الدنيا بها وعلت دقات قلبها أكثر وأكثر

لقد جمع الشك حقائقه وغادر، ولم يتبقى داخلها سوى اليقين المؤلم..

كامل، كاملها هي.  
ابنٌ مُتكفل به!!



(17)

☆ مُتَسَعُّ لِلتَّفَكِيرِ ☆  
( آن أوان أن نحسب حساب كل خُطوة )



\_سيدة مريم هل أنت بخير؟  
أتاها صوته من جديد عندما تأخرت عن الرد، حسنًا الوقت  
ليس مناسبًا لأي تفكير عميق.

\_كا...كامل!

أجبرت لسانها المُثقل بالصدمة على الحديث، كل ما نطقته كان  
اسمه، و وحده كان كفيلاً ليعلمه هوية المتصل.

\_يا إلهي!

\_إنه أنت يا كامل، أليس كذلك؟

تُجزم أنها سمعت صوت أنفاسه الغير منتظمة، ولوهلة أدركت  
شيئًا مهمًا..

أنه لن يكون سعيداً أبداً بكشف هذا السر الكبير أمامها.

\_غزل، سُحقًا، ما الذي يفعله هاتفها بين يديكِ؟

\_لا وقت للحديث الآن، السيدة مريم مغشي عليها وقد أخذها  
الحراس للأعلى، سأحاول افاقتها وأنت أحضر الطبيب وتعال،  
وداعًا.

أنهى المكالمة مضطربًا والتقط مفاتيح سيارته مسرعًا من على  
مكتبه في الدار، خرج مهرولاً وأول ما لمح فاتن تجلس خلف  
مكتبها صاح بها:

\_ لقد حدث ما خططتي له، عليكِ تترحين الآن.  
لم يُعطها فرصة للاستغراب أو حتى السؤال، إذ سرعان ما غادر  
ولحته بعد برهة وهو يخرج بسيارته منطلقاً بسرعة مجنونة.

☆☆☆

\_ ما كان عليك الذهاب إليها يا عُلا.  
قالها عاصم وهو يقف في شرفة منزله وعلا تقف بجواره غاضبة  
بينما تجلس صبا تلعب على هاتفها النقال.  
\_ كنتُ ذاهبة للقاء ذاك الذي يُسمى خطيبي؛ فتفاجأت بها  
تتحدث عني مع جليستها.  
تدخلت صبا في الكلام قائلة: ستشي بكِ تلك الجليسة عند  
كامل وتنهى أمرك.  
\_ لم تكن حاضرةً عندما كنا نتحدث لا تقلقي، المهم الآن أن تنهض  
من وعكته تلك.

قال عاصم: ماذا أخبركِ الخادم بالتحديد؟  
\_ اتصل بي وقال أنه فور رحيلي سمع صوت صراخ الجليسة  
ليدخل هو وزملائه ويجدوا مريم مُمددة على الأرض، أخبرته أن  
يوافيني بالتفاصيل إن حدث جديد.  
\_ جيد، من الرائع أننا نمتلك عيناً هناك تخبرنا بما يحدث.

قالت صبا: الرائع بحق أن تنتهي من هذه المهزلة بأسرع وقت ممكن .



دخل القصر مُسرِّعًا وقلبه يتراجع داخل صدره، يود الاطمئنان على تلك السيدة التي راعته طيلة عُمره وكانت له خير أم، ولكنه في نفس الوقت يخشى لقاءها، تلك التي تمكنت من كشف أكبر أسراره، وأكثر ما يخشاه أن تلتقي عيناه بعينيها، أن يرى بهما نظرةً يخشى مذ التقى دربه بدروبها أن يراها.

دق باب غرفة السيدة ودخل، وجد الطبيب وبجواره المريضة وأمامه تقف غزل تتلقى منه بعض التنبيهات، وعلى الفراش أمه التي لم تلده لا تزال نائمة.

\_السلام عليكم، ماذا حدث أيها الطبيب؟!

استدارت تنظر إليه، بينما تركها الطبيب وسحب كامل من ذراعه لخارج الغرفة وهو يقول: عن إذنكما أنستاي.

قالت المريضة بعد رحيله: السيد رحيم لن يرحمه.

\_عفوًا، ماذا قلت؟

إن السيد رحيم هو طبيب العائلة منذ زمن، وللسيدة مريم أفضل كثيره عليه لذا يخاف عليها كما يخاف على أمه بل وأكثر، سبق وأن حذر السيد كامل من حالتها الصحية وها هي تتعرض لنفس النوبة وفي فترة وجيزة.

أومأت لها في حين شردت بعقلها في ذاك الذي طالعتها بنظرة غريبة عند دخوله، تُفكر بينها وبين نفسها ماذا ستفعل حينما تقف أمامه.

هذه المرة أنقذتها في اللحظة الأخيرة، لقد تعرضت لصدمة قوية أثرت على قلبها لذا أرجوك أبعدها عن أي ضغوطات نفسية.

قالها الطبيب ليومئ له كامل بتفهم، أردف الطبيب:

هذه الفتاة بالداخل، تلك التي تسمى غزل، إنها تهتم بأمر السيدة كثيرًا وأقترح أن تبقى برفقتها قليلًا حتى تتعافى.

لا أزداع لهذا فالمرضة..

قاطعها الطبيب قائلاً بغضب:

مُهْملة، الممرضة مهملة، كما أن غزل هي من أسرع بمناداة الحرس فور إغماء السيدة وأنت تعلم أن الدقيقة تفرق في مثل

هذه الحالات، أأخبرك أين كانت الممرضة وقتها، كانت نائمة بكل بساطة.

تنهد كامل، آخر ما ينقصه حقاً أن تظل غزل بالمنزل فترة أطول.



\_إنها لا تزال نائمة.

قالتها غزل وهي تُغلق باب الغرفة بحرص بعد أن خرجت، رحل الطبيب وذهبت الممرضة خلفه حتى تأتي بباقي الدواء، ها هي تقف أمامه في الرواق الطويل الفاصل بين الغرف، تشعر باضطرابه الشديد، لذا قررت أن ترحمه من هذا كله.

قالت: لا تقلق، ستكون بخير.

نظر لها، وجد نظرة حزينة تحتل عينيها بوضوح، عليه الاعتراف أنه توقع كل شيء إلا هذه النظرة.

تنهد يقول: ما بكِ؟

\_ماذا؟

\_نظراتك تبدو حزينة.

\_حقاً تسأل، لِمَ لم تخبرني بالأمر؟

\_أوه، غزل، أنا..

\_ لقد كنت تعلم كل هذه المدة أنني أعمل عند والدتك ومع هذا لم تقل.

تفاجأ، أهذا ما تقصده؟

أمن المعقول أن السيدة مريم لم تبح لها بكفالتها له؟  
قال: أنا لم أكن أعلم.

\_ أنت تكذب عليّ، بالتأكيد ذكرت السيدة مريم اسمي أمامك وبالطبع تأكدت بعدها من هويتي عن طريق فاتن.  
بل ربما تكون أنت من دفعها منذ البداية حتى توظفني هنا .  
\_ تبدين واثقة للغاية.

\_ لقد كشفت نفسك عندما حرصت على ألا أحضر الخطبة، هذا هو الشيء الوحيد الذي يؤكد لي علمك بعلمي هنا.  
تنهد، لم يحسب حسابًا لحوارٍ كهذا أبدًا.

طالعته هي بنظرات حانية، هي فضولية نعم، تُجيد حشر أنفها في أمور لا تعنيها كثيرًا، لكنها -أبدًا- لن تسمح لنفسها أن تجرح كبرياء شخص أحبته.

ستحتفظ بسره هذا في صندوق ثم ترمي به في البحر، لن تذكره في حضرته طالما لم يفعل هو، ستنتظره، وستنتظر قلبه الخائف أن يطمئن، أن يعرف أنها أول الأشخاص إحساسًا به وبأوجاع

قلبه، سيأتي إليها بقدميه اللتين تعبتا من حمل هذا الجمل الكبير وحدهما ويُخبرها بكل شيء، وهي ستنتظر... حتى لو دام انتظارها لآخر العمر!

قال: حسنًا، نعم علمت أنك تعملين هنا، لكن أقسم لك أنني علمت قبل خطبتي بيوم ولم أخطط مع فاتن أبدًا لكي تعلمي هذا العمل.

\_ولماذا حرصت على ألا احضر الخطبة؟

سكت، ولكن نظراته تكلمت بما لا يمكن البوح به. يُقسم في قرارة نفسه أنه لم يكن خوفًا من كشفها لحقيقته فقط، بل كان قلقًا عليها هي، يعلم أنها تُبادله الحب، ويُدرك أن أصعب إحساس يُمكن أن يشعر به الإنسان هو أن يرى حبيبته يذهب لغيره!

تنهد بعمق، يود التأكد منها فقط إن كانت قد علمت أي شيء عنه، لكن بالتأكيد لو كانت فعلت لكان هذا أول ما تحدثت به، أليس كذلك؟

\_تفضلي اجلسي.

قالها لها وهما يذُخلان صالة الاستقبال الواسعة، جلست على كرسي قبالته بينما طلب من الخادم كوب شاي وفنجان قهوة.

\_أريدُ أن أعرفَ منكِ ما حدثَ بالتحديدِ.  
ابتلعت ريقها، ها هي مُضطرة لاختلاق كذبةٍ أُخرى حتى لا تذكر  
أمامه ما سمِعته من عُلا .

قالت: لقد جاءت الآنسة عُلا للزيارة وجلستُ برفقة السيدة  
قليلاً.

\_حقًا، هل هي السببُ إذًا؟  
أسرعت تردّد: لا ليس هيا، كنتُ أخضِرُ القهوةَ لها لذا لم أتمكن من  
سماع حوارهما لكن السيدة كانت بخير حتى رحيلها.

\_إذًا ما الذي حدث؟  
كادت أن تُخبره بأمرِ المُكالمة الهاتفية، لكنّها امتنعت فجأةً عندما  
أضاءت فكرةٌ داخلَ عقلها..

فكما لكامل أسرار لم تعلمها بعد، فإنّه يبدو أنّ السيدة مريم  
حقيقية أسرارٍ مُتنقلة، لذا لا تجد أي داعٍ للبوح بأشياءٍ قد تُعقد  
خيوط السيدة مع خيوط كامل أكثر من ذلك، على الأقل حتى  
تنتهي هي من فضّ التشابك الحادث بينهما حتى الآن.

قالت: لا أدري، لكنها قبل أن تشرب القهوة أُغمى عليها.  
تهند كامل قلغًا، لتقول بويّد: لا تقلق عليها، إنها امرأة قوية  
وستنجو بإذن الله.



نظر لها، سُرعان ما تذكر كلماتها عن المرأة التي تُجالسها، تلك الكلمات التي قالتها في حفل خطبة صفاء وحسان.  
قال: إنها المرأة المغرورة إذًا؟

فهمتُ إلام يرمي؛ فضحكتُ وهي تقول: سوف تحتفظ بهذا السر الصغير من أجلي أليس كذلك؟  
ابتسم لها وقال: سأفعل، إن كُنتِ فتاةً مُطبعة ولبيتي لي رجائي.  
\_ لا أحب الوعودَ المشروطة.  
\_ أنتِ في موقفٍ لا تملكين فيه حُبًا ولا كُرهًا.  
\_ حسنًا حسنًا أيها الشرير.

استمتعت وهي ترى ضحكاته، تنهد قلبها مُرتاحًا، لم يُعجبها أبدًا هيئته المهزومة عندما دخل المنزل، شعرت أنّ الحُزن يأخذه تحت ذراعه ويسير به حينها، الآن تستطيع رؤية الفراشات تُحلّق في مقلتيه.

الإنسان فعلاً سجين مخاوفه!.

\_ طلب إليّ الطبيب أن أجعلك تُرافقين السيدة مريم مُرافقة دائمة؛ فهل توافقين على الانتقال للسكن هنا ولو بصفةٍ مُؤقتة حتى تتحسن حالتها؟  
ابتلعت ريقها برهبة.

لقد تركت له الدار قبلاً هرباً منه ومن قلبها، الآن يطلب منها أن تمكث في عُقر داره.

عليها أن تعترف أنّ هذا سيساعدها كثيراً في إجابة التساؤلات التي تتراقص في جوفها منذ الصباح، لكنها تخشاه كثيراً، لقد كانت المقاومة صعبةً فيما مضى وهي التي كانت تُدرك وقتها مقدار الهوة التي تفصل بينهما.

والآن بعد أن أدركت الحقيقة ستكون المقاومة مُستحيلة.

\_ ما ردك؟

\_ لقد فاجأتني، كما أن الأمر لا يرجع لي وحدي.

\_ سأعطيك اليوم فرصةً للتفكير والحصول على موافقة والدتك، إن وافقتي فأرجو أن تُهاتفيني مساءً حتى أطلب من الخدم تجهيز غرفةً لك.

أومأت له في حين أحضر الخادم المشروبات، ارتشف كل منهما مشروبه وهو يطالع الآخر.

شعرت غزل بالهمة الثقيلة الملقاة على عاتقها تجاهه، والتي لا يعلم هو عنها شيئاً، وستكون أحرص الناس ألا يعلم أي شيء وألا يتألم قلبه قبل أن تكشف هي كل الخيوط المبهمة، والتي تستمر بالتشابك حوله.

(18)

☆ في عُقر دارِه ☆

"أبدو أمام نفسي الآن كقطعة فضولية، سرقت لفة الصوف من صاحبته وراحت تلعب بها تكتشف ماهيتها، حتى التف الصوف حولها وعجزت هي عن الإفلات منه وراحت تموء طلباً للمساعدة، لكنني لا أملك أن أموء مثلها، لا أملك حتى أن أتنفس فأكشف بتنفيسي هذا الخيوط التي تشابكت حولي.

كامل هو ابن السيدة مريم بالكفالة، مفاجأة لا تزال تشق صدري كلما تذكرتها.

أمه الحقيقية لا تزال على قيد الحياة، وهو لا يعلم، مفاجأة أخرى قادرة على خلع قلبي من محله إشفاقاً عليه.

السيدة مريم تعلم أن أمه حية ومع ذلك لم تُخبره، حسناً هنا تقع صدمتي الكبرى بها لكنني لن أسيء الظن وسأرحم ضعفها وأرجئ حكمي عليها للنهاية.

وعلاً، إنها تُهدد السيدة مريم بكل شرٍ وخبت أن تشي بها وبسرّها عند كامل، في موقفٍ آخر كنت لأقول أن دافعها حُبها الكبير لكامل، وإنه ليعز على قلبي قول ذلك، ولكن لم أشعر بذرة حبٍ واحدة تتحرك في عينيها تجاهه.

وبمعرفتي بأنه ابن بالكفالة؛ فأنا كلي يقين أن لخطبتها منه مآرب أخرى.

أترين يا مُذكراتي فيما أوقعت نفسي من عذاب؟  
أُعطيك أكبر مُفاجأتي.

أنا أكتبُ هذا الكلام ريثما تصلُ سيارة من قصر كامل حتى تقلني  
أنا وأغراضي إليه، سأملكُ عنده لفترة حتى أعتني بأمه.  
لم أخبر السيدة هناء أن كامل هو صاحب القصر، لو فعلت  
لنعتني عن الذهاب بالتأكيد، ستغفر لي إخفائي للحقيقة هي  
الأخرى عندما تفهم مسوغاتي.  
ما بالي صرتُ أخفي أكثر مما أظهر هذه الأيام؟!"



\_تفضلي بالدخول، أتمنى أن تُعجبك الغرفة.  
قالتها الخادمة وهي تُفسح المجال لغزل للعبور، خطت بأقدامها  
للداخل وكأنها أميرة تخطو خطواتها الأولى بغُرفتها الخاصة  
داخل قصر أميرها، وحاشا لله لم يكن هذا ما تفكر به، لكنها  
الغرفة الساحرة ذات التصميم العتيق الذي تعشقه هي من  
نقلَ لها هذا الشعور.  
\_سلمت يُمنالكِ، مع أني لا أعرف كيف سأملكُ بهذه الغرفة  
الشاسعة وحدي.  
\_كانت تنبيهات السيد كامل أن تأخذي أفخم غرفة بالقصر.

ابتسمت بدفء، إنه يُصر على تركِ بعض التفاصيل التي لا تُنسى دائماً.

أحسب أنها لن تلاحظ تلك الجدارية المعلقة والتي تحتوي على فتاة تحملُ سلةً يتدلى منها فروع نعناع؟

انتهت من فض حقائبها وترتيب أمورها، وخرّصت بالطبع على إخفاء دفتر مذكراتها جيداً رغم يقينها أنه لن يخطو بقدميه لهذه الغرفة حتى رحيلها، تعرفه وتعرف أخلاقه، ولكن الحرص واجب. فتحت باب الشرفة المُلحقة بالغرفة حتى تدخل أشعة الشمس إليها، تفاجأت بإصيصٍ ضخم في أرضها، ولا حاجة لذكر أن ما كان يتدلى منه هو النعناع.

ضحكت كثيراً عليه وعلى فعلته، ودت لو تُحدثه الآن لكنه في عمله ولا تود تعطيله.

رن هاتفها فالتقطته، يا إلهي إنه هو.

\_هل كنت جاداً عندما ناديتني ب "آنسة نعناع"؟

ضحك قائلاً: إذا أنتِ بالغرفة؟

\_نعم، ورأيت الجدارية والإصيص

\_يا لشدة ملاحظتك.

\_أتعلم، سأنتظرك بالشرفة حتى تصل وأسقط هذا الإصيص  
على رأسك.

تعالَت أصوات ضحكاته ليلتقطها قلبها ويُخبثها بين أوردته  
بحرص، قال بعد أن هدأ:

\_هذا جزاءٌ من يفعل خيرًا هذه الأيام، هل أعجبتكِ الغرفة؟

\_نعم كثيرًا، شكرًا لك، مع أنني لن أجلس بها سوى وقت النوم

\_حسنًا إذًا، سأترككِ الآن وأنت انتبهي جيدًا للسيدة مريم.

أنهت المكالمة مُبتسمة ثم اتجهت لغرفة السيدة.

\_صباح الخير غاليقي.

قالتها ودخلت، كانتُ تجلس على فراشها وأمامها صينية

الإفطار، رفعتها غزل على الطاولة وهي تقول:

\_ لقد وصلتُ بالوقتِ المناسبِ لأُعطيكِ الدواء.

\_أنا بخيرٌ يا غزل ولا حاجة لي بهذا الدواء.

\_إن لم تأخذه سيطردي ابنك الغالي من العمل.

ابتسمت السيدة والتقطت الدواء من يدها وتناولته على

امتعاض.

جلست غزل على الكرسي المجاور للفراش ونظرت إليها مبتسمة،

هذه السيدة لا تتحمل أي صدمة ويجب أن تتوخى الحذر في

تعاملها معها، فهي لن تُسامح نفسها أبدًا إن حدث لها أي مكروه.

\_التقيت بكامل إذا؟

أومأت غزل بنعم وهي تقول:

\_ كان ذلك البارحة عندما استدعيته فور إغمائك، لم أكن أعلم أن الطبيب يقيم قريبًا من هنا وأنه سيصل قبله.

\_ أنا شاكرةٌ لقلبك الطيب هذا.

\_ إنه واجبي، كما أنني يجب أن أخبرك أنني سأمكثُ معك اليوم بطوله.

\_ حقًا؟

أومأت غزل بنعم مُبتسمة وهي تردّ: إنها تعليمات السيد كامل. إنه لا يكف عن قلقه.

\_ بل إنه يُحبك كثيرًا.

نظرت إليها السيدة بلهفة، وكأنها تنتظر أن تسمع منها هذه الكلمة، سألت بشك: حقًا، هل ذكر ذلك أمامك؟

\_ الحب ليس دومًا مقرونًا بكلمة مُجرّدة إن قيلت ثَبَّت وجوده، قد يتشكل الحب أحيانًا من عدة مواقف وأفعال، وأحيانًا أخرى قد يُختزل في نظرة واحدة.



تنهدت السيدة وهي تقول: إن غايقي في الحياة أن أرى تلك  
النظرة في عينيه.  
\_أنا رأيتها.

نظرت إليها السيدة مريم، لتسارع غزل بقول: أقصد رأيتها  
تجاهك.

\_أفهم أفهم، على أية حال هو لا يعرفك بعد صحيح.  
\_احم، بخصوص هذه النقطة، إنه يعرفني تمام المعرفة، لذا لي  
عندك رجاء.

استغربت السيدة مريم وهي تسأل: ماذا؟  
ابتلعت غزل ريقها وهي تقول:

\_السيد كامل بالنسبة لي كان مُديري في دار العائلة والتي التزمت  
بالعمل بها مُعلمة أطفال لمدة عامٍ كامل، إنني أُكّن له كلّ احترام،  
وهو يُكّن سرّه الغالي بعيدًا عن يديّ أي عاملٍ بالدار، وله كل  
الحق في ذلك، لن أستطيع أن أصف لك كيف التقى بي هُنا  
البارحة وكيف كانت نظراته مُتخوفة من لقاء نظراتي.

قاطعتها السيدة: ألم يكن يعلم بعملك هنا؟  
\_مُطلقًا، عَلم فقط قبل خطبته.

أخذت السيدة نفس عميق وهي تتفرس غزل..

نعم، الآن تذكرت بعض الأمور المهمة..  
تذكرت وجه غزل يوم ذَكَرْتُ اسم كامل في حضرتها وكيف تَبَدَّل،  
وتذكرت كلامها حينها.

حتى أنها تتذكرُ كامل حين أخبرته عن صنع القهوة.  
بدأت الصورة تتضح في ذهنها؛ وبدأت تُدرك أنها في حضرة  
عاشقين كبَّل الحُب قلبيهما سويًا.

\_وما رجاؤك؟

\_أنا لم أفصح له عن علمي بأمره، وكأنك لم تتحدثي به معي  
مُطلقًا، وبالتأكيد سيُقدر لك هذا الأمر، لذا أود لو تسمح لي أن  
تتعاملني كأنني فعلاً لا أعلم.

ابتسمت السيدة وسألتها: لِمَ لم تُخبريه؟

\_لو كنتِ رأيته البارحة لما كنتِ سألتِ هذا السؤال.

\_تخافين على مشاعره؟

شعرت بالخجل، تدرج وجهها بالحمرة رغماً عنها، قالت بهدوء:

\_ إنه يستحق أن يخاف الكون بأجمعه على مشاعره.

\_ غريب، يبدو أنه لا يزال في نفس المكانة عندك، والتي ذكرتها

سابقًا.

الآن تمنى لو يفتح ثقب في الجدار ويبتلعها من شدة الخجل،  
يا لغبائها، ألم تذكر قبلاً في حضرة هذه السيدة ذات الذاكرة التي  
لا تناسب عمرها أن كاملها أعز إنسانٍ لديها؟  
أخفضت غزل وجهها خجلة، لتبتسم السيدة وهي تقول:  
تخجلين؟

\_ ارحمي موقفي الذي دفعني به طول لساني.  
ضحكت السيدة وهي تشعر بالتسلية..  
وأخيراً وجدت أمرًا ممتعًا يُنسيها تهديدات علا لها.  
ويُنسيها تلك المكالمة التي تلقتها والتي كانت القشة التي قسمت  
ظهر البعير وقتها.  
\_ حسناً ياغزل، أنا بالفعل أقدر موقفك أنت وقلبك الذي لا  
يستحق الأم هو الآخر.  
قالتها وكانت تشير إلى خُطبة كامل من علا، أكملت قائلة: وأنا  
مثلك بل أشد حُرصاً على مشاعر ابني، خاصة امامك.  
لم تفهم غزل كلامها، أو لعلا فهمته لكنها تُنكره..  
قضت معها اليوم بطوله، لم تغادر السيدة فراشها بأمر من  
الطبيب وبالتالي لم تغادر غزل غرفتها.  
\_ السلام عليكم، كيف حال سيدة القصر اليوم؟

قالها كامل وهو يدخل الغرفة بعد أن دق بابها، يحمل بين يديه باقة ورودٍ جميلة، قدمها للسيدة مريم و وقف بجوار غزل التي وقفت عن كرسيها فور دخوله.

ابتسمت السيدة وهي تُطالعهما يقفان بجوار بعضهما، شعرت بالدفء يُحلق حولهما، وأن الصورة مُكتملةً هكذا ولا ينقصها شيء.

كيف تجرأ على قلبه وأجرم في حقه هذا الجرم الكبير، كيف تكون راحته بين يديه ثم يذهب ويُلقي بنفسه بين أحضان الشقاء؟  
\_لقد أمضينا وقتاً ممتعاً اليوم سيد كامل وحرصتُ على إعطائها الدواء في وقته.

نظر لها وهي تتكلم بعفوية كعادتها، هل يجوز له أن يُخبرها أنه عاد مُبكراً من العمل لمجرد علمه أنه سيلتقيها هنا؟ أنه فجأةً بات يعشق المنزل الذي صار يحتضنها بين جدرانها، والتي طالما خنقته ببرودتها اللاسعة، وكيف يُخبرها عن الدفء في قلبه مُذ وقف بجوارها هنا؟

إنها تجعل قلبه المسكين يتساءل عن شعوره إذا وقعت أسيرة أحضانه!.

ابتسم قائلاً: هذا جيد، أتمنى أن تتعافي بسرعة سيدة مريم.

أومأت له مبتسمة وهي تقول: طالما أنت بخير فأنا بألف خير.  
ابتسمت غزل، هذه السيدة من المُستحيل أن تضمّر الشر تجاه  
كامل، بالتأكيد لديها سببٌ قوي لإخفاء أمر أمه عنه.



\_ أخبرني إذًا كيف تقضي وقتك في هذا القصر الكبير؟  
قالتها غزل وهي تسير بجوار كامل في الرواق الفاصل بين  
الغرف، نامت السيدة كعادة من هُم في مثل سنّها، يحبون  
اختلاس بضع ساعاتٍ من النهار ينامون فيها هارين من ملل  
اليوم ذو الرتم البطيء.

\_ انظري هذه غرفتي.  
قالها وهو يُشير إلى غرفةٍ قريبة بعض الشيء من غرفتها.  
أكمل: أقضي معظم وقتي بها عند عودتي، لكنني في العادة لا  
أعود بهذا الوقت.

\_ أعرف، أنسيت أنني كنت أعمل معك عامًا كاملًا؟  
نزلا السلام المؤدية إلى الصالة الرئيسية، تكلمت غزل: لكن البقاء  
في الغرفة ليس الخيار الأفضل هنا.  
\_ حقًا، وماذا برأيك أفضل؟.

راقبني وسترى، لن تستطيعوا السيطرة عليّ وربما تهمون  
بطردي أيضاً.

قالتها وسبقته تركض على السلم، تباطأت خطواته حتى توقف  
تماماً وانشغل بمراقبتها، ثوبها الطويل يتطاير حولها عله يحاول  
أن يضاهاى روحها الحرة، يكاد يُجزم أنها لا تلامس الأرض  
بقدميها.

إن روحها بالفعل تمتلك جناحان، أما هو فجناحه مكسور..  
أتى له أن يخلق مثلها؟!.

تبعها إلى حيث ذهبت، لا بأس أن يتعلم منها التحليق حتى لو  
كان قد قُدّر له أن يكمل باقي عمره في مستنقع.  
وقفت بين حقول الأقحوان تفرد ذراعاها مُغمضة العينين،  
أخذت نفساً عميقاً وهي تقول:

\_ بالله أخبرني كيف تملك مقاومة كل هذا الجمال؟

اقترب منها، من أخبرها أنه يستطيع مقاومته؟

إنه يكاد أن يقتلع قلبه من محله ويزج به في صندوقٍ ويخفيه  
عَلَّه حينها يتمكن من الابتعاد عنها.

أي ابتعادٍ وهو قد خرج من القصر وتبعها إلي الحديقة؟

\_ أتحبين الأقحوان؟

\_أعشقه، هيئته وحدها قادرة على تطيب الروح.  
\_السيدة مريم هي من أمرت بزراعة هذا النوع دوناً عن غيره.  
استدارت إليه بعد أن أخفضت ذراعاها، رفعت وجهها إليه  
وقالت بنظرة غامضة: لِمَ تُناديها دوماً باسم سيدة مريم، لم  
ليس أمي؟  
توترت أمام نظراتها، أسرع يبحث عن طرف كذبة فقال : إنه من  
باب الاحترام والتوقير فحسب، كما أعتقد أنني كبرت قليلاً على  
كلمة "ماما" .  
\_لا أحد يكبر عليها حتى لو بلغ من العمر أزدله، كما أنك لا تزال  
صغيرًا.  
\_ستُ وثلاثون عامًا ولا أزال صغيرًا، لقد بدأ الشيب يعرف  
طريقه إلى شعر رأسي.  
أشارت بإصبعها الدقيق إلى موضع قلبه حتى أنها لامسته دون  
قصد وهي تقول:  
\_الشيب الحقيقي يبدأ من هنا، إنه المعيار الوحيد للشباب  
وليس لون شعرك.

ابتسم بسخرية، ودّ لو يخبرها أن قلبه يتخبط في الشيب منذ  
وُلِد، وأنه لم يعرف الشباب إلا حين لامسه إصبعها الصغير. وكأنه  
عصاً سحرية تُعيد إليه ما سلب منه.





(١٩)

☆ وما خفيّ كان أعظم! ☆

"اليومُ الأولُ لي في قصره، وفي غرفةٍ مُريحةٍ لا تُخبئُ لي بين جدرانها ذكرياتٍ تخطفُ النومَ من عيني، لكن ذلك لا يعني أنني أستطيع النوم وهو يجلس هُنالك في غرفةٍ قريبةٍ مني، لا أنا لا أخافه، تيقنت من هذا منذ مدة، لم أعد أخاف قربه كما كنت مسبقًا، يبدو أنني أتعافى على يديه، ولكني أخافني أنا، أن تضعف مقاومتي، إن بي رغبةً مجنونةً لضمه بين ذراعي، لنفض غبار الألم عن رفوف قلبه، لإعادة ترتيب روحه المُنهكة، و وضع قُبلة على كل خلية تتألم به، قلت مسبقًا أنني أرغب في سبر أغواره وكشف أسراره صحيح، لم أكن أتوقع أبدًا أن تكون جراحه غائرة هكذا.. ما كنت أتوقع أنها كجراحي أنا!..."



نهضت غزل صباحًا بعد أن نامت ملئ عينيها، مُنذ مدة طويلة لم تحظ بنومٍ مُنتظمٍ خالٍ من الكوابيس المزعجة، دخلت الحمام المُرفق بغرفتها واغتسلت ثم وقفت أمام مرآتها تُصفف شعرها، لقد تعمدت الاستيقاظ مبكرًا حتى يتسنى لها الاستعداد على مهل قبل نهوض السيدة. تفاجأت بعدة دقائق على الباب ثم سمعت صوتًا أثويًا يقول: إنها أنا صفية.

تنهدت عندما وجدتها الخادمة، قالت: ادخلي.  
دخلت صفية تتأهب الكلام لكنها سكتت عندما رأت هيئة غزل.  
\_ ما شاء الله، ما كل هذا الجمال الذي تُخفيه يا آنسة.  
ضحكت غزل بينما انتهت من تصفيف شعرها وعقدته في ذيل  
حصان طويل وهي تقول: تقصدين الحجاب؟  
نحن لا نرتدي الحجاب كي نكون أجمل، بل نرتديه حتى نُخفي  
جمالنا لمن يستحق رؤيته.  
\_ لقد حظيت بجمال الخلق والخلق فهنيئاً لك.  
\_ هل جئت للتغزل بي يا فتاه؟  
\_ أوه لقد نسيت، السيد كامل يسألك أن تنضمي إليه على  
مائدة الفطور.  
خفق قلبها بخفقةٍ باتت مرهونة بذكر اسمه، قالت مستغربة:  
\_ هل استيقظ؟  
\_ نعم، لديه عادة الاستيقاظ مع العصافير وإيقاظنا معه.  
ضحكت غزل على هذه الفتاه الشابة وارتدت حجابها على  
عجل وهي تقول: إذًا هيا بنا.



\_ صباح الخير أيها العصفور الكبير.

قالتها غزل وهي تدخل غرفة الطعام بوجه مُشرقٍ كالشمس،  
يكاد يظن أن شروق الشمس مرهونًا باستيقاظها.  
\_ كل صباحٍ يبدأ بوجهك هو صباح الخير.  
تنحنت في خجل في حين سحبت الكرسي المقابل لكرسيه  
وجلست قائلة: سمعت أنك تريد رفقة على فطورك فترفعت  
وتنازلت و قبلتُ أن أكون الضحية.  
ضحك على كلامها ليُكمل انهيار قلبها، إنها تقتنص لحظات  
السعادة معه، وتكاد تجزم أن هذه اللحظة أسعدها.  
إنها لحظةٌ دافئة بطعم البيوت، تنهض فيها صباحًا على وجهه  
المُبهرج، تستقبل أولى ساعات يومها برفته، تُشاركه الفطور و عيناه  
تتأرجحان بين اليقظة والنعاس، أشياءٌ رغم بساطتها إلا أنها  
لامست قلبها وبقوة.  
هذا لأنها وببساطة حُرمت منها عُمراً، لذا يحق لها الآن أن  
تستقبل تعويض القدر لها وأن تغترف من الدفء ما يكفي قلبها  
المُرتعش بردًا.



\_ سُررت برؤيتك فاتن.

قالتها غزل وهي تحتضن فاتن في صالة الاستقبال بعد أن علمت من صفية أنها جاءت لتطمئن على السيدة مريم، كان ذلك بعد رحيل كامل لعمله بساعتين على الأقل.

\_ ما أخبار السيدة؟ وما أخبارك أنت؟

\_ إنها بخير الحمد لله، تناولت فطورها منذ لحظات وتركتها تتلو القرآن وجئت لاستقبالك.

صعدت معها فاتن لغرفتها وناولتها باقة الورد التي جاءت بها، جلست معها لبعض الوقت تحادثها وتضحكها حتى شعرت بمضي الوقت لتنهض قائلة: سرقني الوقت دون أن أشعر، سأعود الآن إلى الدار، وأتمنى أن أراكِ دومًا في أفضل حال سيدتي.

\_ رافقتك السلامة يا ابنتي الغالية، الله وحده يعلم أن رؤيتك أثلجت قلبي وخففت عنه مُصابه.

خرجت فاتن من الغرفة لتلحق بها غزل مسرعة، نادتها قائلة:

\_ فاتن، انتظري.

استدارت لها وقالت: ما الأمر؟

جذبتها غزل من يدها وسارت بها نحو غرفتها وهي تقول: أريدك في حديثٍ هام.



\_ هل كنتِ تعرفين بأمر كامل يا فاتن؟  
قالتها غزل وهي تجلس قبالتها داخل الغرفة، ابتسمت فاتن  
بهدهوء وقالت: ماذا بالتحديد؟  
\_ أنه ابن السيدة مريم بالكفالة؟  
\_ لقد علمتِ إذًا؟  
\_ نعم، لكنه لا يعرف بذلك بعد.  
\_ وما الذي يجعلك تعتقدين أنني كنت أعلم؟  
\_ هدهوءك هذا أكبر دليل، كما أن علاقتكما سويًا كانت دومًا مثار  
شك.

ابتسمت فاتن وهي تقول: مثار شك، أم غيرة؟  
خجلت غزل لكنها قالت: لا تتهربي مني.  
\_ لو كنت أود التهرب أو إخفاء الحقيقة عنك ما كنت جئت بكِ  
إلى هنا، نعم أعلم بقصة الكفالة يا غزل، وكيف لا أعلم وأنا كنت  
معه في ذات الدار؟  
نهضت غزل من وقع الصدمة عليها، ما بال أسرار الجميع تُصر  
على التكشف أمامها تباغًا هكذا؟!..  
\_ ماذا تقولين؟

\_ لا تتفاجئي، أنا لا أزعجك في ذلك كما يفعل كامل، حاولت معه كثيرًا أن يدفن ماضيه ويعيش حاضره لكنه يُصر على أن يكون أسير آلامه.

\_ أنا... أنا فقط مصدومة وعقلي يعجز عن تقبل هذه الحقائق، لكن ذلك لا يعني أنني أقل منك أو منه.

ابتسمت فاتن بصفاء وهي ترد: أعلم أنك آخر شخص قد يقلل من نشأتنا؛ ليس لخلقك الطيب وحسب لكن، سكتت قليلاً ثم أكملت: كيف تُقللين من قدر أشخاص نشأوا نفس نشأتك؟ ابتلعت ريقها الذي سرعان ما جف، قالت بتوتر:

\_ لقد علمت بأمري إذًا.

\_ نعم، تفحصت ملفك وأجريتُ بعض الاتصالات بشأنك عندما قبلتُ كامل توظيفك، وقتها علمتُ أنك ذات قصة مُعقدة بعض الشيء والتي انتهت بك لسكنى دار أيتام حتى تخرجك.

\_ بلي، كنتُ أستغرب عدم كشف أمري كل هذه المدة على أية حال.

\_ لا تقلقي، هذه المعلومة لم تتعدى حدود عقلي ولم ينطق بها لساني قط سوى الآن؛ كامل لا يعلم.

\_ يا الهي ما هذا التعقيد؟

\_التعقيد ينبع منكما، كل منكما ينظر لماضيه على أنه وصمة عار  
قادرة على إبعاد من يحبه عنه.

\_أنت لا تعلمين سوى قشور هذا الماضي اللعين.

\_وأنتِ أيضًا لا تعلمين سوى قشور ماضي كامل، وما خفي كان  
أعظم!.

ارتمت غزل بجسدها على الكرسي، هي تشعر بذلك، تشعر أنها  
لم تعلم سوى النذر القليل، لكنه كافٍ لإشعارها بمقدار آله،  
خاصةً تجاهها.

إنها تود لو تتعري بحقيقتها أمامه، أن تمنحه بعض الشجاعة  
للبوح، والبعض الآخر للتقبل، لكنها في الوقت ذاته تخاف أن  
تُقبل على هذه الخطوة، تخاف أن تُجبره إن فعلتها أن يُعري  
حقيقته هو الآخر أمامها دونَ رغبةٍ منه أو كرد فعلٍ طبيعي لما  
أفدّمت هي عليه بدايةً، وهي لا تود أن يحدث الأمر بهذه  
الطريقة، توده أن يفعلها عن طيب خاطرٍ وكامل اقتناع بأنّ ما  
فات قد فات وبأنها ستتقبله على أي حال كان، تُدرك أنه لن  
يتعافى إلا هكذا....

وتُدرك أن تعافيه ليس قريبًا!.

سألت فاتن:



لِمَ لم تخبريه أنك علمت؟  
خفت أن أجرحه، يكفيه ما به من جراح.  
هذا هُراء، على أحدكما أن يبادر بخطوة.  
لن يلتقي الساكنان أبدًا، على أحدهما التحرك.  
اتركيها للأيام يافاتن، هي كفيلة بكل شيء.



الأيام، ياللأيام وسرعة مرورها!..  
مرّ أسبوعٌ مذ انتقلت غزل لقصره، لا تتوانى أبدًا في خدمة  
السيدة مريم، حتى أنها باتت تقوم بدور الممرضة أغلب الوقت.  
جاءت علا للزيارة في اليوم الرابع لتعب المرأة، وهذه المرّة حرصت  
غزل ألا تُغادر الغرفة قط، حرصًا منها على عدم إعطائها فرصة  
لتهديدها مرة أخرى.  
أما بالنسبة إلى كامل، تشعر به يتغير تدريجيًا، هناك شيءٌ ما  
يتسرب من يديه دون أن يشعر؛ شيءٌ كقلبه مثلًا!..  
باتت تتناول معه الثلاث وجبات يوميًا، حتى إذا تأخر في بعض  
الأحيان إثر ذهابه للاضطلاع بأعمال أبيه فإنها تنتظره.  
يبدو أن الشيء الذي يتسرب منه يتسرب منها هي الأخرى دون  
أن تدري!!

دخلت شرفة غرفتها مساءً بعد أن خلدت السيدة للنوم، بيدها كوب شاي ساخن أضافت إليه بعض الوريقات الطازجة من إصيص النعناع خاصتها، وقفت تُطالع السماء ذات القمر الوحيد وتبتسم، تتذكره اليوم عند الغداء عندما أوصل إليها رسالةً من مالك، تناولتها سعيدة بينما كان الشرر يتطايرُ من عينيه دون أن يدري.

وقتها قالت: هذا الصغير ذو قلبٍ مُرهف.

رد بغضب: بل إنه ذو قلبٍ مُنحرف.

طالعه مستغربة وسألته: ماذا فعل؟

تردد قبل أن يرد، لكنه عاد وقال: طلب مني أن أوصلك شيئاً مع الرسالة.

سألت ببراءة: ما هو؟

تنحج ثم أجاب: قُبلةً!

تتذكر جيداً ضحكاته عليها عندما غادرته ركضاً من شدة خجلها، شعرت بوجنتيها تحترقان من جديد إثر ذكراها.

حسنًا بالنهاية كامل غير أمين ولم يوصل الرسالة كاملةً!

رأته يجلس في شُرفته، يفصل بينهما غرفتان، والشرفات تتخذ الشكل الدائري قليلاً لذا تلمحه بوضوح.

أشارت له بيدها قائلة: لِمَ لم تنم؟  
قال: لا أسمعك.  
صاحت بصوت أعلى: أسألك لِمَ لم تنم..  
\_ لست نعيًا بعد، أتزلين للحديقة؟  
في موقفٍ آخر، مع رجلٍ آخر، كانت لتعترض بل وتصفه بالجنون  
أيضًا، الوقت ليلاً والحديقة خاوية حتى من الخدم، طلبه لا  
يفعله إلا العاشقون.  
وهي عاشقةٌ له لذا لم تمنع!.  
\_ ستقضين على محصول البلد من النعناع ذات يوم.  
\_ ألهدا وضعت الإصيص بشرفتي؟  
ناولته كُوبًا أحضرته له وجلست على الأرض الرطبة، لم يجد مفراً  
من رغبته الجامحة في الجلوس بجوارها؛ فجلس.  
\_ لا أحب الشاي أبدًا.  
\_ أنا أعددته، لذا من المفترض أن تحبه.  
ارتشفه وهو يكتم ضحكاته قائلاً: حاذر؛ فعدوى الغرور تنتقل  
إليك سريعًا.  
ضحكت هي الأخرى، نسيم الليل البارد يُداعب روحها والجو في  
غاية المناسبة للبوح بسرٍ عظيم، لكنها لن تبوح، وهو كذلك!.



\_إِذَا مَاذَا؟

نظر إليها وقال: ماذا؟

\_لم جئنا إلى هنا؟

\_لا أدري، كانت رغبةٌ مُلحة، كما أنني لم أستطع النوم.

\_فيم تُفكر؟

قررت الضغط عليه ولو قليلاً، إته بالفعلٍ ساكنٌ أكثر مما ينبغي،  
تكاد تجزُمُ لو مكثتُ قرناً بهذا القصر لن يتحرك عن مَوْضع

سكوته قيد أنمله، بل ربما تجلس وتُراقبه وهو يتزوج بعُلا  
ويُكمل حياته على ذات النهج دون كلل.

\_بل قولي فيمَ لا أفكر، الأفكار تأكلني وأنا على قيد الحياة.  
\_في الغالب يزدادُ التفكير عندما يكون هُنَاكَ أفعالٌ تُوجب علينا  
فعلها لكننا لا نفعل.

\_لقد عشت عُمري كله وأنا أفكر.

\_ربما هذا يعني أنك عشت عمرك تُحارب أفعالاً موجبة.

تهند وارتشف الشاي ثم رفع بصره يُطالع السماء، قال بحذر:  
\_نعم يا غزل، أنا دومًا أُحارب ألفَ فكرةٍ تُلجُّ عليّ بفعل أمرٍ ما،  
لأنني في المُقابل أجِدُ شعور مقيت يُخبرني أنه لا يجوز لي فعل أي  
شيء بمُطلق حُرِّيتي.

\_لا أفهمك.

\_لكي تفهمي يجب أن تعلمي، وأنا لا أريدك أن تعلمي.

نظرت في عينيه وقالت: لكن لماذا؟

تعمقت نظرات عينيه داخل عينيها وهو يقول بأم:

\_لأنني لا أود خسارتك!.

خفق قلبها أُلَّا عند تلك النقطة، لو لم تكن تعلم عن أمره شيئًا  
لكان انتابها الخجل عند تلك اللحظة، أو علَّها غادرته راکضةً

هرّبًا من قلبها المُتمرد، لكنها الآن تودُّ فقط طمأنته، تودُّ الأمان لهذا القلب الذي يفتقده، تودُّ إخباره أنها مستعدة لتكون مكسبه الوحيد والذي لا يقبل أي خسارة، فقط لو يتيح لها الفرصة لما ترددت أبدًا كما هي الآن.

\_ولمّ، لمّ تعتقد أنك قد تخسرنى؟

\_لأن هذا وقتها سيكون شيئاً طبيعياً.

\_سأخبرك بأمر؛ فليذهب كل من لا يُقدّر حقيقتنا إلى الجحيم.

أنا لا أعرف ما تُخفيه، ولا أنكر أنني أودُّ معرفته من كل قلبي، لكن، إن كان ما يمنعك عن قوله هو خوفك من ردة فعلي، أنا أو أي شخصٍ آخر؛ فأنت مُخطئ، ذاك لأن بعض الأمور وُجدت لغربة الناس في حياتنا، ولا يصح أبدًا أن تحزن على شخصٍ سقط من الغربال.

\_حتى لو كان ذاك الشخص أنت؟

خفق قلبها، إنها تشعر به، رغم كتمانها وكتمانها.

قالت بتوجس: ولكن من أنا؟

\_أنتِ غزل.

\_ومن غزل بالنسبة لكامل؟

لم يستطع الرّدّ، أدار رأسه عنها يُطالع أعشاب الأرض مُتهربًا من سؤالها.

كيف يُخبرها أن غزل هي كامل، وكامل لا يقوى على الحياة بدون غزله؟

\_ تُصبحين على خير.

قالها عندما وصلا باب غرفتها، رَدّت عليه وكادت أن تدخل وتُغلق بابها، أوقفها مناداته لها قائلاً: غزل! استدارت له ليقول: سُكّرًا على وجودك هنا. ابتسمت له، توذّ لو تشكره هو على إتاحة الفرصة لها بالتواجد بجواره دومًا، قالت: إنه واجبي سيد كامل.



عاد لغرفته وتأهب للنوم، لقد تأخر الوقت كثيرًا لكن يبدو أن النعاس على خلافٍ مَعَ مُقلتيه الليلة، جلس على فراشه يتذكر رفقتها الخفيفة على روحه وقلبه، لم يتخيل يومًا أن يلتقي بامرأةٍ تحمل هذا التأثير عليه، ولم يتصور أنه حين يفعل ذلك سيكون هو المُمتنع عن الوصال، هل اتخذ القرار الصحيح؟.. بات يتجنب طرح هذا السؤال على نفسه مؤخرًا لأنه بات يشك في صحة إجابته، نظر لبنصر يُمناه حيث خاتم خطبته، تنهد وهو يشعر

بالاختناق يملأ رثاه، نزع الخاتم ووضعه على المنضدة بجواره ثم  
أراح جسده على الفراش وهو يطالعه.  
لِم لا يكون الأمر بسهولة خلع الخاتم وارتدائه؟

☆☆☆



(٢٠)

☆ المشاعر التي تُصر على أن تفضح صاحبها! ☆

( إذا لم تكن واثقًا من قُدرتك على كبح مشاعرك، إياك أن تقف  
أبدًا في حضرة من تحب )

\_الحمد لله هُنَاكَ تحسُنُ كبيرٌ سيّدة مريم.

قالها الطبيب رحيم وهو ينتهي من فحص السيدة، تقف بجواره الممرضة وقبالته على الجهة الأخرى من الفراش وقفت غزل تُعيد هندمة ثياب مريم بعناية فائقة وهي تحمد الله على مرور الأزمة بخير.

\_متى يُمكنها مُغادرة الفراش دكتور رحيم؟

سألته باهتمام لينظر إليها وتتسع ابتسامته وهو يرد: ليس بعد أنستي، أخاف أن نستعجل هذه الخطوة فتنتكس حالتها والسيدة مريم غالية لديّ ولن أقدر على تضحية كهذه. أومأت له بتفهم في حين راقبته وهو يُعطي الممرضة بعض التعليمات ثم أسماء بعض الأدوية لتتركهم وتُغادر حتى تأمر الخادم بجلبهم من أقرب صيدلية.

وقف رحيم يُطالعها وهي تتحرك بخفية داخل الغرفة، تُحضر المصحف ونظارة القراءة وتناولهما للسيدة مبتسمة، لا يُنكر أنه لاحظها منذ الزيارة الأولى، بل إنه لا يُنكر أنه طلب من كامل أن ترافق هي دوناً عن غيرها أمه علّ الفرصة تسنح له ويلتقيها مرة أخرى.

\_أود أن أشكرِك يا غزل على إخلاصك في عملي.

نظرت له، ورغم وجود السيدة بينهما إلا أنها كرهت تفردها معه في غرفة واحدة ذات بابٍ مُغلق.

\_العفو أيها الطبيب، ما رأيك في فنجان قهوة ريثما تعود المريضة؟

أوماً لها موافقاً لتقول مسرعة: سأنتظرك في صالة الاستقبال إذاً.

تركته وغادرت زافرة، يبدو أنها تُحاول أن تصرفه بلباقة، أو لعلها وهو الجائز لاحظت نظراته وودّت أن تتحرر منها سريعاً.  
\_هي رحيم.

نادته السيدة بعد أن ختمت وردها اليومي، كان لا يزال يُطالع باب الغرفة الذي غادرته، استدار ينظر لها ومن وجهه علمت أن ما تخشاه قد حدث، لقد جذبته نفس الفراشة التي سبق وأن جذبت ابنها المسكين.

\_إلا غزل يا رحيم، إلا غزل.

\_ما بها غزل، لا أفهمك.

\_لكني أفهمك جيداً، ابتعد عن درب تلك الفتاة بالذات إن كنت لا تودّ خسارتي.

\_أل هذه الدرجة، ألسِ أنتَ من تسأليني كل مُدة ذاك السؤال  
المعهد والمرتب بالاسقرار، ماذا لو أني قد نويت الاستقرار فعلاً؟  
\_ انويه كما تشاء، لكن مع فتاة غيرها.  
\_ أهى مخطوبة؟

\_ ليس بعد، لكني أعلم أن هناك قلبًا قد تعلق بها.  
نهض الطبيب الشاب من مكانه، يكاد يجزم أنه فطن عن أي  
قلب تتحدث، وهذا دفعه لأن يقول بحدة:  
\_ إذًا فليسارع ذاك القلب في اتخاذ خطوته وإلا سبقته بها، عن  
إذنك.



دخل كامل القصر بعد أن أنهى عمله، كان قد رأى سيارة  
الطبيب تصطف بالخارج وهذا أزعج اللعين قلبه؛ فبال تأكيد  
قابلها، بالتأكيد نظر إلى مُعذبتاه الخضراوان، والمجنون وحده من  
ينظر إليهما دون أن يُسحر.  
تفاجأ به يجلس في صالة الاستقبال، قُبالتها، بيده فنجان قهوة  
تمنى من كل قلبه ألا يكون من إعدادها هي، فهذه لعنةٌ أخرى  
برعت هي بها ولا يود أن تصيب أي قلبٍ آخر غير قلبه.  
\_ السلام عليكم ورحمة الله.

ألقي التحية ليردا عليه ويقف الطبيب ليصافحه في اقتضاب،  
جلس كامل على الكرسي المجاور لها وكأنه المكان الوحيد الشاغر  
ليملأه جسده، طالعته بنظرة جانبية ولم تستطع منع شعور  
الأمان الذي بدأ بالتسرب داخل أوردتها فور أن رأته، كيف تبدل  
بها الحال هكذا وعلى يديه؟

كيف تحول بها الشعور بهذه الطريقة، ألم تشعر بجواره بالخوف  
قبلاً، ما بالها اليوم إذًا لا تشعر بالأمان بجوار سواه؟

\_ طمئني على حال السيدة مريم يا رحيم، هل تتحسن؟  
\_ نعم، والفضل بعد الله يرجع لغزل، أستطيع أن أصفها  
للمرضى كدواءٍ بعد الآن.

قالها وضحك، يُطالعها بنظراتٍ يفهمها كامل جيّدًا، شعر بقلبه  
يختنق في حيزه الضيق، أما هي فلم تُحب أبدًا أن تكون محور  
الكلام، خاصةً أمام كامل، نهضت دون أن تُعقب على كلمات أو  
ضحكات الطبيب، قالت باقتضاب لكامل: تبدو مُرهقًا، ساعد  
لك قدحك المفضل.

\_ إنها ثاني مرة تهرب فيها اليوم مُتحمجةً بفنجان قهوة!  
\_ هل تعرف أهلها؟

قالها رحيم وهو يتتبعها بنظراته حين غادرت، أنهى فنجانها و  
وضعه على الطاولة وكامل يحاول أن يُهدئ من أعصابه.

\_بالطبع، لِمَ السؤال؟

\_لديهم ابنة تُجيد صنْع فنجان قهوة يحتضن خلايا الدماغ،  
مثلها لا ينبغي أن يُفوّت.

فلتذهب السيطرة على الأعصاب إلى الجحيم، لن يتحمل  
سماع كلمة أخرى منه بعد ما قاله، لقد وضع حدًا لنفسه  
وانتهى أمره عند ذاك الحد.



\_غزل!!

تفاجأت بصوته الرخيم خلفها في المطبخ، كانت قد أنهت إعداد  
قهوته لتوها وكادت أن تُغادر، استدارت له تطالعه ولعنت  
نفسها حينها لصرفها للخادمة، ولُجالسة ذاك الطبيب المتطفل،  
تعلم أن قدومه إلى هنا بسببه ووجهه لا يبشر بالخير.

\_نعم، سيد كامل.

خطا للداخل مقترّبًا منها، لم يشعر بخطواته ولم يحسبها فقد  
سجل عقله غيابه منذ سمع كلمات ذاك الطبيب، فجأةً وجد  
نفسه لا يفصله عنها سوى خطوة واحدة، حتى أنها تحركت

للخلف خجلةٌ مُحاولَة الحفاظ على مساحتها الخاصة والتي  
اقتحمها هو دون أن يعي.

\_ هل هُناك خطبٌ ما، لماذا تركت الطبيب وحده؟  
\_ لقد غادر.

\_ هكذا فجأة؟

\_ غادر بعد أن طردته!.

اتسعت عيناها دهشةٌ وهي تقول: يا إلهي.

أنتها نظراته القوية وهو يقول:

\_ لِمَ قدمتِ له القهوة وليس الشاي؟

\_ لا أفهم، هل بالقهوة مشكلة؟

\_ بل أنتِ المُشكلة، كل ما يتعلق بكِ مُشكلة، تخيلي أن يُغرم بكِ

شخصٌ لمجرد فنجان قهوة شربه من يدك.

سكت صوته، واحتل الهدوء المكان!

شعر أنه باح بأكثر مما ينبغي، وشعرت هي برغبة مُلحة بأن يبوح

بالمزيد.

نظرت للأرض خجلة لا تجد ما تقوله، لكنها لم تملك السيطرة

على ابتسامة دافئة احتلت وجهها، تنهد كامل زافراً ومسح

وجهه كله بكف يده، لا يُصدق ما فعله في حق الطبيب وأنه

طرده حقًا ولا يُصدق أنه يقف الآن أمام الفتاة التي سلبتة عقله  
قبل قلبه يُحارب الكلام كي لا يخرج منه.

أين ذهب كامل، ومن هذا الذي يقف بين جدران مطبخ قصره  
والذي لم يطأه بقدميه يومًا؟

لقد فقد القدرة على التعرف على ذاته، والغريب \_حقًا\_ أن ذاته  
الجديدة تُعجبه.

\_أين فنجانِي؟

قالها يُغير مجرى الكلام، لتستدير وتناولته طلبه من على  
الطاولة، ارتشف منه القليل وهي تراقبه على ابتسامتها  
السابقة والتي لم تتغير، قال بهدوء: تعرفين شايك المنعنع؟

\_أها..

\_لا يُسمح لك بإعداد غيره للضيوف.

راقبته ينصرف حاملًا فنجانه بعد أن قال جملته، تشعر بأنها لا  
تستوعب الأمر بعد.

كامل، كاملها هي، ومالك قلبها الوحيد، يغار.

حقًا يغار!



\_احم احم، سيد كامل.



التفت لها ولُناداتها الخجلة، والتي أثبتت له بها أنها لا تزال تتذكر  
موقف الطبيب وانفعاله بالمطبخ.

\_تفضلي غزل.

\_أريد استئذنانك للمغادرة مدة لا تزيد عن ساعة، السيدة بخير  
ونائمة الآن ولن تحتاجني.

نظر إلي ساعته وقال: الساعة الثامنة مساءً، هل الأمر مهم؟  
\_بلى.

\_إذاً كوني حذرة ولا تتأخري.

أومأت له وغادرت تستعد للنزول، ودّ أن يذهب معها للمكان  
الذي لا يعرفه من أجل الأمر الذي لا يعنيه، ولكنه يُعاني اضطراباً  
خطيراً بمشاعره اليوم، يخاف أن ينفرد بها في مكان فتخونه  
حروفه وكلماته وتخرج كلها "أحبك".

لو أنه يستطيع أن يقول لها "أحبك"!

☆☆☆

\_ها أنا ذا إدلي بدلوك.

قالتها غزل وهي تجلس في إحدى المقاهي، و أمامها جلست  
فتاة مُضطربة الوجه، باهتة الملامح، صديقتها سالي والتي ذبلت  
كوردةٍ أهمل صاحبها سقياها.

\_جئتكَ بالدليل الذي أَرادَه السيد كامل.  
تهللت أسارير غزل وقالت: حقًا، الحمد لله.  
\_كثفت جهودِي في الأيام الماضية، راقبته بحرص مُستعينةً  
ببعض صداقاتي القديمة بما أنه يُراقبني، واكتشفتُ بعض  
الأماكن التي يرتادها دون علمي، وبالطبع كلها لا تخلو من  
قذارته.

\_سيدفع ثمن هذه القذارة غاليًا.  
رفعت أمامها فلاش ميموري وهي تقول: هذه ستأخذينها  
للسيد كامل، عليها كل ما يحتاجه.  
تناولتها منها وظنت أن الأمر انتهى عند هذه النقطة، إلا أنها  
وجدتها تخرج واحدة أخرى، نظرت غزل باستغراب ليدها  
المدودة وقالت :

\_ ما هذه؟

\_ أتحببه؟

زاد استغرابها، لكنها فهمت على من يعود السؤال:

\_ سالي!

\_ أتحببه مثلما يُحبك يا غزل؟

خفق قلبها بقوة وهي تنظر إليها، لهفتها وضحت في عينيها  
لتقول سالي بابتسامة:

\_ لا تقولي أنك لم تُلاحظي نظراته أيتها الغبية.

خفضت وجهها خجلة، ما بال الجميع يؤكدون لها تبادل  
مشاعرها لديه، لا تُنكر أن مثل هذا الكلام يُلامس قلبها، وأنها  
بالفعل بدأت تلاحظ تغيرات ملموسة به وبحديثه، لكن قلبها  
اللعين لا يكتفي بالتكهنات ويطمع بما هو أكثر.

\_ سألتكِ ذاك السؤال لأن هذه الفلاش ميموري متعلقة به.

\_ ماذا؟

\_ لا لا تقلقي، أقسم لك أنه رجلٌ شريف، بل أشرف الرجال  
جميعًا، لكنّه فشل في اختيار خطيبته وعلينا أن نلفت نظره  
لذلك.

جف ريقها فجأة، عُلا، أهى إحدى ضيوف تلك الأماكن أم ماذا؟

\_ هل، هل خطيبته على علاقة بزوجك؟

\_ لقد وجدتُ الفتاة التي سأشير لها ببناي وأقول أنا أشرف منها

يا عزيزتي، إنها على علاقة بابن عمها عاصم والذي اتضح أنه

على علاقة بالنذل زوجي بطريقة درامية.

\_ وكيف اكتشفتِ الأمر؟

\_تعدينني بالثبات الانفعالي؟  
\_لا تزيدني من توتري أرجوكِ.



فتحت باب القصر ودخلت تجر قدميها، لا تقو على الحركة مذ  
استمعت لكلام سالي الأخير، عليها أن تسرع قبل أن ينتهي كل  
شيء!.

الأضواء المغلقة جعلتها تتكهن أنه خلد إلى النوم؛ فبالنهاية  
تجاوزت الساعة الحادية عشرة، كادت أن تصعد درجات السلم  
إلا أنها سمعت صوته من خلفها يقول: لقد تأخرت....  
استدارت له بلهفة، تحتضن كل خلية بوجهه بعينيها القلقتين.  
قتل؟!!

من يجرؤ على التفكير بقتله؟  
\_أنا أسفة كان المكان بعيدًا بعض الشيء.  
\_قلقتُ عليكِ وهاتفك كان مغلق.  
\_ألهذا لم تنم؟

ابتسم ليرد معذبًا فؤادها أكثر: ليست أول مرة يهجرني النعاس  
بسببك على أية حال.  
لِمَ لا تخبره في هذه اللحظة؟

لم لا تُشركه فيما يُحَاك من وراء ظهره؟  
تشعر بالجمل ثقيلٌ جدًّا عليها وتودُّ لو يُشاركها فيه أحد، لكنه  
آخر شخص مسموحٌ له بالمشاركة؛ فذاك الحمل الذي تستثقله  
قد يكسر ظهره إن علم به.

\_ مع من كُنْتِ؟

\_ سالي، لقد وجدت الدليل.

أخرجت الفلاش ميموري من حقيبتها وناولته إياه، قال:

\_ جيد، سأفحصه صباحًا، أما الآن فهيا نخلد للنوم.



جلست على الفراش، فتحت حقيبتها وأخرجت هاتفها الجديد  
الذي أعطتها إياه سالي مُتذكرة كلامها.

\_ كُنْتُ أعلم أن هاتفك العتيق لا يزال بحوزتك لذا أتيت لكِ  
بهذا، وضعت عليه بعض صور تلك الفتاة، اللص زوجي سرقها  
من هاتف ابن عمها وأنا بدوري سرقتها من على هاتفه، قد  
تحتاجينها، كما أنه مُزود بكاميرا ومسجل وبالتأكيد ستحتاجين  
أحدهما في الأيام القادمة.

تنهدت، لا تجرؤ على فتح ملف الصور ورؤية صورة عُلا في وضع  
مُخل، قلبها سليم التكوين يرفض هذا الأمر برمته لكنها  
الضرورة.

تفحصت الفلاش، شعرت بأوردتها تتجمد فجأة، يا إلهي لقد  
ناولته الفلاش الخطأ!!.

نهضت عن فراشها سريعًا و وضعت حجابها على شعرها،  
نظرت إلى شرفته لتجده يجلسُ بها كما توقعت.  
حسنًا إما أن تتجرأ وإما سينكشف كل شيء أمامه .



فتحت باب عُرفته بحرصٍ شديد ونظرت للداخل، لا تزال شرفته  
مفتوحة والغرفة خاوية منه، دخلت وقلبها يقفز داخل صدرها  
مُرتعبًا يأمرها أن تسرع الخُطى حتى ينتهي خوفها، لم يُطمئنها  
سوى رائحته التي تعم المكان وتبثها بعض الأمان أنه كامل، كامل  
الذي لن يؤذيها قط.

\_وجدتها أخيرًا.

وجدت الفلاش على الطاولة بجوار السرير، التقطتها و وضعت  
الأخرى مكانها مُتمنيةً ألا يُلاحظ الفرق بينهما، كادت أن تستدير

وتُغادر لكنها سمعت صوته من خلفها يقول باستغراب شديد:  
غزل؟

شعرت بروحها تتهاوى عند قدميها، استدارت له وهي تحاول  
البحث عن أي كذبة تُسعفها في موقف كهذا فلم تجد .

\_ ما الذي تفعلينه هنا؟

قالها وهو يقطع الخطوتين الفاصلتين بين جسديهما، تراجعت  
بخوف حتى ارتطم جسدها بجدار العُرفة، تمنّت من كل قلبها  
ألا يأتي بأي حركة مجنونة، ألا يُعيد لها ذكرياتها السيئة، ألا يفتح  
لها جرحًا قديمًا والذي إن فُتح على يديه هو بالتحديد





فإنه لن ييراً أبداً.

\_كامل أنا..

وقف أمامها، نظراته تحتضن نظراتها بعنف، عيناه طمأنتاها

بعض الشيء، هاتان عينان تعجزان عن الأذى!

\_أنتِ غبية، بل أنتِ أغبي فتاة التقيتها طيلة عمري.

\_كامل؟!

قال وقد فقد كل سيطرته على مشاعره:

\_ أم يُحذركِ أحدهم يوماً من دخول غرفة رجلٍ يُحبك؟!

جحظت عينها دهشة و وضعت يدها على فمها من فرط

الصدمة، تشعر بقلبها المُتردي في حبه منذ زمن يعجز عن إدارة

جسدها مذ نطق بتصريحه، والذي تنتظره منه منذ مدة وما

توقعت أبداً أن يأتي بهذه الطريقة الدرامية، هُنا، في عُقر غرفته

والساعة قد تجاوزت مُنتصف الليل وكل سكان القصر قد ناموا.

\_كا....كامل!!

استدار بجسده عنها وهو يأخذ نفساً عميقاً، رآته يمسح وجهه

بكف يده ثم خرج صوته قائلاً: عودي إلى غرفتك ياغزل، أرجوكِ!.

وكأنها كانت تنتظر طلبه، أسرع بالركض من أمامه ولم تتوقف إلا داخل غرفتها، حمدت الله أنها لم تصادف أحدًا في الممر، وأنها استطاعت مُغادرته وهو على تلك الحال.

جلست على فراشها تُحاول استعادة ما تبقى من عقلها، نزعت الحجاب وابتسامتها تظهر رويدًا رويدًا، وكأنها قد أدركت للتو عِظم الموقف الذي كانت به، وضعت يدها على قلبها تحاول إسكاته قليلًا، ترجوه أن يمنحها فرصة للتفكير وأن يُهدئ من فرحته الكبيرة هذه، ولكن منذ متى هدأ قلبها أمام أي شيء يتعلق بكامل؟



(21)

"وكان الصدمات كأس تتجرعه تباغًا"

"الساعة الثالثة فجراً، لا حاجة لي بأن أخبرك يامذكراتي أنني عاجزة عن النوم، ولا أعرف من أين أبدأ كلامي بالتحديد، لكني خائفة، خائفة بمقدار فرحتي ولا أدري كيف.

اليوم الذي يعترف لي فيه بحبه هو اليوم الذي علمتُ به أنه مُهددٌ بالقتل، قلبي يكادُ ينخلعُ عليه، عندما دلفت للبيت اليوم ووجدته أمامي قاومت نفسي مُرغمة على أن أضمه، كيف أعلم أن هناك حثالة من البشر يُخططون لقتله ولا أخبئه بين ذراعاي عمري بأكمله؟

كنت أحسب أن كامل هو من سيساعد سالي ويجعل زوجها يعترف بزواجه منها، لكن الآية قد انقلبت منذ اليوم وصارت هي من تُساعده دون أن يدري، يبدو أنه مُتورطٌ في عصابة خادعة لا يهتمها سوى المال، أخبرتني أن عُلا وعاصم عشيقان، وأنه زج بها في طريق كامل حتى يتزوجها وبمجرد أن يتم عقد القران، تُنفذ عملية القتل على يد مجهول، فترث هي زوجها المقتول. لا أصدق أن مثل هذه الخطة قد حيكّت على كامل المسكين، خطتهم السرية خلعت رداءها أمام وحيد زوج سالي في إحدى جلساته الخليعة، كانت رفيقته في إحدى الليالي هي صبا شقيقة

عاصم، تناولت من الكحول ما يكفي للبوخ بأعق الأسرار وكان هذا أحدها.

إنها حقاً عائلة قذرة، لأبعد حد قد يطاله فكري من القذارة مُهمتي تجاه كامل تزداد تعقيداً وتشابك، خاصة وأنني بتُّ أشعر كلياً أنه يخصني، إنه كاملي أنا، وحدي أستحقه، وحدي أحبه، ووحدي سأحارب حتى يحصل على نهايته السعيدة".



\_ أين الأنسة غزل؟

قالها كامل صباحاً وهو يقف بجوار مائدة الطعام، وجهه في غاية الإرهاق ويبدو كما لو أنه لم يحصل على القدر الكافي من النوم. إنها لا تزال نائمة.

عض على شفته السفلى وهو يرفع كلا حاجبيه وقال مستغرباً:  
\_ نائمة! إذا ارفعي هذا الطعام.

قالها وغادر، يعلم أنها تتهرب منه بعدما قاله ليلة أمس، كما يعلم أن النوم لم يزر جفونها كما لم يزره هو الآخر.



\_ صباح الخير سيدتي.

قالتها وهي تدخل غرفة السيدة مريم بعد أن تأكدت من  
رحيله، إنها أجبني من أن تواجهه على أية حال.  
\_ صباح الخير غزل، برغم أن وجهك لا يُنبئ بأنك نمقي البتة.  
ضحكت وهي تجلس قائلة: لماذا أمري دومًا مفصوحٌ لديك؟  
\_ فيم كنتِ تفكرين؟  
\_ اممم... أشياء لا أستطيع مشاركتكِ بها.  
\_ هكذا، تخبئين الأسرار عني إذًا.  
نظرت إليها نظرة ذات معنى وقالت: على الأقل بدأت أتعلم  
منكِ بعض الأمور.  
تهددت السيدة بعمق، نظرت للباب المفتوح وقالت: وأنا سئمت  
رفقة أسراري وحيدة يا غزل، أغلقي الباب وتعالى.  
ابتلعت ريقها مندهشة من طلبها المفاجئ ورغبتها المُبطنة خلفه،  
أحقًا ستبوح بما لديها؟  
\_ تتذكرين حين فقدت وعيي صحيح؟  
\_ نعم، كان ذلك حين تلقيتِ اتصالًا هاتفيًا.  
\_ أخ ذاك الاتصال اللعين، هل أخبرتِ به كامل؟  
\_ لا، لم أستطع.

\_أكثر ما أحبه بكِ أنكِ تحرصين على أسرار غيرك، لذا لا أخاف من الحديث معكِ الآن.

تلقيت قبل أيام مكالمة أخرى من نفس الشخص، إنه طبيب مشهور بفرنسا ويعرفني مذ كنت هناك أُجرى عمليات جراحية على أمل الإنجاب، أخبرني أنه غادر المشفى اليوم.

\_لا أفهم، من غادر؟

تنهدت، نظرت إليها وقالت بتوجس: زوجي.

\_زوجك الغائب والذي لا تعرفون مكانه ولا إن كان حيًا أو ميتًا؟  
\_كنت أعرفه، كنت أعرف مكانه منذ أول يوم انقطعت به أخباره، وحرصتُ على جعل مكانه سرّيًا حتى يتعافى.

\_وماذا حدث ليستمر تعافيه مدة ثلاثة أعوام كاملة؟

\_لقد دخل في غيبوبة إثر حادث سير، ولم يبق منها إلا وقت تلقيت أول مكالمة .

بدا على غزل التفكير، وأنها تحاول استخراج بعض الخيوط التي تشعر أنها لا تزال مبهما .

\_اسمحي لي سيدتي، لا أفهم لم خبئتِ عن الآخرين مكانه، أو حتى علمك به، ولا أعرف كذلك لم يحتلك القلق والحزن منذ علمتِ بإفاقته.

\_ كان من حسن حظك أنك لم تلتقي بشقيقه سالم وسليم، كانا ليقتلاه بدج بارد إذا عرفا مكانه، لعلمهم أن كامل لن يرثه، وأن كل أملاكه حينها ستؤول لهما.

لم تستغرب ما سمعته، بل إنه شيء طبيعي من الشجرة الخبيثة التي أنبتت تلك النباتات الأكثر خبثًا متمثلة في علا وصبا وعاصم. \_ أحيانًا تتحول الأموال للعنة.

\_ والنسب أيضًا يا غزل.

قالت بنظرة مبهمة لم تلق لها بالأ إذ قالت مسرعة: والآن تبقت إجابتك عن شطر السؤال الآخر؟ لم القلق؟

ترددت السيدة، نظرت لها مليًا ثم قالت: هُناك حديثٌ طويل ينبغي علي أن أنهيه مع كامل يا غزل، لكنني لا أقوى عليه، ويجب أن ينتهي ذاك الحديث قبل عودة زوجي من سفره .

\_ وما علاقته؟

\_ بل هو صاحب العلاقة الأساسية غزل.



جلست في الشرفة المُلحقة بصالة الاستقبال بالطابق الأرضي تحتسي كوبًا من الشاي الساخن، لم تضغط على السيدة مريم بالكلام بعد آخر ما قالته فقد شعرت بحالتها قد ساءت قليلًا



حتى أنها نادى الممرضة، تناولت غداءها ثم أدويتها وخلدت إلى قيلولتها.

كانت تود لو تخرج للحديقة عليها تُريح عقلها التَّعب بين أزهارها المُفضلة، لكنها وبكل بساطة تخاف أن...

\_ لا يصح شرب الشاي على معدة خاوية.

قطع صوته الرخيم تفكيرها، وهز قلبها بين أضلعها، كيف تمكن من الدخول دون أن تلمحه؟

استدارت له بحذرٍ شديد، لم تقو على رفع عينيها بعينيه فاكتفت بالنظر إلى الأرض، واستمتع هو بارتباكها المُحبب وبرؤية الحمرة تغزو خديها تدريجيًا.

\_ أنا.. أنا لستُ جائعة.

تقدم للداخل، وقف قبالتها وتناول منها الكوب وهو يقول: لكنني جائع.

\_ اذهب وتناول طعامك إذًا.

\_ تعرفين أنني لا أتناوله بدونك.

خفق قلبها، لكنها قاومتها، قالت دون أن ترفع بصرها:

\_ لقد قضيت ستاً وثلاثين عامًا وأنت تفعل.

ابتسم بدفء وهو يرد:

\_ كانت فترة طويلة من الوحدة، برأيك ألم يحن الوقت حتى تنتهي؟

حسنًا تعترفُ أن كل مقاوماتها سقطت أمامه الآن، رفعت عينيها تُطالعه بحذر، هل يُخيل إليها أم أن نظرات عينيه سعيدة حقًا؟!.

\_ لن تتكلمي؟

\_ لن أتكلم.

\_ ولن تسألني؟

\_ لن أسأل.

\_ لم أحسبك جبانةً هكذا.

\_ أنا أشجع مما تتصور.

ابتسم لعينيها اللتان شعتا بنظرات التحدي أخيرًا، وللامح وجهها الفاتن التي وقعت في أحضان ضوء الشمس المنبعثة من خلفه، تُقبّل بأشعتها كلّ خلية به، لم يجوز للشمس ما لا يجوز له هو؟

\_ بل أنتِ أجبن امرأة قابلتها.

\_ جربني إن أردت.

اتسعت ابتسامته ناظرًا لمعذباته ليقول:

\_ أُحبك يا غزل، أُحبك كثيرًا، وأُحبك جدًّا.

\_ يا إلهي يا إلهي.

ركضت من أمامه مُهرولة وهي تنادي صائحة: صفية، يا صفية  
انجديني بكوب ماء.

وقف يضحك على هروبها منه، وجُبنها الواضح، أما هو فقد  
اكتفى من الجُبن حقًّا، سيفصحُ لها بكل شيء يختلج داخله،  
وسيخبرها عن كل ماضيه كذلك، وهي حرة قرارها وسيتقبله أيًّا  
كان.

رفع يده اليمنى ينظر لبنصر يده الخاوٍ، أما بالنسبة لَعُلا فقد  
اتخذ قراره وانتهى الأمر، سواء تقبلته غزل أم لا، وسواء عاد  
كفيله أم لا؛ ففي كل الأحوال سيفسخ خطبته منها.

☆☆☆

\_ انتظري هُنا، أود أن أتحدث معك.

قالها وهو يركض خلفها بعد أن أنهت طعامها على استعجالٍ  
ونَهضت.

\_ إنه موعد دواء السيدة مريم، كما أنني سأخرج بعدها.

\_ تعنين لستِ مُتفرغة لي؟

استدارت تنظر له، تستغرب أنه تبعها حقًا للمطبخ، قالت : نعم  
لست متفرغة لك.

\_وبتُّ كثيرة الخروج أيضًا.

\_أنا بكامل حريقي وأفعل ما يحلو لي.

دنا منها قليلًا وعلى وجهه ابتسامة شقية، شعرت في هذه  
اللحظة أنه صار بالعشرين من عمره، إن كان هذا هو تأثير حبها  
عليه فينبغي لها أن تزهو بنفسها حد الغرور إحدًا.

اقترب من أذنها بحذر وهمس: استمتعي بحريتك المزعومة،  
فقريبًا ستُسلب منك على يداي.

ازداد خجلها لعلمها نواياه، أهدأ يعني أنه صرف نظره عن  
خطبته بعلا، حانت منها التفاته إلى يده لتلاحظ اختفاء الخاتم  
منها بالفعل، تستطيع أن تجزم أن الفراشات قد حلقت بقلبها  
حينها، حتى أنها نظرت له سعيدة وابتسامتها تملأ وجهها.

\_يا إلهي!

قالها وهو يحدق بها لتستغربه قائلة: ماذا هناك؟

\_أتعجب كيف تحصل امرأةٌ واحدة على هذا القدر من الفتنة.

\_أنت تنوي أن تُوقف قلبي، أقسمُ أنك تنوي على هذا.

قالتها وهي تُغادره بخطواتٍ مُتسارعة، صعدت السلام قفزًا، بل إن قلبها هو الذي كان يُحلق بها إلى الأعلى، تستغربه وتستغرب جرأته الفجة في التعبير عن مشاعره، أين ذهب كامل الرجل العاقل الذي لا يُصافح النساء؟  
حسنًا يبدو أنه لا يصادفهن، لكنه يمتلك مهارة هائلة في سلبهن القلوب.

وقفت عند باب غرفة السيدة ثم أضاءت برأسها فكرة.  
إن كان ينوي حقًا فض خطبته بعلا؛ فأني لها أن تُهددها حتى تعرف منها عنوان أمه الحقيقية؟  
هذا يعني أن عليها أن تُسرع قدر استطاعتها، اليوم قبل الغد.  
نعم، اليوم، ستعتني بالسيدة وبعدها تخرج لمقابلتها، لا مجال للتأجيل طالما تُصر الأحداث من حولها على التسارع هكذا.



\_والآن الدواء.  
\_ياغزل يا حبيبي لقد سأمت كل هذه الأدوية، معدتي باتت تَؤلني.  
\_تخبرين الطبيب بهذه الشكوى عندما يزورك، لكن الآن الدواء يعني الدواء.

فتشت غزل عن دواء السيدة في مكانه المعهود فلم تجده .  
قالت: هل غيرت الممرضة مكانه؟  
نظرت السيدة مريم نظرة جانبية وهي تبتسم، ففهمت أنها  
هي من خباته.

\_ اممم تخبينه عني إذًا، ألا تعلمين أنني أحفظ حلقات المحقق  
كونان الألف؟

راحت غزل تُفتش كل الأدراج والزوايا لكنها لم تعثر على شيء، آخر  
ما قد توقفت عنده هو درج مُغلق بمفتاح داخل دولاب ملابس  
السيدة، ضحكت وهي تقول: أجزم أنه هنا، الآن أعطيني المفتاح.  
\_ لا أملك له مفاتيح.

\_ هكذا؟

مدت غزل يدها أسفل رفوف الملابس المُتراسة، اصطدمت  
أصابعها بقطعة معدنية في الرف الرابع لتسحبه وترفعه أمام  
السيدة وهي تقول فرحة: ترائي انتهت اللعبة وفازت غزل.

فتحت الدرج في حين جلست السيدة تتأفف، أخرجت غزل  
الدواء لكنها لاحظت بأسفله إطار صور مقلوب على وجهه،  
تملكها الفضول كثيرًا لترى محتواه.

\_ صورة من هذه؟

إنها لزوجي.

سحبته من الدرج وهي تديرها تجاه وجهها وتقول: بما أنه  
سيصل قريباً؛ فينبغي عليّ أن أعرف وجهه.  
توقفت الحروف على أعتاب شفيتها.  
جحظت عيناها بقوة وهي تُطالع الصورة، والمسكين قلبها الذي  
يختبئ بين رثتها تعالت دقاته وضرباته وهو لا يصدق ما يراه.  
زوج السيدة مريم، الرجل المتغيب منذ سنوات.  
حسام، حسام رفعت؟  
الوحش الذي حاول اغتصاب طفولتها سابقاً.

(22)

صدمة!  
(طعنةٌ في منتصف القلب)



\_غزل، هيبى غزل.

.....\_

\_كفاك تحديقًا في الصورة هكذا وكأنك تعرفيه.

حاولت للممة شتات نفسها قدر المُستطاع، حمدت الله في هذه الساعة أنها تعلم أن كامل ابنهما بالكفالة، فمن المُستحيل أن يخرج من صلب هذا الذئب رجلٌ ككامل.

حاولت التكلم فلم تستطع، التحرك فلم تقدر على رفع قدميها، صدمتها ليست بهذا الاكتشاف وحسب..

بل وبأنه سيكون حاضرًا هُنا بأي وقت!!.

\_اعذريني سيدتي، إنه فقط يُشبه شخص أعرفه.

\_لا بأس عليكِ حبيبتى، المهم أن تكوني بخير.

أعدت الصورة إلى مكانها وأعطت السيدة دواءها بعقل شارد كُليًا، عليها أن تسرع في كشف باقي الأوراق المجهولة بأقصى سرعة، وأن تعيد كامل إلى أحضان والدته الحقيقية، قبل أن يعود هذا الذئب وتضطر إلى رؤيته.

☆☆☆

ركبت مواصلة عامة بعد أن تمكنت من التسلل خارج القصر دون ملاحظة كامل، أمسكت هاتفها وأخرجت رقم غُلا والذي

حصلت عليه من الخادمة صفية، أخذت نفس عميق ثم ضغطت زر اتصال.

\_ ما الأمر المهم والذي يتعلق بكامل؟

قالتها علا بعد أن جلست في الكرسي المقابل لكرسيها في ذاك المطعم الذي اتفقتا على اللقاء به.

\_ كيف حالكِ أولاً، أراكِ بخير.

\_ وكيف أكون بخير وأنا مخطوبة لذاك الرجل المُهمِل؟

ابتسمت غزل بسخرية وهي تقول: وما حاجتكِ لكامل واهتمامه، ألا يُشبعكِ عاصم به؟

بهت لون الفتاة وأفرز جبينها العرق، حركت لسانها بضعف قائلة: ما... ما الذي تتفوهين به؟

\_ تستغربين معرفتي صحيح، لا تقلقي، كامل لا يعلم بعد.

ثم ابتسمت وهي تقول بنظرة ذات معنى: على الأقل حتى الآن.  
\_ أنا لا أفهمك.

\_ بل تفهمين مقصدي جيداً، ولكن لا بأس قد يكون فهمك بطيئاً.

\_ كيف تجرؤين على الحديث معي بهذه الطريقة؟

لم تهتم بها غزل بل أخرجت هاتفها وفتحت ملف الصور بوجه  
مشمئز مما تراه، رفعت أمامها إحدى الصور وهي تقول:  
\_ حَقْكَ أَنْ تَتَهْمِي كَامِلَ بِالْإِهْمَالِ أَمَامَ كُلِّ هَذَا الدَّلَالِ أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ؟

اتسعت عينا علا في رعب وصدمة وهي ترى نفسها بين أحضان  
عاصم، الخسيس يلتقط لها الصور دون علمها وهي من تثق به  
تمام الثقة.

\_ يَا إِلَهِي، مَنْ أَيْنَ حَصَلَتْ عَلَيْهَا؟  
\_ أَعْتَقِدُ أَنَّ مَصْدَرَهَا لَا يَهْمُ الْآنَ بِقَدْرِ أَهْمِيَّةِ إِلَى أَيِّ شَخْصٍ قَدْ  
أَوْصَلَهَا، صَحِيحٌ؟

نظرت إليها غُلا بغضب واضح وقالت: أتهددينني؟  
\_ نَعَمْ، سَأَوْصِلُ صَوْرَتَكَ فِي أَحْضَانِ ابْنِ عَمِّكَ الْغَالِي إِلَى  
خَاطِبِكَ، وَاللَّهِ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَا قَدْ يَحْدُثُ حِينَهَا، إِلَّا إِذَا...  
\_ إِلَّا إِذَا مَاذَا؟

نظرت إليها غزل وقالت بحدة: إِلَّا إِذَا أَخْبَرْتَنِي بِمَكَانِ أُمِّ كَامِلِ .  
\_ اللَّعْنَةُ، مَا عِلَاقَتُكَ أَنْتِ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَسَائِلِ؟  
\_ أَنْتِ لَسْتِ فِي مَوْقِفٍ يَسْمَحُ لَكَ بِطَرْحِ الْأَسْئَلَةِ، مَكَانَ تِلْكَ  
المرأة مُقابل هذه الصور.



خرجت من المطعم ركّضاً وهي تقبض بيدها على قصاصة ورقية صغيرة، أوقفت أول تاكسي قابلته وركبت وهي تقول: هيا أسرع.

فتحت القصاصة تنظر لما كتبهت علا لأول مرة، قالت للسائق: هيا إلى حارة....

سكتت، أعادت قراءة العنوان، واسم المرأة المرفق عدة مرات، طالعت السائق في المرأة والذي توقف ينتظر منها وجهتها، ابتسمت في البداية، ثم تحولت ابتسامتها الصغيرة لضحكاتٍ عالية، والتي سرعان ما انتهت بنزول دموعها متبوعة بشهقات بكاؤها الحارق.

هذا كثير، ما يحدث لها كثيرٌ حقاً.

قلبها لن يتحمل مقدار هذه الصدمات وفي يومٍ واحد.



بنقل العالم كله ولجت القصر، تجر قلبها خلفها، عاجزةً عن تحديد شعورها في هذه اللحظة، تشعر أنها نالت عقابها العادل حين زجت بنفسها في أمورٍ لا تخصها، تُحاول تجميع شتات

عقلها التعب لكنها لا تقدر، وحقى إن فعلت فأنى لها أن تستدل  
على المكان الذي آلت إليه روحها الهاربة.  
\_ يبدو أن سندريلا اعتادت العودة إلى المنزل منتصف الليل كل  
ليلة.

وجدته يظهر أمامها من العدم، أو عله كان يجلس على أحد  
الكراسي لكن بصرها المشوش لم يره.  
سارت إليه، وسار إليها، التقيا في مُنتصف الصالة، رفعت بصرها  
إليه رويدًا وهاله شكل عينيها الذابلتين من فرط البكاء.

قال بقلق: ما بكِ يا غزل، هل حدث مكرهه؟  
نفضت رأسها ذهابًا وإيابًا ليزداد صداع رأسها إثر حركتها  
البسيطة، انفرجت شفثاها وكادت أن تتكلم، لكنها وأدت ما  
انتوت نطقه على أطراف شفثيها وابتسمت.  
لم تُعطه فرصةً لكي يفهم، ولا لكي يتنفس.

فجأة وجدها ترتمي بين ذراعيه، تتعلقُ بِعُنقه بعنف وهي تبكي،  
تُخبي وجهها داخل صدره وكأنها تُريد اختراقه وصولًا لصلوعه  
الآمنة، يكاد يشعر أنها التحمت به فلم تترك حيزًا لأي فراغ  
يُمكنه احتلاله.

إنها تختبيء، يشعر بهذا، هذا ليس عناقٌ عادي بين رجل وامرأة.. حتى وإن كانا يعشقان بعضهما؛ إنه أقرب ما يكون إلى عناق لاجئ بوطنه.

من صدمته لم يتخذ أي رد فعل، بدأت أصوات بكائها تهدأ، تركته وتراجعت خطوة وهي تقول: أنا أسفة، أنا حقًا أسفة، لا أعرف كيف فعلتُ ذلك...

سقطت منها باقي الحروف داخل أحضانه الدافئة، جذبها نحوه وأحاطها بذراعيه بقوة حتى كادت عظام قفصها الصدري أن تتهشم، ورغم حزنها الكبير، وتعريفها به أمامه، إلا أنه شعر بروحه في مكان ما بجسده قد أشرقت، وكأنها وجدت سُكناها أخيرًا. \_ياغزل الغبية! ما كان عليكِ أبدا أن تُصبي عليّ لعنتك وتذيقيني طعم قُربك.

لم تتكلم، أرادت لروحها المتعبة أن تستكين قليلاً بين أحضانه، لقد خُلقت حتى تسكن هذه الضلوع، حتى تعلق بها وإلى الأبد، تتساءل وهي بين أحضانه: كيف قضت كل هذه السنوات بعيدًا عنها، كيف تحملتُ برودة العالم خارجها، والمهم كيف ستغادرها، إن من ذاق كل هذا الدفء يشق عليه أن يتعرى بروحه أمام برد الحياة من جديد.

سار بها حتى أقرب كرسي، أجلسها وجلس أمامها أرضاً على ركبتيه، كانت نظراتها ضائعة وتائهة، وجفونها قد شبعت تورماً حتى كادت تخفي عيناها، احتوى كفيها الرقيقين بين كفيه وطالعتها بنظرة حانية وهو يقول: ماذا هناك يا عزيزتي؟

كانت عيناها قد استقرتا على كفوفيهما المتشابكة، رفعت بصرها رويداً تُطالع عينيه، لم تعرف بم تتكلم، هي في حالة لا تسمح لها بالكلام وتعجزها عن الوصف.

قالت بعد تردد: أنا.. أنا لا أريد خسارتك.

\_ماذا، وما الذي يدفعك لخسارتي؟

اشتدت قبضتها بين يديه وهي ترد وسط دموعها: لا أدري، لا أدري، أنا خائفة، خائفة جداً.

ربت على يديها بحنو أب يريد طمأنة ابنته التي التجأت إليه أخيراً، لا يفهم من أمرها شيئاً، ولكنه ليس بحاجة لمعرفة تفاصيل ما ألم بها حتى يطمأنها.

\_لا تقلقي ياغزل، أنا هنا بجوارك، وسأحرص أن أبقى هكذا لآخر عمري.

نظرت إليه بضعف، لا تقوى إلا على النظر في حالة قلبها هذه، هي نفسها لا تفهم ما الذي جرى لها منذ قرأت العنوان، ذاك

العنوان الذي تحفظه عن ظهر قلب هو آخر ما توقعت رؤيته في تلك الورقة اللعينة.

\_لديّ الكثير لأخبرك به ياكامل، لكن اعذر ضعفي الذي يمنعني من الحديث الآن، أحتاج لأن أختلي بنفسي بعض الوقت وأعيد ترتيب روحي، علي حينها أتمكن من نطق ما يُثقل قلبي هكذا. أوماً لها وبدأ يشعر بالقلق يتسرب منها إليه، أخذته الظنون وطافت به في رحلةٍ عاد منها خاوي الفكر، يريد أن يعرف ذاك الشيء الذي سحب منها روحها كما يراها الآن، لكنه لن يضغط عليها أبدًا.

يكفيه أنها التجأت إليه، احتمت بصلوعه من خوفها وتدثرت قلبه لتحصل على أمانها، بأي شيء قد يطمع أكثر من ذلك؟ \_أتعلمين ياغزل، أنا أيضًا بداخلي حديثٌ طويل أودّ لو أتخلص منه بين أحضانك حتى أرتاح، اعترافٌ كبير دفعني خوفاً من البوح به لكِ إلي سلك دربٍ لا تُلائمني، لكنكِ كنتي أقوى من هروبي، وجدتكِ تقفزين أمامي عند نهاية كل طريق ودرب، وكأن كل الطرق تؤدي إليك وحدك، وإلى معرفتك بسري .

جففت دموعها بكفها الذي استطاعت تحريره من قبضته القوية، يبدو أنه قد قرر البوح أخيرًا، وفي الوقت الذي انتهت



هي فيه من كشف كل الأوراق الغامضة حوله وفك تشابك  
خيوط أسرارهِ.

وليتها لم تفعل!!

وقف معها أمام باب غرفتها، كانت قد هدأت تمامًا وأجبرها  
على تناول العشاء معه قبل الخلود إلى النوم.

\_ ستكونين بخير؟

\_ نعم..

\_ لو شئتِ بإمكانني المكوث معكِ.

احتلت الحمرة وجنتاها وهي تقول: كامل.

\_ الآن تأكدت أنكِ بخير.



" كيف أكون بخير بعد ما علمته، عقلي يكاد ينفجر، وقلبي يرتعد  
خوفًا، حدث الكثير اليوم، أكثر مما يستطيع قلبي تحمله،  
اكتشفت أن زوج السيدة مريم هو نفسه حُسام، الرجل المقيت  
الذي تحفظين معي مقدار وحشيتهِ، ابتلعت الصدمة مُجبرة  
أمام امرأته، وتغاضيت عنها وأنا في طريقي للقاء غُلا ابنة أخيه،  
ينبغي عليّ هنا أن أذكر أن شجرة عائلتهم لم تطرح ثمرة واحدة  
طيبة صحيح؟

لكنها فعلت.

طرحت ثمرتها الطيبة وألقت بها بين أحضاني.  
علك لا تفهمين، اعذريني أنا في موقفٍ لا أُجيد فيه ترتيب حروفي،  
أوضح لك قليلاً، لقد استخدمت ورقة ضغط على غُلا اليوم  
حتى تعطيني عنوان أم كامل الحقيقة، تمنعت في البداية ثم  
رضخت أخيراً، قالت أنها حصلت على العنوان من المُحامي  
الخاص بالسيدة مريم، والمُكلف منها بإرسال شهرية مالية إلى  
تلك السيدة.

أعتقد أنكِ أُصبتِ ببعض الاضطراب الذي يفتعل بي يا مذكراتي،  
صحيح؟

لقد ترجمت من التاكسي بعد أن قرأت العنوان، لا حاجة لي  
بالذهاب إليها وأنا أعرفها عن ظهر قلب، لقد عاشرتها خمسة  
عشر عامًا كاملاً فكيف لا أعرفها؟

السيدة هناء، حاضنتي وكفيلتي، و والدة كامل حُسام رفعت"

.....



(23)

**كشف الأسرار!**

"لِمَ يتحول الأمر من صعبٍ إلى بالغ الصعوبة؟  
لا أصدق أنني تمكنتُ من النوم البارحة، ربما فعلتُ ذلك من  
شدة صدمتي بما قد علمت، تخيلي أنني كنت أُصبر نفسي قائلة  
"على الأقل هو ليس ابنه"... ليصفعني الواقع على قلبي بقوة  
مُتحدِّيًا كأنه يقول لي: بلى هو كذلك، أريني ماذا ستفعلين الآن؟  
ماذا سأفعل، لا أعلم، من المُفترض أن أخبره لكنني لا أقوى على  
ذلك بعد أن توصلت للحقيقة كاملة، هل من المُفترض بي أن  
أذهب إليه وأقول: مرحبًا كامل، هذا الرجل الذي تعيش في كنفه  
منذ سنين هو والدك الحقيقي، وتلك المرأة التي حمتني منه  
فيما مضى ورعتني هي أمك.

هل يفترضُ بي حقاً أن أخبره أن العذاب الذي عاشه طيلة  
عمره، وتخبطه في تُهمة "مجهول النسب"، وحرمانه من حضن  
أمه، كل ذلك بسبب والده؟

هل أخبره أنه أبرحها ضربًا وهو لا يزال ضعيفَ الحيلة داخل  
أحشائها حتى يموت، وأنه عندما قدر له الله أن يحيا أماته هو في  
ناظرها، بل وأمات أي فرصةٍ أُخرى قد تُخرج له إخوة من  
أحشائها.

يا إلهي كيف أخبره أنه في نظر أمه ميت؟!  
ليتني لم أعرف أي شيء، ليتني أمطت أذاي عن قلبه، أنى لقلبه أن  
يتحمل كل تلك الصدمات، أنى له ألا ينفجر؟..."  
أغلقت دفتر المذكرات ووضعتة تحت وسادتها، تنهدت وهي تفكر  
فيما قد يجِد اليوم.

صدقًا باتت تخشى الأيام وتخشى تتابعها المدمي، تشعر أنها تقف  
الآن في عُنق الزجاجة تختنق، تتمنى الرجوع فلا تطوله، وتتمنى  
النزول إلى عمقها المتسع فلا تستطيع.

هبطت السلام بهدوء، وجدته يقف عند آخرها يُهنِّد ملبسه،  
بمجرد أن لمحها تنزل رفع نظره إليها مبتسمًا ابتسامته التي  
صارت تُشرق في وجهه كلما طالعها، حتى عيونه باتت تبتسم  
أخيرًا، رأت كل همومها تتساقط على أطراف شفثيه لتبتسم له  
هي الأخرى وهي تتذكر ما فعلته البارحة.

هل ارتمت داخل أحضانه حقًا، لو أنها تذكرت هذا الأمر قبل  
نزولها لكانت أَلقت بنفسها من الشرفة عوضًا عن القفز أمامه  
هكذا؛ فهو لن يفوت الفرصة أبدًا لإحراجها.

\_ صباح الخير يا غزلي.

ابتسمت وتناست حرب أفكارها الضخمة وردت:

\_أراك ترفع من صوتك دون الخوف من أن يسمعك أحد.  
وصلت عنده ليبتسم أكثر وهو يرد: مؤخرًا صرتُ لا أخاف أي  
شيء، على كلِّ هل نمتَ جيدًا؟.

\_نعم الحمد لله.

\_سنتكلم، والله وحده يعلم كيف ستمر علىّ ساعات العمل  
اللعينة والتي تفصلني عن معرفة السبب.

\_سبب ماذا؟

انحنى حتى وصل مستوى أذنها وهمس: السبب الذي جعل  
إحداهن تحتل أحضاني عنوةً ليلة أمس.

\_ياإلهي، أنت لن ترحمني صحيح؟

أطال النظر في عينيها، فانتتاه اللاتي لم تفقدا جمالهما رغم  
تورمهما الطفيف، قال:

\_ ذاك العناق شعرت فيه بروحي ياغزل.

لم أدرك أنّ للمرء روحٌ إلا حين عانقتك!.

ابتلعت ريقها خجلة، وأخفضت بصرها دون أن ترد، لم يُرد  
إحراجها أكثر فقال: هيا سأتأخر، إلى اللقاء حبيبتي.

خرجت الكلمة منه عفوية، وكأنه اعتاد قولها منذ سنين، لوحته له وهو يغادر حتى اختفى، وراحت تجري على السلم صعودًا نحو غرفة مريم.



\_ صباح الخير.

\_ صباح الخير غزل.

جلست أمامها وقالت: كيف حالك اليوم؟

\_ أراي أفضل منك بكثير، تبدين مُرهقة للغاية.

\_ أكاد أسقط من فرط ما أحمله داخل عقلي.

\_ تكلمي.

\_ جئتكِ من أجل أن أتكلم، لكنني الآن خائفة.

\_ الأمر يتعلق بكامل؟

أومأت لها بنعم ثم أضافت: نعم، بكامل، وبأمه الحقيقية.

ارتعش قلب السيدة خوفًا، سُرعان ما ظهر ذلك في صوتها وهي

تقول: ما....ماذا؟

ردت غزل بهدوء: أتعلمين، لقد قضيتُ الفترة الماضية كلها وأنا

أترنح في موقفٍ تجاهك، تارة أراي أنانية، وتارة أخرى أقول لعل

لها عُذر، بالأمس فقط عذرتك سيدتي، بل وأشفتك عليك أيضًا،

لقد وضعكِ القدر في موقفٍ بغاية الصعوبة وحتى أنا لا أعرف  
كيف يُمكننا الخروج منه بأقل خسارة.

نون الجماعة في جُمَلتها الأخيرة حَمَلت تأثير السحر على قلب  
المرأة المسكين، قالت بتوجس: كنتِ تعلمين إذًا.

\_ استمعت إلى حديث علا معكِ دون قصد.

سكتت غزل، لم تُرد إخبارها بتتمة الحكاية وبأنها علمت هوية  
أمه، تريد أن تسمع منها عليها تحمل في جوفها ما لم تعرفه بعد.

تهددت وهي تقول: حتى أنا يا غزل أودُّ التخلص من هذا  
الجمل، كنت أنوي إخباركِ أنتِ بالذات على أية حال، بعدما  
علمت أن قلبه اختارك، وقلب كامل من المستحيل أن يختار  
شخصًا خطأ.

منذ ثلاث سنوات وقلبي يشتعل قهرًا يا ابنتي، حان الوقت لكي  
تخدم نيرانه ولو قليلًا.

\_ تابعي.

\_ منذ ثلاث سنوات، عندما تلقيت اتصالًا من طيبي الفرنسي  
وطلبت منه أن يبقي أمر غيبوبة حسام سرًا حتى يتعافى، وقتها  
فقط بدأت في البحث خلف حسام، لكن ذلك لا يعني أنني قبلها  
لم أكن أشعر بشيء، كنت أشعر لكنني كنت أتجاهل، ولا يوجد



أصعب من أن تُكذِّبَ إحساسك فقط حتى تمر بك الأيام على خير، وجدته متزوجًا، بعقد زواج شرعي سليم، ليس هذا فحسب، بل إنه مُتزوج بها مذ تزوج بي أنا، تزوج كلانا في نفس السنة تخيلي.

\_أعلم.

\_وأنا أعلم أنكِ تعلمين يا غزل.

\_ماذا تقصدين؟

\_برأيكِ امرأةٌ بحثت خلف زوجها، وعرفت بأمر زواجه من أخرى، وبأنه أنجب منها صبيًا وأوهمها بموته، أتعجزُ على أن تعلم بأنكِ ابنتهما بالكفالة؟

اتسعت عينا غزل دهشة، هذا آخر ما توقعت سماعه حقًا.

\_كنتِ تعلمين؟

\_منذ أول يوم لكِ هُنا، حتى أنني شعرت أنها إشارة من القدر يخبرني بها أنه قد آن أو انكشف السر.

\_كيف تستطيعين فعلها، كيف تستطيعين حقًا؟

\_أستطيع ماذا؟

\_كيف استطعتِ التعامل معي بطبيعية وأنتِ تعرفين أنّ في رُكنٍ ما بي غَلِقَ جزءٌ من روحها.

ابتسمت السيدة، قالت بهدوء: برأيك أهذا سبب كافٍ لكي  
أحقد عليكِ أو أن أكرهك؟

إذًا لماذا لم أحقد على كامل وقد حاز كل روحها بالفعل؟  
إن كامل جزءٌ من ههنا فقط، أكاد أجزم أنه لم يمتلك في تكوينه  
أي شيء من حُسام، وأن موروثه منه لم يتعدى تكوينه الجسدي  
وبنيته الضخمة.

ابتسمت وهي تُكمل: لقد أحببتُ تلك المرأة دون أن أراها، لكنني  
رأيتها في ابنها، رأيت روحها الطيبة ونشأتها الأصيلة بحق.

\_ إنها امرأة عظيمة، وها أنت تنافسينها في العظمة.  
\_ عن أي عظمة تتحدثين وقد مرت بي ثلاث سنوات من دون أن  
أساهم في عودة ابنها إليها؟

\_ وكيف عرفتِ من الأساس أنه ابنها هي؟  
\_ حرصت على البحث في أدق التفاصيل غزل، وصلت إلى إدارة  
المشفى الذي وضعت به صغيرها، وتمكنت من مقابلة المريضة  
التي باعت ضميرها لحسام وقتها، لقد تقاعدت عن العمل  
وهي تُماثلني في العمر، لكنها أقسمت لي أن كامل مستمر في  
زيارتها داخل أحلامها باستمرار، لا يتكلم، فقط ينظر إليها نظرة  
يُتم تفتت قلبها القاسي نصفين.

أخبرتني أن حسام أعطاهما المال وأمرها ن تُلقي به في صندوق قمامة.

يا إلهي.

\_ قالت أنها لم تقدر على فعلها، ذهبت به إلى إحدى دور الأيتام وهناك قالت أنها وَجَدَتْه مُلقى في الشارع، وأنه ابن غير شرعي، ومن هناك بدأت مأساة كامل.

\_عزيزي كامل، ظننت أنني صاحبة القصة الأصعب هنا، ليصفعني الواقع بقصته.

\_أتظنين أن هذه النهاية؟

أصررتُ على معرفة موقعه، والوصول إليه حتى يأتي ويعيش في كنف أموال أبيه، كتعويضٍ له عما ناله في بعده.

ذهبت إلى الدار بعد أن حصلت على عنوانها من المُمرضة، كان البحث مستحيلًا لمرور أكثر من ثلاثين عامًا، لكن مع إبراز حزمة نقود تحول المستحيل إلى ممكن.

وكانت صدمتي، حصل الرضيع في الدار على كُنية، باسم كامل مصطفى إبراهيم، ذاك الرجل اليافع الذي يسكن منزلي.

لقد ذهبت للبحث عن ابن زوجي وهو يحيا معي منذ سنين!!.

لم تستطع غزل كبح دموع عينيها، بكت بالقدر الذي يكفي قلبها  
المرتجف حزناً عليه، وهي تعلم أن دموع العالم لن تكفيه.  
\_ ابيك يا غزل بالقدر الذي يكفيك، أما أنا فقد استنزفت دموع  
عيناى وقلبي من حينها.

أتعلمين ما الذي حدث للرضيع كامل مصطفى إبراهيم قبل  
كفالتى له؟  
\_ أرجوكِ كفى، قلبي لم يعد يتحمل.

\_ يجب أن تعلمي كل شيء، يجب أن تعلمي مكنون الرجل الذي  
اختاره قلبك.

\_ ماضيه لا يعنيني، أنا فقط أتألم قهراً عليه، أودُّ أن أمحو كل  
آلامه التي تُثقل كاهله.

\_ بعض الآلام لا تُمحي يا ابنتي، إنها تبقى عالقة بجدار الروح  
كالندوب، نُذكرنا بما عشناه معها كأنه البارحة.

هدأ صوت بكاء غزل، نظرت للسيدة وقالت: معكِ حق،  
أخبريني إذًا بما حدث له؟

\_ كنتُ قد ذهبت للدار عندما اكتشفت استحالة حملي، نويت  
أن أكفل طفلاً عله يكون عوضاً من الله لي، جلست مع مدير  
الدار وطلبت منه طفلاً رضيعاً، وقتها أخبرني أنه لديه العديد من

الرُّضْع، لكنه يتوسم بي الخير ويريد أن يكون ثوابي مُضاعفًا  
بكفالة طفل فقد والدته مرتين.

قاطعتها غزل قائلة: لا أفهم.

\_أخبرني المدير أن لديه صبي في عُمر الثامنة تقريباً، لا يتوقف عن  
البكاء والنداء على أمه، والتي للأسف لن تعود البتة.

\_هل كان ذاك الصبي كامل، هل كفلته إحدى السيدات قبلك  
ثم ماتت؟!

\_ليتها ماتت، كان الأمر ليكون أهون على قلبه الصغير، إنها المرأة  
الوحيدة في هذا العالم التي أحقد عليها وكلما تذكرتها دعوت الله  
أن يُذيق قلبها العذاب الذي أذاقته لقلبه، عدلاً من الله وليس  
ظلمًا.

كانت شابة لم يأذن الله لها بالحمل، مثلي ومثل الكثيرات غيرنا،  
ذهبتُ إلى الدار وتكفلت بالرضيع كامل، وكان ذلك بعد يوم من  
إيداعه الدار من قِبَل الممرضة، ومرت السنين، ثمان سنوات  
وكامل يُناديها بأمي، لا يعرف من الأساس أنها ليست أمه  
الحقيقية، تعلق بها كما يتعلق أي طفل بوالدته.. ثم..

أذن الله أن تدب الحياة في أرضها البور، ونبض رحمها بجنينٍ من  
صلب زوجها، وقتها تغير كل شيء، وقررت بمنتهى الأنانية

والقسوة أنه لم يعد لديها مكان لهذا الطفل اللقيط بينهم، وبالطبع تعرفين التتمة.

ازداد ارتعاد قلبها بين أضلعها، وحفر الدمع طريقه مجددًا على خديها، لكن عيناها كانتا تائهتين، مفتوحتان على وسعهما كأنها تُحدق بالفراغ.

لقد عانى كاملها الصغير نفس ما عاناه مالك!.

الآن تذكرت يوم أن عادت عائلة مالك به إلى الدار، تذكرت وجه كامل يومها وكيف كان مُنطفئ من شدة ما ألم به، تذكرت لجوئه لفاتن وكأنه يلجأ إلى أمه لتطمئنه أن هذا طفلٌ غيره يحصل على نفس مقدار الألم الذي حصل عليه، تُفكر كيف كان حال قلبه وقتها؟ كيف استطاع الوقوف على قدميه وتنظيم نبضاته دون أن ينهار وهو يُشاهد قصته تُعاد أمام ناظريه كفيلم سينمائي؟

\_وقتها رق قلبي على ذاك الصغير دون أن أراه، ووافقت مدير الدار على التكفل به رغم أنني كنت أتوق لرضيع يُحيي بي شعور الأمومة من جذوره، لكن ويا للعجب وجدتُ مع كامل ما لا تجده بعض الأمهات في أبنائها، وبات ابني الذي لم يكتب له الخروج من رحمي.

ولكي أقطع الشك باليقين، بعد انتهاء رحلة بحثي عن ابن حُسام، و وصولي إلى نتيجة أن كامل ابني هو ابنه، طلبتُ من الطبيب الفرنسي إرسال خصلةً من شعر حسام في طرد بريد إلي مصر، استغرب طلبي لكنه نفذه، وعندما وصلني الطرد حصلت على خصلة من شعر كامل هو الآخر وأرسلتهما إلي معمل للتحاليل.

وأكدت نتيجة تحليل الـ DNA بنوة كامل لحسام، من وقتها وأنا أعيش في صراع كيفية اخباره بالحقيقة دون أن أجرحه، ودون أن يكره العالم الذي لفظه من صُلب ذاك الرجل المُتجبر.  
\_ يا إلهي!

\_ هذا كل ما أعرفه، وما ينبغي لك أن تعرفيه، عن صغيري الحبيب، والذي يرفض مناداتي بلفظ أمي مذ احتضنته، وله كل العذر في ذلك.

\_ يخاف أن يفقدك، يخاف أن يستيقظ يومًا آخر فيجد نفسه دون أم، أخبرك بذلك لأنني عايشته شعوره وأعرف مرارة التعلق بشيء قد تسحبه يد القدر منك يومًا ما.

\_ قد تكونين مُحقة، لكنني أعترف أنني لا أستحق ذاك اللقب منه، وأنا أخفي عنه تلك الحقيقة المهمة.

\_ بعد كل ما أخبرتني به الآن، أي شخص بمكانك كان ليؤجل تلك الحقيقة عنه، حتى أنا لا أعرف كيف أفعلها، ولكني أفكر في السيدة هناء، تلك المرأة تستحق هذه المكافأة القدرية لها، تستحق أن تضم ابنها بين أحضانها بعد كل تلك السنون، وهو، إنه يستحق أن يرخي رأسه بين أحضان أمه بعد رحلته الشاقة مع الحياة.

نظرت إلى السيدة مريم وأكملت: كلاهما يستحق هذه النهاية السعيدة سيديتي.



تركت السيدة تتناول غداءها وذهبت لغرفتها، تناولت دواءً للصداع علّ الصخبُ في رأسها يهدأ ولو قليلاً، لكن القدر جاء بما لم تشتهييه.

رن هاتفها باسم فاتن، ردت وهي تُفكر في قرارة نفسها أن تأخذ رأيها فيما يشغلها.

\_فاتن، اشتقت إليك\_.

جاءها صوتها خائفاً، تتكلم بسرعة قائلة: غزل أحتاج إليك\_.

\_ماذا هناك يا فاتن؟

\_لقد حدثت جريمة قتل\_.



(24)

جريمة قتل

لا تتذكر كيف قطعت الطريق إلى الدار حيث استنجدت بها فاتن،  
ولا بأي حال استدعت المُرضة وأوصتها على السيدة، كل ما  
كان يشغلها هو كامل، اقترنت الجريمة في عقلها الخائف به،  
لعلمها السابق بتخطيط بنو أعمامه لقتله، اللعنة عليهم فردًا  
فردًا.

مرت ساعة مذ وصلت الدار، تجلس أمام فاتن داخل مكتب  
كامل مُنكسة الرأس، تُمسك رأسها بكفيها وكأنها تخاف أن  
يتركها ويهرب.  
لا تصدق ما حدث.

لقد قتلت عُلا ابن عمها عاصم!! .

\_ اعذريني على استدعائي لكِ يا غزل، لقد فقدت السيطرة على  
أعصابي كُليًا وأردت من يُشاركني جلوسي هنا ريثما يعود كامل.

\_ لا أصدق، كيف تفعل هذا بابن عمها؟

\_ لا علم لي بالحيثيات بعد، لقد تفاجأت بضابط الشرطة الذي  
جاء لاستدعاء كامل ومن حينها والوضع لايزال غامضًا.

\_ وما علاقة كامل بالأمر؟

\_ ربما لأنه خاطبها، لا أدري.

ضغطت غزل على رأسها بقوة وهي تقول: يا إلهي، أنا سبب  
هذه الجريمة، أنا السبب، لن أسامح نفسي قط.  
استغربت فاتن ما تسمعه منها، سألت مسرعة: لم تقولين هذا؟  
\_ سأخبرك بكل شيء.



\_ يا للهول ياغزل، تخونه مع عاصم، ويخططان لقتل كامل،  
وتبتز السيدة مريم بمعرفتها لمكان أمه؟  
قالتها فاتن بعد أن انتهت غزل من قص كل الحكاية عليها،  
دون أية أسرار هذه المرة، عليها تحظى منها على ما يُهدئ عقلها.  
\_ ما كان عليّ فعل ذلك، بالتأكيد قتلته لأنه التقط لها تلك  
الصور.

\_ ومتى كان القتل بهذه السهولة يا غزل، هل لو جاءك أحدهم  
وأخبرك أنني فعلتُ ما فعله هو ستقتلينني، أين رقابة الضمير  
والنفس إذًا؟

أنا لا ألومك في كل هذه الحكاية التي أخبرتني بها، بل كل اللوم  
يقع عليها هي، لقد حصدت هي وعاصم نتاج ما زرعه، أم  
حسبت أن الله سيغفل عن عقابهم؟

\_ لا أدري يا فاتن لا أدري صدقًا لقد توقف عقلي عن عمله منذ مدة.

نهضت فاتن من كرسيها وسارت إليها، جلست بجوارها واحتضنتها بهدوء وهي تربت على ظهرها بحنو، تعلم أنها في حاجة ماسة لمن يخفف عنها هذه الحال.  
\_ إذا تمكنت من معرفة أم كامل.  
\_ نعم.

\_ وللصدفة التي لا تُصدق فإنها المرأة التي ربتك.  
\_ بلى.

\_ ولسخرية القدر فإنها زوجة الرجل الذي تكفل بكامل، أي أنه تكفل بابنه.

له الحق عقلك أن يتوقف وأن يصيبه الجنون، الحمد لله أنني لستُ مكانك.

\_ هل تسخرين مني في مثل هذا الموقف، الله وحده يعلم كيف حالي.

جاءت صفاء فانقطع الحديث، قامت بكل ما يلزم مع الرضع ثم تركتهم في عهدة حسان وانضمت إليهما ركضًا عندما سمعت عن جريمة القتل، وجلس ثلاثتهن ينتظرن عودة كامل.



\_ألديك أية أقوال أخرى؟

رد بصدمة: لا، حضرة الضابط.

\_يمكنك الانصراف، ونعتذر عن تعطيلك كل هذه المدة.

خرج من الغرفة ومر على كل الحاضرين دون كلام، رأى صبا تصرخ وتخبط رأسها بالحائط حُزناً على أخيها المقتول، وعمه سليم والدها يقف هو الآخر لا يملك من أمره سوى البكاء في صمت، وعلى الجانب الآخر يقف العم سالم والد علا لا يصدق أن ابنته أقدمت على هذا الجُرم، لم يستطع التوقف ليحدث أحدهم، ولم يهتم أحدٌ بإيقافه.

سلك طريق العودة إلى الدار بنصف ذهنٍ حاضر، حمد الله وقتها أنه يستقل سيارة أجرة وإلا لكان مصيره الهلاك إن قاد سيارته وعقله مشغول بحيز التفكير الكبير هذا.

هاله كل ما كشفه له الضابط، ومقاطع الفيديو التي شاهدها وتلك الصور التي جمعت بين خطيبته وابن عمها، ماذا لو لم تكن غزل في حياته، هل كان سيتزوج بتلك المرأة حقاً؟!

تمتم بعبارات الحمد ألف مرة، وشكر الله الذي تكفل بكشف الحقيقة أمامه دون أي تدخل أو تديير منه.



\_كامل!

انتفضت غزل من على كرسيها عندما رآته يدلف مُتعباً إلى حجرة  
مكتبه حيث جلست هي وفاتن، أما صفاء فكانت قد عادت إلي  
عملها من جديد.

أكلت الخطوات التي تفصلها عنه و وقفت أمامه، تود لو ترتمي  
بين ذراعيه مُجدداً لكنها كبحت رغبتها واكتفت بأن شبكت كف  
يدها بيده، نظرت لداخل عينيه لترى التيه، أما هو فطالع عينها  
علّه يجد بره حتى يرسو عليه.

\_لقد قلقتُ عليك كثيراً.

قالتها بعد أن بقي صامتاً، تقدمت فاتن لتقف بجوار غزل  
وتقول: ماذا حدث يا كامل؟  
تنهد بقوة وهو يفتح أزرار بذلته، قال بضيق: لقد كنتُ مغفلٌ  
كبير.

نظرت غزل لفاتن، إذًا عَلِمَ بأمر علاقة عُلا بعاصم، لكن بالطبع  
لن يُظهرها له علمهما بالموضوع.

\_لم تقول هذا؟ قالتها فاتن مُتسائلة.

\_ لقد كانت على علاقة بعاصم، وخطبت إلىّ حتى تستولي على أموال اللعينة ثم تعود لعاشقها.  
ابتلعت غزل ريقها، يبدو أنه لم يعلم بأمر التخطيط لقتله، وهذا شيء لا بأس به في مثل حالته هذه.  
أكمل كلامه: لم تكن علاقتهما علاقة حب، بل علاقة مُحرمة ملؤها الانحلال والقذارة، واكتشفت هي بطريقة ما أنه يصورها في الخفاء، نشبت مشاجرة بينهما إثر ذلك فحاول أن يخنقها، لتنتزع هي سكين الفاكهة وتطعنه بقلبه طعنةً أودت بحياته.  
تهددت غزل، تستغرب طالما قصت عُلا كل شيء بالتحقيقات لِمَ لم تذكر اسمها إذا؟

جاءتها الإجابة تمشي على استحياء، إنها لا تريد لكامل نهاية سعيدة ولا تريد له أن يجتمع بوالدته.



قاد سيارته عائداً إلى القصر وهي تجلس بجواره، طالعته بشفقة، مظهره يؤلم القلب حقاً، رغم أنه لم يعلم مما يختبئ عنه إلا قشور، ماذا لو عِلِمَ بالباقي؟!.

\_ هل أنت حزينٌ عليها؟

\_ تعرفين أنها لا تعنيني، لكن رجولتي مجروحة.

\_تحتاجُ لأن تترتاح قليلاً يا كامل.

\_أحتاجُ لعناقك.

قالها ببساطة، كبساطةِ نفسٍ أخذه شهيقتاً وأخرجه زفيراً.

\_ماذا؟

\_هل ما أطلبه مستحيل، أريد قُربك، أريدك أن تعلقي بطيات جسدي كندوبي التي سئمتها، أريد ندوباً جديدة لا تحمل سوى رائحتك ياغزل.

تنهدت، هي تريد ذلك أكثر منه، لكن لكي تصل إلى تلك النتيجة عليها أن تعبر معه جسر الحقيقة، وتخاف كثيراً أن تفعل فتتردى من عليه، وتخاف أن يكون هو من يُردها.

\_ أعلم أن الوقت ليس مناسباً، لكن مُحاميّ الخاص بدأ بالتعامل مع قضية صديقتك سالي، بعد مُدة ستحتاج إلى التخفي في مكان آمن حتى يعقد زوجها عليها رسمياً؛ فأنا لا أضمن رد فعله.

\_أتفهمك، شكرًا لك، أعلم أن الأمر ليس هيناً.

\_بعد ما مررت به اليوم، كل شيء صار هيناً في ناظري.

همست في داخلها: "قد تُغير فكرتك هذه قريباً".





دلفا سوياً إلى القصر، كانت غزل تُناقشه في إعلام السيدة مريم  
بما حدث أو لا، يسيران متجاوران حتى بلغا صالة الاستقبال  
وغزل تقول : صدقني لا يجب أن تعلم بالأمر.

تفاجأت بصوت رجلٍ آخر يرد، رجلٌ غير كامل يجلس في صالة  
الاستقبال من خلفها، جاء صوته كسوط يضربها بعنف، يحرق  
جلدها بنبراته الحادة، والتي عجزت عن نسيانها:

\_لقد عَلِمْتُ وانتهينا.

استدارت فزعة، رأت السيدة مريم تجلس ولا تعلم من الذي  
سمح لها بمُغادرة الفراش، وفي قُبالتها يجلس الذئب البشري  
الوحيد الذي التقت به طيلة عمرها، والذي كان كافيًا لترك  
ندوبٍ عميقة بروحها لم تندمل حتى الآن.

☆☆☆

(٢٥)

تعري الحقائق  
(بعض الأمور يجب أن تبقى سرًا)

\_سيد حُسام؟

قالها كامل مُستغربًا عودة كفيhle المُتغيب منذ سنوات، وفي مثل هذا الظرف الحرج أيضًا.

خطا تجاهه ليُصافحه بفتورهما المُعتاد معًا، بينما وقفت غزل مشلولة الحركة واللسان، تتابعت صور الماضي أمام عينيها حتى تمنيت لو تفقد بصرها عليها تختفي، لقد مرت إحدى عشر عامًا كاملة مذ رأت وجهه القبيح آخر مرة، ولا يزال يملك نفس التأثير المقيت عليها.

لا يزال قادرًا على جعلها تكره أنها وُلدت أنثى!.

حاولت أن تهدئ نفسها مُستغلة انشغاله مع كامل، ربما تغيرت ملامحها قليلًا واحتل نضج الشباب وجهها بعد براءة مُراهقتها التي أزهقت على يديه، ربما لن يتعرف عليها.

نبض قلبها بخوف؛ حتى لو لم يتعرف عليكِ فأنتي لا تزالين أنثى، الذئب لا يفرق معه إن كانت فريسته نعجة أم غزالة، هو فقط يفترس.

جذبها صوت حُسام يقول: أول شيء أقابله عند عودتي جريمة القتل هذه؟

رد كامل بهدوء: إنه قدر، ولا علاقة لحدوثه بعودتك.

\_بالطبع لا علاقة له، لكنني سأضطر الآن للذهاب لشقيقاي  
لساندهم بدلاً من الاطمئنان على أملاكي.  
الحقير!

إنه بالفعل رجلٌ حقير، وتسري في أوردته دماء عائلته الأكثر حقارة،  
هل أملاكه أكثر أهميةً من دماء ابن أخيه التي أُرِقت؟  
رد كامل: أملاكك كلها في الحفظ والصون، لقد اضطلعت بها  
كلها وقسمت جهودي بينها وبين الدار.

\_أعرف اعرف، وأعرف أن زوجتي المصون قد باعتك إياها  
جميعها، فكيف لا تهتم بها؟

أغمض كامل عيني، لا يود لمثل هذا الحديث أن يُدار أمام غزل،  
نعم سيُخبرها، لكنه يودُّ لو يحدث ذلك بينه وبينها، وليس  
علانيةً هكذا من خلال حديث سمج كهذا.

\_نقل ملكية الأموال كان لحمايتها من نهب عائلتك، وبما أنك  
عدت سالماً؛ فسأعيدها إليك اليوم قبل الغد... أنا لا أقبل  
الحرام.

ابتلعت غزل ريقها وهي تُطالع السيدة مريم والتي تجلس  
منكسة الرأس.

حرام، إنها أكثر كلمة تصف الشعور الدائر بين خلجاته طيلة سنوات عمره التي قضاها داخل هذا القصر، يشعر أنه يتنفس هواءً ليس من حقه، يتناول طعامًا ينبغي أن يدفع ثمنًا له، ينام في غرفة لا يجد بين جدرانها راحة، كل ذلك لانضمامه إلى هذا المكان في سنٍ واعٍ جعله ببساطة يشعر أنه غريب.

تخيل أن يشعر الإنسان بالعُربة في دياره؟

دمعت عينا غزل، أيّ غربة عاشها قلبك كل تلك السنون دون وجه حق يا كامل، أي ألم تحملت بنفسك العزيزة هذه؟ أنت لا تستحق وقفة الانكسار التي تقفها في حضرة هذا الرجل، لا تستحق أيًا مما حدث لك.

استدار كامل ينظر لها، ولعن نفسه أنه فعل؛ فقد رأى النظرة التي كان يخشى رؤيتها داخل مقلتيها.

ابتسم لها بهدوء وقال: هي غزل، أيمكنك اصطحاب السيدة مريم لغرفتها.

أومأت له خائفة، لاحظت اختلاف ملامح وجه حسام مذ نطق كامل باسمها، وكأنه بذلك قد سلط كشافات الضوء عليها دون أن يدري أمام ذاك الرجل والذي للأسف أباه، سارت خطواتها لا تعرف كيف وهي تتخبط في خوفها، انحنى تُساعد المرأة على

الوقوف واستدارت بها، وجدته ينظر داخل عينيها بالتحديد  
ويبتسم ابتسامة تحفظها عن ظهر قلب.  
قال: غزل؟

لم تشعر بقلبها حينها، دقت طبوله بطريقة كادت أن تصم  
أذناها، أما هو فكان قد فطن بها وانتهى الأمر.  
من يرى هذه العيون كيف ينساها؟  
والاسم المميز، والذي كان سببا كبيرا في اختيارها دون غيرها من  
البنات، كيف تعتقد أن من الممكن ألا يعرفها؟  
أسرعت تهرب من أمامه تساند السيدة ، لتؤكد له بهروبها أنها  
بالفعل هي، ابتسم بخبث كذئب جاءه الصيد مُقدماً على طبق  
من ذهب.



نامت المرأة بعد أن تحدثت مع غزل، ورغم نومها إلا أنها لم  
تستطع مُغادرة غرفتها؛ لأنها وبكل بساطة تخاف.  
تخاف وتتمنى لو تُغمض عينيها فتختفي من المكان برمته.  
سمعت صوت دقات خفيفة على الباب كانت كافية بجعل قلبها  
يذوب قلقاً، لكن الباب انفتح ليظهر وجه كامل باثناً الأمان  
بقلبها.

\_هل نامت؟

قالها بعد أن دخل وهو يطالع الفراش بوجه يبدو أن لديه كلام لا يعلم من أين يبدوؤه.

\_نعم.

\_لِمَ لم تنزلي إذًا؟

اضطربت، قالت بتوتر: أنا، أنا لم أعتد المكان وبه رجل. رأته ينظر لها نظرة مطولة، يعض شفته كأنه يحشها على الكلام ثم يمنعها عنه، قال: لقد غادر السيد حُسام لشقيقه، هل بإمكاننا النزول قليلاً؟

هل حان الوقت بهذه السرعة؟

التقطت نفساً عميقاً وكأنها تُثبت به قلبها بين ضلوعها، لا بأس، هي تنتظر هذه اللحظة منذ مدة ولا ينبغي أن تهابها الآن.

☆☆☆

جلس بجوارها على الأرض الرطبة في الحديقة، عم الصمت المكان لفترة جعلته يستغربها، إن غزل ليست بهذا الغباء كي لا تُلاحظ \_على الأقل\_ اختلاف كنيته عن كنية حسام.

\_لن تتكلمي؟

\_لن أتكلم.

\_ ولن تسألني؟

\_ لن أسأل.

نظر إلى عينيها وقال: لماذا يا غزل؟

ابتسمت له بصفاء، تحلت ببعض الجراءة التي جعلتها ترفع كفها وتضعه على كفه الكبير عليها تحتويه وتحتوي قلبه بهذه اللمسة البسيطة.

قالت بهدوء: لأنني أعرف.

\_ تعرفين ماذا؟

\_ أعرفُ كامل.

\_ كامل من؟

\_ كاملي أنا، ولا حاجة لي بأي معرفةٍ أخرى.

\_ إن كاملك المزعوم أكثر الرجال نقصًا على وجه الأرض.

\_ بل هو أكملهم جميعًا في عياني وقلبي.

\_ كاملك مُجرد، لا يملك حتى اسم صحيح لنفسه.

\_ يكفيني أن أملكه هو، لا حاجة لي باسمه أو عنوانه.

\_ المجتمع الذي نعيش فيه لا يعترف بكلامك هذا.

\_ فليذهب المجتمع وكل من فيه إلى الجحيم طالما أنك بجواري.



أخفض وجه مُبتسمًا، حك جبهته لتبتسم هي الأخرى وهي  
تطالعه، لم تتوقع أن يكون الأمر بهذه البساطة.

نظر إليها وقال: منذ متى تعرفين؟

\_ منذ أول ساعة لي مع السيدة مريم، لكن لا تظلمها، لم تكن  
تعرف أنني من الدار.

\_ ولمَ لم تقولي، لم تتركيني أكمل تلك التمثيلية الحمقاء أمامك.

\_ أردتك أن تتعري بالحقيقة أمامي وأمام نفسك بكامل إرادتك  
وحريتك، أن تقولها لأنك تُريد، ليس لأنه ينبغي عليك قولها، أن  
تتحرر من القيود التي تُلغ نفسك بها يا عزيزي.

وإننا لن نتحرر من قيودنا إلا بتقبلنا لذاتنا يا كامل، بكل أحوالها  
وأوجعها.

تنهد بعنف كأنه بخرج حزنه مع أنفاسه، همس بضعف: أنت لا  
تعرفين شيئًا.

\_ بل أعرف.

\_ بربك، ليس لأنك تعملين وسط أيتام فذاك يعني أنكِ  
ستتفهمين شعورهم.

وجدها تبتسم له، ابتسامة لم يعهدها بمحياتها إلا وتبعها اعترافٌ  
كبير.

قالت: قبل أن أعمل بينهم كنتُ منهم يا عزيزي.  
شعر أنه لم يسمع آخر كلامها جيدًا، أو علّه سمعه لكن عقله  
أو صد بابه في وجهه، قال يستفهم: ما...ماذا؟  
\_ أنا أيضاً غزل وحسب، مجردة من الأم والأب، أزيد عليك فقط  
في أنني أعرفهما، سرقتُ من والدي اسمه قبل أن يسرقه الموت  
مني.

\_ غزل؟

\_ لم أحظ بالوقت الكافي لحفظ رائحة أُمي، كنتُ صغيرة، رضيعة  
بعمر الشهور، مصحوبةً معهم في كرسي السيارة الخلفي لرحلة، لم  
يكن والدي يعلم أنه يقود لرحلتهما الأخيرة، وانقلبت السيارة في  
حادث معهود في بلادنا، وصارت غزل التي أمامك، غزل وحسب،  
غزل التي عاشت عُمرها كله تكره اسمها رغم أنه الإرث الوحيد  
الذي أخذته منهما، بطريقة أو بأخرى يربط عقلي بينه وبين  
فقداني لهما.

احتل الحزن وجهه كليًا، شعر أن قبضة وحشية تعتصر قلبه بين  
أضلعه، المرأة الوحيدة التي أحبها، والذي ظل يُماطل الأيام  
مُخفيًا حقيقته عنها، تجرعت من نفس كأس الفقد الذي تجرع  
منه قبلها.

أيواسيها الآن أم يواسي نفسه؟  
نزع يده من تحت يدها ليحتوي كفها كله داخل قبضته، وكأنهما  
يتبادلان أدوار المواساة والأزر، نظر لعينيها وقال: كُل هذا تُخفيه  
عني، وبهذا الاتقان؟  
\_ لم يقل لك أحد ألا تتفحص ملفي ساعة التحاقني بالعمل.  
\_ فاتن تفحصته، اووه فاتن.  
\_ لا بأس؛ فقد استمتعت حقًا بلعبة القط والفأر هذه.  
\_ لكن ماذا عن أقرباء والديك، ما الحاجة إلى الدار و عائلتك  
معروفة.  
\_ من العيب أن يخرج هذا الكلام من مديرٍ لدار أيتام، الآباء هذه  
الأيام يلقون بأولادهم بأيديهم داخل الدار، كيف بعائلاتهم من  
الدرجة الثانية إذًا؟  
\_ تخلو عنك.  
\_ لا أحد يشغل باله برضيعة تحتاج رطلاً من الاهتمام، عليهم  
تمنو موتي معهما في الحادث.  
\_ و...السيدة هناء؟  
قفز قلبها في مكانه، لا، ليس الآن..

من المستحيل أن يكون الآن، لا تقدر على ذلك ولا هو سيقدر  
على تفهم الأمر في هذا الوقت، يُعجبها تسلسل الحقائق  
كمشروب لاذع يرتشفه بترؤ، ولا طاقة لها أن ترفع الكأس على  
فمه وتُسقيه له جرعةً واحدة.

\_كفيلتي يا كامل، مثلها إليّ كمثل السيدة مريم إليك.

\_قد لا تصدقين لكنني شعرت بذلك حين التقيتها، إنها لا  
تشبهك البتة.

ضحك وهو يكمل: لو نستطيع توزيع الأدوار حسب التشابه،  
فكان من الأولى لها أن تكون أُمي أنا.

يضحك؟

هل يضحك حقًا وهو ينطق بأهم حقيقة في حياته، كيف  
سيكون حال قلبه لو أخبرته الآن أن مزحته هذه هي عين  
الحقيقة؟



\_لا تغادر.

قالتها غزل وهي تتشبث بذراعه، جاءه اتصال هاتفي من حُسام  
يطلب مجيئه لمقر عمله لتصفية بعض الأمور العالقة.

استغرب فعلتها وقال: ماذا هناك يا غزل؟

توترت، مُجرد شعورها أنها ستظل في القصر بدونه يعصر قلبها من الخوف، والمشكلة أنها لا تملك التعبير عنه، لا تملكه خاصّة بعد أن عَلِمَت أن مُفترسها هو ذاته والد الرجل الوحيد الذي شعرت بالأمان جواره.

ماذا لو عاد قبل عودة كامل، قد تموت حينها من الخوف تُقسم على ذلك.

\_أنا.. أنا فقط خائفة، قلبي مضطرب منذ الحادثة ولا أريد أن أجلس وحيدة دون صحبة.

\_لا تقلقي لن أتأخر، كما أنني لن يرتاح لي بال قبل أن أسلم لذاك الرجل كل أملاكه.

نظرت داخل عينيه، الآن بعد أن صارحها وصارحته باتت تمتلك جرأة طرح الأسئلة، أي سؤال سيدق أبواب عقلها ستطرحه دون تردد، يا إلهي يالها من خطوة مريحة.  
\_أنت لا تحبه.

\_هل سأكون جاحدًا لو قلت نعم؟

\_إن كنت تمتلك أسبابك فلا أظن هذا.

\_كل ما أستطيع قوله أنه لم يكن يومًا الرجل الذي أتمنى أن يصير والدي.

تركها وغادر، تُحارب صراعها وحيدةً بعد آخر جُملة.  
لا يوجد عاقل على ظهر البسيطة قد يتمنى يومًا أن يكون  
حسام والده، لكنه والده مُرغمًا، والده دون أن يتمنى.  
ووالده دون أن يعرف، وسُحقًا للقدر الذي يُحتم أن تُساق إليه  
هذه الحقيقة المرة من خلالها هي.



\_ هل أخبرته؟

قاتلها السيدة مريم بعد أن استيقظت، تجلس غزل بجوارها  
وهي تُطالع كوب الشاي الفارغ بين كفيها وعقلها يُحاول إيجاد  
الطريقة المناسبة لذلك.

\_ أخبرني عنه، وأخبرته عني، لكنني لم أتطرق أبدًا لموضوع والدته.  
\_ يجب أن يعرف، الأمر صعب لكنه ليس مستحيلًا.

\_ سيدتي، ما طبيعة العلاقة بين كامل والسيد حسام؟  
\_ إنها علاقة عادية.

\_ لم ألاحظ ذلك في الدقائق التي جمعتها سوياً أمامي، تلك  
الدقائق التي جاءت بعد أكثر من ثلاث سنوات فراق بينهما،  
وكانت خالية من أي لهفةٍ وشوق.

تهدت المرأة بعد أن فهمت إلام ترمي، قالت: إن حُسام عامَّةً بلا  
مشاعر، لم يعتد أن يحمل مشاعر تجاه أي مخلوق حتى تجاهي،  
ما بالكِ برجل في اعتقاده أنه لم يخرج من صلبه.

ابتسمت غزل بتهكم واضح وسخرية لاذعة، قالت: على من  
تضحكين سيدة مريم، وهل إن عِلْم السيد حسام أن كامل هو  
نفسه ابنه الذي رما به في الماضي سيفرح، هل سيشعر بالسعادة  
أن القدر حفظ له ابنه من الضياع، هل سيبيدي أي ندم على  
فعلته وقتها؟

إجابة تلك الأسئلة هي سبب تمنعي عن إخبار كامل بأمره،  
بالنسبة له أن يظل دون أب أرحم من أن يكتشف أن ذاك  
الرجل أباه.

\_ لهجتكِ شديدة تجاه حُسام، رغم أنه من رعاكِ أنت الأخرى.  
ضحكت غزل بمرار..

ضحكت بمقدار الخوف الذي سكن قلبها من قبل وعاد ليغزوه  
الآن، نظرت للسيدة وقالت والدمع يتلألأ في مقلتيها:  
\_ ااااه، لا تعلمين حقًا كم رعاني.

\_ غزل؟

صاحت غزل بعد أن فقدت القدرة على كتم سرها أكثر من ذلك:

\_ إن زوجك الموقريا سيدي، كاد أن يجعل زواجي بابنه مُحرمًا، ولكِ الحرية في فهم ذلك.

تركتها وغادرت، مُتجاهلةً خوفها منه ومن عودته وحيدًا دون كامل، شعرت أن هواء الغرفة يخنقها.

وأن نظرة السيدة مريم المصدومة سوّط يجلد قلبها بعنف.



وقفت في شرفة عُرفتُها، حل المساء وقاربت الساعة التاسعة ولم يعد أي من الرجلين، استنشقت الهواء البارد وهي تتمنى أن يمر القادم على خير.

نعم ستخبره؛ فهي لن تحتمل أن تبيت ليلةً أخرى في قصر يجمعها مع ذاك الذئب، قلبها لن يتحمل رجفة أخرى وسيسقط صريعًا، وملاذها الوحيد للمغادرة أن تغادر مصطحبةً كامل من يده لتسلمه إلى أحضان أمه.

دخلت غرفتها تبث آلامها لدفتر مذكراتها والذي بات خزينة أسرارها مؤخرًا، مضى بعض الوقت بها دون أن تشعر به لتسمع صوت دقات على باب الغرفة.



أسرعت بإدخال الدفتر أسفل الوسادة، ثم وضعت حجابها  
بإهمال وذهبت لتفتحه متوجسة من هوية الطارق.

\_كامل هل عدت أخيرًا؟

قالتها وهي تتنفس الصعداء فور أن لمحته، ابتسم لها رغم  
سحابة الحزن في عينيه وقال: أحتاجك.

كلمة واحدة نطق بها، ولا تعرف كيف يُمكن لكلمة أن تدمي  
القلب هكذا، ربما كان لنبرته حين نطق بها مفعول خنجر اخترق  
صدرها ليستقر به، أو لمعة عينيه الحزينة التي سرعان ما أطفأت  
مصباح عينيها.

\_ماذا هُناك يا كامل؟

\_كامل ينهار ياغزل.

\_يا إلهي.

دخل الغرفة معها وتركا بابها مفتوحًا، وقفا في الشرفة الواسعة  
سويًا وهي تنتظر منه أن يتكلم.

\_تخيلي يا غزل، لقد عملتُ مع ذاك الرجل منذ نعومة أظفاري،  
واستطعت أن أمتلك مالي الخاص من خلال المرتب الذي كنت  
أحصل عليه جراء كدي وتعيي، حافظت على المال وأنشأت به  
تلك الدار والتي كبرت يومًا عن يوم، ورغم ذلك لم أتركه ولم أترك

أعماله، بل إنني تخليت عن راتي وصرت أعمل دون مقابل فقط حتى لا أشعر بالذل والمهانة.

تخليتي بعد ذلك كله، وبعد قيامي بكافة أعماله وحدي مدة ثلاث سنوات كاملة، يأتي اليوم ويُعيرني بكفالتة لي، يطلبني ليُهبيني أمام موظفيه وأنني مثلي مثلهم لا أملك شيئاً ولا أمراً ولا نهياً.

أنا أستغربه حقاً، هو حتى لم يشكرني، كأن ما قمت به شيء عادي، لا يعلم أنه يُرّبي داخل شركاته وحوشاً كادت تلتهم كل شيء لولا تدخلاتي، وأن من خلفه عائلة كالعقارب تنتظر موته لتبتث سمها في ممتلكاته اللعينة.

\_كامل، يا إلهي! ألهدنا تأخرت هكذا؟

\_كنت قد أقسمت على ألا أعود إلى هذا المكان، أنا أختنق هنا يا غزل.

أختنق...

لم أبدأ بالتنفس إلا عندما رحل، وصار تنفسي أكثر سلاسة عندما صرت أنت بجواري هنا، لكني الآن أشعر كمن سلب رثته، أيّ له أن يتنفس؟

نظر لها فجأة وقال: سنغادري يا غزل.

\_نغادر ماذا، وإلى أين؟

\_سنغادر هذا القصر، أمتلك في حسابي البنكي مالا يكفي لشراء منزل، حتى لو كان بسيطًا أو حتى ضيقًا فبك يتسع، المهم ألا أضيع ما تبقى لي من عمر في هذا المكان.

ارتمت بجسدها على كرسي موضوع في ركن الشرفة، تود لو تستطيع لمس قلبه ونفض أحزانه عنه، بل تود لو تملك تغيير واقعه المرير كله، باتت توقن أن معرفته بأن حسام والده لن يغير من الأمر شيء، وأن الحسنة الوحيدة تكمن في لقائه بأمه، وأنه من أجل أن تصل به إلى البر الذي تستقر فوقه أحضان أمه، عليها أن تغرق معه قليلًا في طوفان والده.

قالت: وماذا عن السيدة مريم؟

\_إنها أمي التي لم تلدني، لم تتخلى عني للحظة ولم تُشعرنني أبدًا أنني لست ابنتها، أنا أدين لها باستمرارية حياتي فلولاها لكنت ميتًا من فرط حزني، ولهذا فهي لن ترضى لابنتها أبدًا بهذه المعاملة..

ظلت صامته تفكر؛ فقال: هل ستأتين معي؟

نظرت إليه، قالت بهدوء: بأي صفة؟

\_حقًا تسألين، ماذا يدور بيننا من مشاعر ياغزل؟

ابتسمت تقول: لا أدري، ربما القليل من الحب.  
رفع حاجبه مستنكرًا وقال: القليل؟  
تنهد وقال بنفاذ صبر: حسنًا، هذا "القليل" ما نهايته؟  
\_ أن يُصبح أكثر قليلًا؟  
\_ ياغزل الغبية.  
تركها ودخل إلى الغرفة لتتبعه مسرعة وهي تقول: مهلاً مهلاً،  
انتظر.  
استدار لها قبل أن يعبر الباب وقال: أقسم لو نطقتِ بمزيدٍ من  
الغباء لأهشمَن لكِ رأسك ذو المخ الأبله هذا.  
ابتسمت له وقالت: ألم يُحذرك أحدهم يومًا من الدخول إلى  
غرفة امرأة تُحبك؟  
تحولت ملامح وجهه بسرعة من الغضب إلي السرور، ابتسم  
حتى ظهر صف أسنانه وحك جبهته، يبدو أن السيد كامل يشعر  
بالخجل.  
قال وهو يكتم ضحكاته: لا لم يحذرنى أحد.  
تقدم عائداً للداخل وأغلق الباب خلفه، شهقت في خوف  
وقالت: ما... ماذا تفعل؟  
\_ أدخل غرفة امرأة تحبني، أم تظنني سأهرب مثلك؟

\_كامل.

فتح ذراعه أمامها وقال: هيتّ لك.  
من المُفترض أن تخجل الآن، أو أن يُصيب قلبها ذو الذاكرة  
القبیحة مع الأبواب المغلقة الخوف والهلع، لكنها عوضًا عن هذا  
وذاك انفجرت في الضحك من هيئته وكلماته.  
ضحك هو الآخر ثم تقدم حتى صار لا يفصله عنها خطوة،  
انحنى وطبع قُبلة حانية على مقدمة رأسها وهو يقول: فلتدم  
ضحكاتكِ عُمَرًا كاملًا ياغزلي.  
لقد عرفتُ الآن معنى أن يُختزل حنان العالم كله في قُبلة ممن  
تحب!.

تركها وغادر مُرغمًا؛ ففتاته لا عِلْم لها حقًا بما يفعله تفرده بها  
داخل غرفة واحدة بقلبه، وسيحرص ان يُعلمها به ذات يوم.



دق باب الغرفة بعد رحيله بلحظات، ظنت أنه عاد لتفتحه وهي  
تضحك قائلة: هل نسيت ما قلته...  
اختفت ضحكتها وانقطع صوتها عندما رأت من بالباب؛ الرجل  
ذو الوجه الأقيح والنية الأسوأ على الإطلاق، حُسام.  
\_يا إلهي.

\_ماذا، أرايتِ وحشاً، أم أنني كبرت ولن أستطيع أن أفي بحاجتك  
مثل الشاب الذي خرج من غرفتك لتوه؟  
صفقت الباب في وجه بقوة وتهاوى جسدها على الأرض، سدت  
أذنيها بكلتا يديها عندما سمعته يقول بالخارج بصوت يخرج  
كفحيح الأفعى:

\_انظري للقدر الذي يُقدمك إليّ على طبق من ذهب، أتظنيني  
سأتجاهل عطيته هذه المرة أيضاً؟  
خفق قلبها حتى كادت تصمها دقائقه، تكورت بجسدها الضعيف  
في ركن الغرفة بعد أن أوصدته بالمفتاح و وضعت خلفه أريكة،  
نزلت دموعها شلالات من القهر والألم على خديها، لم تكن تعلم  
أخرج من عينيها أم من قلبها الضعيف.



استغرب باب غرفته الذي دق في ساعة مُتأخرة من الليل وهو  
من كان يهم بالنوم استعداداً لرحيل الغد، فتح الباب ليتفاجأ  
بها تقف أمامه ووجهها لا يُبشر بخير.

\_غزل حبيبتي، لم تنامي بعد؟  
لم ترد عليه، بل دفعته برفق للداخل ودخلت هي الأخرى  
وأوصدت الباب خلفها!!

نظر إليها مُندهشًا فعلتها كثيرًا، يعرف غزل ويعرف أخلاقها وأنها  
لن تُقدِّم على هذه الحركة إلا وكان لديها سبباً قوياً، خاصةً وأن  
وجهها خالٍ من أي لمحة رومانسية أو مرح.

\_ماذا تفعلين يا حمقاء؟

نظرت إليه بعيون ترتعد، قالت تحاول الثبات: سأبيت ليلتي هُنا.

\_ما الذي تقولينه؟

\_أرجوك يا كامل أرجوك، اسمح لي بالبقاء هُنا الليلة.

كانت ترتعد وهي تتكلم، يشعر بذلك دون أن يلمسها، سحبها  
من يدها وأجلسها على الأريكة ثم ناولها كوب ماء وهو يقول:

\_اشربي هذا واهدأي.

ارتشفته كله جرعة واحدة وكأنها لم تذق طعمًا للمياه منذ  
سنون.

عقد ذراعه واقفًا أمامها وهو يقول: والآن ستشرحين لي سبب  
هذا الطلب الغريب.

نظرت إليه عاجزة، من المُستحيل أن تخبره هذا الموضوع  
بالتحديد، قالت برجاء: إنها أول مرة أرجوك فيها بشيء، فلا

تردني.

\_رجاؤك أغرب ما يكون ياغزل، وأغرب رجاء قد يخرج منك  
خاصةً.

\_فقط هذه الليلة ياكامل، والتي انقضى نصفها بالفعل، أرجوك.  
\_تكلمي يا غزل.

لزمت الصمت وبدت أنها لن تفصح عن سببها مطلقًا، تنهد ثم  
توجه إلى باب الغرفة وفتحه.

نظرت إليه وإلى فعلته بخوف شديد، وجدته يطالعها بعيون  
حادة ويقول: عودي لغرفتك.

\_كامل.

\_الآن، دون نقاش.

وقفت عن الأريكة مهزومة، سارت نحو الباب كأنها تجر قدميها  
جزًا، رأسها مُنكس وتبدو كما لو كانت تسير إلى موتها بقدميها.

توقفت أمامه عند مدخل الغرفة، عليها ترى اللين في عينيه لكن  
سحقًا للنظرة الشديدة التي أحاطها بها، خطت خطوة أخيرة  
مُبتعدة، ثم رجعتها مجددًا، رفعت قدمها تحاول الخروج فلم  
تستطع.

وقف هو يراقب حالتها الغريبة، يعرف أنها ستنهار بسرها قريبًا،  
ويكاد يجزم أنه عرفه.



استدارت تنظر له فجأةً والدموع تُسابق كلماتها التي خرجت  
متتابعة تقول: سيغتصبي، لو بقيت بغرفتي سيغتصبي.  
اتسعت عيناه دهشةً وسرعان ما سحبها مجددًا لداخل الغرفة  
وأغلق بابها، هزها بعنف وهو يصيح:

\_ من الذي تجرأ وتعرض لك، تكلمي يا غزل!!

شهقت بالبكاء أكثر وأكثر إثر هزاته له، وكأنه ينفذ عنها كل ما  
عَلِقَ بروحها الجريحة.

حاولت التكلم وسط الدموع والثبات أمامه فلم تستطع، لا  
بأس أحيانًا من الانهيار في حضرة من تُحب.

قالت بضعف: حُسام، حُسام الحقيير لعنتي التي لن تحل عني.

\_ تقولين من؟

حضر عقلها الغائب أخيرًا وعرفت أنها قامت بمُصيبة؛ فكيف لها  
أن تخبره بعد هذه المعلومة بأنه هو ذاته والده؟

\_ انطقي يا غزل ولا تفقديني صوابي، هل تعرض لك ذاك الرجل  
اليوم؟

انهار جسدها الرخو على الأريكة مجددًا، علمت أن لا مفر من  
الحقيقة كاملة، قالت بضعف: لم يكن اليوم ياكامل، كان بالأمس  
القريب، الأمس الذي يرفض مغادرتي بذكرياته البشعة.

جلس أمامها لا يستوعب كلامها، قال بحذر: هل عرفتيه من قبل؟  
نظرت إليه وقالت: السيد حُسام رفعت هو زوج السيدة هناء يا كامل.



وقف في شرفة غرفته يحاول تهدأة نفسه بعد ما سمعه منها، بالكاد يمنع نفسه من الخروج والفتك به حتى يلحق بابن أخيه اللتوفى، قبضتاه تعصران سور الشرفة تكادا أن تهشمانه من شدة غضبه، أما هي فقد ظلت على جلستها بالداخل بعد أن دلت بدلوها.  
\_ سأذهب لغرفتك.

فجأة وجدته أمامها ينطق بما سبق، نظرت له وقالت: ماذا؟  
\_ ستيتين أنتِ هنا في غرفتي، لن يخطر له ذلك على أية حال، ومع هذا أغلقي الباب من الداخل جيداً، وأنا سأذهب للمبيت بغرفتك.

على كلٍ هذه آخر ليلة نقضيها هنا.



فتح باب غرفتها بحرص ودخل، الغرفة خاوية وباب الشرفة المفتوح جعل رائحة النعناع الأخضر تغمرها ليطأ الدفء قلبه مجرد أن وطأها.

جلس على الفراش يُمسك رأسه، يكاد أن ينفجر منه منذ آخر ما سمعه، كان يظن نفسه بحر أسرارٍ كبير، ليكتشف أن غزل فاقته في أسرارها حد تحولها لمحيط ضخم لا يزال يشعر أنه يخفى له المزيد.

رفع قدميه على الفراش واستلقى، شعر بشيء صلب أسفل رأسه لا يُريحه، نهض مُجددًا ومد يده أسفل الوسادة وسحبه... ليجد أنه دفتر يوميات.



(٢٦)

طريق الديار  
(من هنا بدأت، وإلى هنا نهايتي)

نهضتُ صباحًا على صوت دقاتٍ على باب عُرفتُها، جلستُ بالفرّاش وفركتُ عينيها بقوة، لا تُصدق أبدًا أن جسدها تمكن من النوم رغم كل القلق الذي انتابه، ابتسمت وهي تتذكر أنها نامت على رايحة التي تملأ الغرفة والفرّاش؛ فكيف لقلبها ألا يستكين ويُخضع الجسد له؟

ارتدت حجابها وفتحت الباب، وجدت كامل يقف أمامها، يطالعها بنظرة غريبة.  
\_ صباح الخير يا كامل.

\_ صباح النور، الآن ستوجهين لغرفتك، وستنضم إليك الخادمة صفية بتعليماتٍ مني، ستبقين بالغرفة حتى يأتي إليك السائق مصطفى ويخبرك بأنه قد حان الوقت، وحتى ذلك الحين إياكِ أن تبرحي غرفتك أو تفتحي الباب لأي مخلوق.  
قال كلماته بعملية شديدة أقلقته، حتى أنه رد التحية بفتور بحت، والآن ها هو يتركها ويُغادر دون أن تفهم أي كلام.



دخلت غرفتها التي احتضنته بين جنباتها ليلة كاملة، بدأت في جمع أغراضها استعدادًا للرحيل، بدأت بثيابها فباقي الأغراض

حتى انتهت تقريبًا في غضون ساعة، وقفت تلتقط أنفاسها  
وتذكرت شيئًا.

دفتر يومياتها!!

شهقت مُتفاجئة وتذكرت أنها تركته بالأمس أسفل الوسادة، دق قلبها بناقوس الخطر، تشعر أن هُنَاكَ كارثة قد حدثت هنا ليلة أمس، وسُرعان ما تذكرت هيئة كامل هذا الصباح ليزداد خوفها وذعرها.

رفعت الوسادة لتجده مكانه، لكن الخطر لم يزل بعد، فتحتته مُسرعة عند آخر صفحه توقفت بالكتابة فيها.

وسكنت كل الأصوات فجأة.

بدأت أنفاسها بالتسارع، وعلت دقاتها عن المعتاد لدرجة الطنين؛ فهُنَاكَ، عند آخر سطرٍ قد توقفت بالكتابة فيه، وجدت خطأً غريباً عن خطها، لا حاجة لها بتخمين من صاحبه، كتب وكأنه يطعن قلبها:

'كنتِ أنتِ آخر من توقعته أن تأتي ضربتي القاضية من خلاله، مع ذلك لا ألومك، فلستِ أنتِ صاحبة تلك الضربة بل كان القدر، لكنني لا أعدك بقاء جديد قبل أن يندمل هذا الجرح

الذي يفتعل في صدري ويدميه، إلى ذلك الحين.. إلى أن نلتقي  
بقلوبٍ خالية من أي أسرار أو وجع، تقبلي مني وداعي "  
سقطت على الأرض وهي تحتضن دفترها، وتساقطت عبراتها  
سريعًا لتبلل ما ظهر منه من أوراق.

همست بقلب منفرط: لماذا يا كامل، لماذا، قلت بنفسك أنه لا  
ذنب لي؛ فلم تختبر وداعي الآن وأنا في أمس حاجتي إليك؟



تتابعت الصور بعد ذلك بطريقة لم يقدر عقلها على استيعابها  
كلها؛ فكان قد توقف عمله عند آخر ما قرأه في الدفتر.  
جاءت صفيّة وظلت معها بالغرفة بعد أن تمت أنها جمعت  
كل أغراضها، أوصلتها سلام السيدة مريم والتي منعها كامل من  
لقائها هي الأخرى، يبدو أنه يُصب غضبه على الجميع ولا تقدر  
أبدًا على لومه.

استقلت السيارة مع السائق مصطفى تحت أنظار حُسام  
الغاضبة؛ فها هي فريسته تتمكن من الخلاص منه مجددًا، ولا  
علم له إن كانت ستقع بين يديه مرة أخرى أم لا.  
تفاجأت بـمصطفى يقف بالسيارة أسفل منزلها القديم؛ المنزل  
الذي استأجرت فيه غرفة على السطوح من قبل.

\_ هل أمرك السيد كامل بإيصالي هُنا حقًا؟

أوماً لها الرجل وقال: أجل آنستي.

حسنًا، إنها رسالة واضحة منه، وبالطبع حصل على العنوان من دفترها اللعين، يبدو أن عقابه سيكون مُضاعفًا وسيبعدها عن أمه كذلك.

ابتسمت بضعف، على الأقل بات يعرف أن لديه أم.



" مذكراتي، آسفة لانقطاعي عنكِ مُدة أسبوع كامل، كنتُ غاضبة منكِ، رغم أنكِ لا تملكين من أمركِ شيئًا، لكنني أيضًا كذاك ومع هذا لم يستطع كامل كبح غضبه عني.

أنا أعذره، لقد اكتشف الأمر بأبشع طريقة مُمكنة، وفي ذات الليلة التي أخبرته فيها أن والده حاول اغتصابي وأنا صغيرة، كان من الطبيعي جدًا أن ينهار، لكنني لم أودّ أبدًا أن ينهار خارج أحضاني.

أشعر بالبرد في عظامي، إنني عطشى لضمه، لتجبير جراحه التي انفتحت على يداي، بثسًا ليدي ولعاداتها القبيحة في تدوين كل ما يمر بي، هناك بعض الأمور التي ينبغي أن تبقى سرًا، حتى عن



الأوراق؛ فحتى هي لديها القدرة على البوح بأعق الأسرار  
مُضاهيةً بذلك جموح البشر.

مر أسبوع، تخيلي أن يمر أسبوع على إنسانة فضولية مثلي دون  
أن تعلم عن أمره شيئاً، الأمر لا يحتاج لمعرفة فالأخرق يعرف أين  
هو الآن؛ إنه عندها، الأمان الذي افتقده عُمرًا وقُدِّر له أن يلتقيه  
الآن، لكنني وددت كثيرًا أن أعيش لحظة تلاقيهما، أن أراه وهو  
يحاول شرح الأمر لها فلا يجد ما يسعفه من كلمات.

وأن أرى ضحكة عينيها وعينيهِ أخيرًا، تمنيت لو أرى لحظة التقاء  
جسديهما في عناقٍ طويل، وأقسم أنني كنت سأقف صامتة  
وأحترم قدسية الموقف، لكنه حرمني كل هذا.  
حرمني من رؤية أعز شخصان لديّ يتكلم قلبيهما بالسعادة  
أخيرًا بعد عُمرٍ طويل من التخبط في الأحزان".



"أسبوع آخر يمر والقاسي لا يرد على اتصالاتي، حسناً أعتقد أنني  
سأجعله يندم ذات يوم، وإن نسيت أتمنى أن تذكريني بذلك.  
كان هذا الأسبوع حافلًا بمعنى الكلمة لذا لم أتفرغ للكتابة كثيرًا،  
ستسألين ماذا حدث، أعرفكِ فضولية ككاتبتيك.

السيد المُختفي شديد الغضب مني بدأ بالتحرك، وجدتُ سالي تدق بابي ذات يوم حاملةً حقيبة ملابس، قالت أن محامي كامل تكفل بالأمر، وأن وحيد قد عقد عليها عقدًا شرعيًا أخيرًا تحت تهديد الصور والفيديوهات التي وصلته عن طريق المحامي، لكن سيدي الغاضب أمرها أن تختفي عندي حتى تنهي شهور حملها فهو خائف من أن يعتدي عليها وحيد ويقتل الجنين، يظن كل الناس وحوشًا كوالده، واستنادًا إلى حُجته السابقة قام بتعيين حارسين للعمارة حيث أقطن بغية حماية سالي من زوجها. أترين رقة قلبه، حفظه الله لأمه يظني غبية، وأنني لن أعلم أنه يتحجج بكل ذلك لخوفه عليّ من حُسام، لا بأس سأدعي الغباء طالما أراد هو ذلك.

تتذكرين عُلا، الفتاة التي قتلت عشيقها بغية الانتقام، لقد حُكم عليها بالإعدام شنقًا لتعلن تفكك تلك العائلة إلى الأبد، وكأنها كانت مترابطة من قبل، حسنا أنا أشعر بالشفقة عليها، كنت أستشعر بها في البداية بذرة صلاح، لكن تلك البذرة اضمحلت في تربتها الفاسدة ولم تقو حتى على مد جذورها بها.

أما السيدة مريم فأنا على اتصالٍ هاتفي بها باستمرار، لم أكن لأعلم أنني تعلقت بتلك المرأة لولا أنني فارقتها، الإنسان فعلاً

يحتاج أحياناً للابتعاد عما يملكه حتى يختبر مكانته لديه، ترى  
ألهدا يبتعد كامل عني؟  
لم تنتهي الأحداث بعد..

لقد هاتفتني فاتن وقالت أنها تحتاجني في الدار، فكامل مُتغيب  
منذ أسبوعين وهي تقوم بأعماله وحدها.

يبدو أن سيدي بات مهملاً في الفترة الأخيرة، ألم يكتفي من  
أحضان أمه بعد، يا إلهي أظني بدأت أشعر بالغيرة من حماتي،  
نعم حماتي، هل تظنينه سيفلت من بين يدي بهذه السهولة؟

أنا الآن أعمل بالدار، لكن لا طعم لها بدونه، لا أكذب عليك يا  
مذكراتي لا طعم لأي شيء في الدنيا بدونه، لقد أدمنت قربه  
بطريقة تجعل تعافٍ منه مستحيل، لكن من قال أنني أريد أن  
أتعافٍ؟"



"هل تسمحين لي بأن أحدثك اليوم على أنكِ هو، اليوم فقط،  
أشعر بشوق كبير له لكن غيابه لم ينقطع بعد.  
عزيزي كامل..

الوقت الذي يمر يُعطيني متسع للتفكير، هل أنت غاضب عليّ  
أم تشعر بالخجل مني، هل سبب ابتعادك والدك، أعرف أن ما

أخبرتكَ به كان صدمة، لكنني قادرة على تجاوزها معك،  
أستغرب حقًا كيف تجلس مع القلب الكبير السيدة هناء ولم  
تُصبك عدوى قلبها وتحن علي ولو بمكالمة هاتفية يطمئن بها  
فؤادي عليك.

تعرف يا كامل، رغم كل ما حدث وكل ما يحدث إلا أنني سعيدة،  
لدرجة لا يتخيلها عقلك اليابس، قد تتساءل لِمَ فأجيبك أنني  
أخيرًا أشعر أنني فعلت شيئًا رائعًا لإنسان، والأروع أن هذا  
الإنسان أنت..

الوقت يمر يا عزيزي، ومع مروره تندمل كل الجراح، ولن يتبقى  
لنا حينها إلا السعادة، وبدايتنا الجديدة التي تُهدينا إياها الحياة.  
أترى أمرًا، لقد كنتُ أنا يا كامل الطريق الذي يجب عليك أن  
تسلكه حتى تصل ديارك، والمعضلة هنا أنك بالفعل كنت داخلها  
كل ذلك الوقت دون أن تدري.

كنت مُغتربًا في ديارك، تُكبلك أصفاد الماضي، وتلتف من حولك  
قيود مشاعرك، وكنت أنا أملك المفتاح.

فهل جزائي منك حين أحل قيودك الهجران يا عزيزي؟ "



## بعد مُدة الجمعة الأولى من إبريل:

خطت خطواتها الخفيفة داخل المحل التجاري، ابتسمت للعامل الذي سُرعان ما تعرف عليها، سارت بين الممرات الكثيرة تلتقط الألعاب وتضعها في سلة مشترياتها، عقلها يحتسي الشاي مع ذكرياته، حتى أنها قضت جولتها كلها تبتسم رغم الدموع التي لاحت في مقلتيها.

أما آن لفراقه أن ينتهي؟

وقفت أخيرًا عند رف الألعاب الخاص بدمى الفتيات، حيث الدمى المحشوة ذات الضفيرتين والتي سبق وأن أهداها إحداهما، الآن شعرت بمرارة أن تصنع ذكرى جميلة مع أحدهم ثم لا تجده بجوارك عندما يحدث ما يذكرك بها.

اقتربت من الرف وطالعه بحنين، لا بأس، ستتصبر على ذكراه حتى تلقاه مجددًا، رفعت يدها تنوي الإمساك بإحدى الدمى، كادت أن تلتقطها إلا أنها فجأة رأت يدًا رجولية تعتلي يدها.

خفق قلبها بعنف، وبدأت غددها الدمعية في افراز دموعها بالفعل، عطر رجولي قوي احتل رثتها في ذات اللحظة التي وقع فيها كف يدها الرقيق بين أحضان تلك اليد.

اتسعت عيناها الدامعتين من فرط الصدمة والسعادة، جسده  
بالخلف يقترب منها أكثر، قرب اشتاقته طويلاً، وحُرمت منه  
كثيراً، شعرت بكف يده الآخر يرتفع ثم يُحيط بكتفها ليجذبها  
بهدهوءٍ داخل أحضانه!

سمعته يهمس قائلاً:

\_عُدْزًا يا آنسة هذا الرف محجوزٌ بأكمله، وهذه اليدُ الجميلة  
أيضاً.

ابتسمت ..

بينما جرت دموعها على خديها، التقط قلبها أنفاسه أخيراً  
واستدارت تُطالع وجهه وودت لو تذوب بين شفثيه الممتدتين  
بابتسامة واسعة.

**تمت بحمد الله.**

